الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.









رواية





قبل أن تبرد القهوة

حكايات من المقهى

before the coffee gets cold

Tales from the Café

بيع منها أكثر من 1.5 مليون نسخة على لائحة جريدة التايمز للأكثر مبيعاً ورشحتها جريدة الاندبندنت لجائزة أفضل رواية

توشيكازو كواغوشي
Toshikazu Kawaguchi

قبل أن
تبرد القهوة
حكايات من المقهى
before the coffee gets cold
Tales from the Café

وجد في القراءة ..... هبة
ووجد في القهوة ..... هبة
حينها أدرك أنه أصاب النعيم

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
BE FORE THE COF F E E GE T S COLD TAL E S FROM THE CAF E
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونيًا من الناشر
First published 2020 by Picador an imprint of Pan Macmillan
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2021 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-01-3195-8



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**

قبل أن تبرد القهوة
حكايات من المقهى
before the coffee gets cold
Tales from the Café

مكتبة | 699
سُر مَن قرأ

توشيكازو كواغوشي
Toshikazu Kawaguchi

تعريب

ماجد حامد

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

إن كنت تستطيع العودة، فمن تود أن تقابل

خريطة العلاقة التي تربط بين الشخصيات

كيميكو ماندا

زوجة كيوشي ماندا حوصرت في موقع الجريمة وقُتلت بكلّ بساطة.

كيوشي ماندا

محقّق يعمل في مركز شرطة كاندا، اشترى لزوجته هدية عيد ميلادها لكنّه لم يعطِها لها أبداً.

المرأة ذات الفستان

الشبح الذي يشغل المقعد الذي يعيدك إلى الماضي، تدخل إلى الحمام مرّة واحدة خلال اليوم، وعادة ما تجدها تقرأ روايتها بهدوء، ولكنّها تشتم كلّ من يضايقها.

?

كي توكيتا

زوجة ناغار ووالدة ميكي، ماتت قبل ستّ سنوات وهي تلد ميكي بسبب ضعف قلبها.

ناغار توكيتا

ابن عم كازو توكيتا وصاحب المقهى، إنّه رجل عملاق يبلغ طوله المترين تقريباً.

كينويو ميتا

دخلت إلى المستشفى بسبب إصابتها بمرض السرطان منذ ستّة أشهر، وامتنعت عن إخبار يوكيو بمرضها لأنّها لم تكن تريد أن تقلقه، لكنّ حالتها ساءت فجأة وماتت.

ميكي توكيتا

ابنة ناغار توكيتا وكي توكيتا، وهي في الصفّ الأوّل في المدرسة الابتدائية.

عاد إلى الماضي

كازو توكيتا

نادلة في مقهى (فونيكولي فونيكولا)، تقدّم القهوة، وتقوم بالمراسم التي تعيد الناس إلى الماضِي.

عاد إلى الماضي

يوكيو ميتا

ابن كينويو ميتا، يتعلّم صناعة الخزف على يدي صانع خزف مشهور في كيوتو.

عاد إلى الماضي

جوتارو شيبا

يدير مطعماً يقدّم وجبات يابانية محدّدة، قام بتربية ابنة شويشي كاميا بعد وفاته قبل اثنين وعشرين عاماً.

جاء من الماضي

عاد إلى الماضي

كاتسوكي كوراتا

مرض قبل ثلاث سنوات، وخمّن الأطبّاء أنّه تبقّى له من الحياة ستّة أشهر فقط، وقد توفّي بعدها.

الزملاء

فوميكو كيوكاوا

امرأة جميلة كغيرها من المشاهير، عادت في الزمن قبل سبع سنوات لمقابلة حبيبها الذي تركها في هذا المقهى.

شويشي كاميا

صديق جوتارو شيبا منذ أيّام الجامعة، توفّي قبل اثنتين وعشرين عاماً وترك ابنته يتيمة.

أسامي موري

عاشقة وزميلة عمل لكاتسوكي كوراتا، وهي زميلة فوميكو الأصغر في العمل.

١

أفضل الأصدقاء

لقد كذب جوتارو شيبا على ابنته لمدّة اثنين وعشرين عامًا.

كتب الروائي فيودور دوستويفسكي ذات مرّة: "أصعب ما في الحياة هو العيش من دون كذب".

يكذب الناس لأسباب مختلفة، فقد تُلقي بعض الأكاذيب من أجل التعريف بالنفس بطريقة أشدّ إثارة للاهتمام أو أكثر جاذبية، وقد تُلقى أيضًا لخداع الآخرين، ويمكن لهذه الأكاذيب أن تؤذي المشاعر، ولكنّها قد تنقذ حياة بعض الناس أيضًا، وغالبًا ما يندم الناس بعد إلقاء الأكاذيب بغضّ النظر عن سبب إلقائها.

وجوتارو يواجه مأزقًا من هذا النوع، فقد أرهقه الكذب على ابنته، وجعله محتارًا ومشوّش الذهن، ويتمتم باستمرار بكلام غير مفهوم مثل قوله: "أنا لم أرد أن أكذب بشأن ذلك"، كان يسير خارج المقهى الذي يتيح لزبائنه فرصة السفر عبر الزمن ذهابًا وإيابًا.

يقع المقهى على بعد بضع دقائق سيرًا على الأقدام من محطّة

جيمبوكو وسط طوكيو، في شارع خلفي ضيّق في منطقة معظم مبانيها مخصّصة للمكاتب، وقد عُلّقت لافتة صغيرة تحمل اسمه: *فونيكولي فونيكولا* ، وكان المقهى في طابق سفلي يشبه القبو، ولولا تلك اللافتة لكان الناس سيمرّون بالقرب منه من دون أن يلاحظوه.

نزل جوتارو السلالم فوصل إلى باب مزيّن بالنقوش، وهو لا يزال يتمتم العبارة نفسها، ثمّ هزّ رأسه واستدار وبدأ بالصعود على الدرج، ولكنّه توقّف فجأة وارتسمت على وجهه ملامح الحيرة، فصعد ونزل الدرج عدّة مرّات متتالية.

فجأة سمع صوتًا يقول له: "لماذا لا تفكّر في الأمر بعد أن تدخل؟".

استدار جوتارو مذهولًا ورأى امرأة قصيرة القامة تقف أعلى الدرج ترتدي فوق قميصها الأبيض معطفًا أسود ومريولًا للسقاة، فاستطاع أن يعرف على الفور أنّها نادلة المقهى.

"نعم... حسنًا..."

بدا جوتارو محتارًا في إجابته، فابتعدت المرأة عن طريقه، ونزلت الدرج بخفّة.

صوت رنين الجرس

انبعث صوت رنين الجرس وهي تدخل المقهى.

لم تكن قد أجبرته على النزول، ولكنّ جوتارو نزل أخيرًا، وفي الحال شعر بهدوء غريب يسري في جسده، كما لو أنّ كلّ ما في قلبه بات مكشوفًا.

لقد كان متردّدًا ويسير ذهابًا وإيابًا في الخارج، لأنّه لم يستطع التأكّد من أنّ هذا المقهى هو المقهى نفسه الذي يمكنه من خلاله السفر عبر الزمن، لقد جاء إلى هذا المكان لشدّة إيمانه بأنّ هذه القصّة حقيقة ثابتة، ولكن إذا كان ما أخبره به صديقه القديم مجرّد شائعة مختلقة، فسيكون عمّا قريب أحد الزبائن المحرجين جدًّا.

إذا كان السفر عبر الزمن أمرًا حقيقيًا بالفعل، فهو يدرك أنّ عليه التقيّد ببعض القواعد المزعجة، وإحدى هذه القواعد أنّ ما من شيء قد يقوم به في الماضي يمكن أن يؤثّر في الحاضر، مهما بلغ عدد المحاولات التي يبذلها الفرد.

تساءل جوتارو عندما علم بهذه القاعدة للمرّة الأولى: إن كان التغيير مستحيلًا، فما الغاية من السفر عبر الزمن؟

ومع ذلك، ها هو الآن يقف عند الباب الأمامي للمقهى، يفكّر في أن يسافر عبر الزمن إلى الماضي.

هل قرأت المرأة أفكاره؟ بالتأكيد هذا ما حصل، فالعبارة التقليدية التي كان يمكن أن تقولها في هذه الحالة: هل تريد الدخول؟ نحن نرحّب بك... ولكنّها قالت له، لماذا لا تفكّر في الأمر بعد أن تدخل؟ وربما ما كانت تقصده: نعم، يمكنك السفر عبر الزمن إلى الماضي، ولكن لماذا لا تدخل أوّلًا قبل أن تقرّر إن كنت ستسافر أم لا؟

السؤال الذي حيّره كيف عرفت المرأة سبب قدومه، إلّا أنّه جعله في الوقت نفسه يشعر ببصيص أمل، لأنّ هذا التعليق المرتجل الذي قالته المرأة كان حافزه على اتّخاذ القرار، فمدّ يده وأدار مقبض الباب وفتحه.

دخل المقهى الذي يفترض أن يتمكّن المرء في داخله من السفر عبر الزمن.



جوتارو شيبا الذي يبلغ من العمر واحدًا وخمسين عامًا ممتلئ الجسم، وربما كان ذلك دافعه إلى أن ينضمّ إلى نادي رياضة الركبي في المدرسة الثانوية والجامعة، وهو يرتدي بذلة ذات قياس كبير حتّى هذا اليوم.

عاش مع ابنته هاروكا التي ستبلغ الثالثة والعشرين هذا العام، وكان يكافح وحده من أجل تربيتها تربية سليمة، وقد أخبرها وخلال نشأتها بأنّ أمّها ماتت بسبب إصابتها بمرض خطير وهي لا تزال صغيرة. يدير جوتارو مطعم (كاميا)، وهو مطعم متواضع في مدينة هاتشيوجي في منطقة طوكيو الكبرى، يقدّم الوجبات مع الأرزّ والحساء والأطباق الجانبية المتنوّعة، وتساعده هاروكا في إدارة المطعم.

توجّب عليه المرور عبر ممرّ صغير بعد دخوله المقهى وعبور الباب الخشبي الذي يبلغ ارتفاعه المترين، والباب الذي أمامه مباشرة كان باب الحمام، ويقع مدخل المقهى في وسط الجدار الأيمن، وعندما دخل عبره رأى امرأة تجلس على إحدى الكراسي العالية التي توضع أمام طاولة الحانة، فنادت على الفور: "حضر زبون يا كازو!".

يجلس إلى جانبها صبي يبدو وكأنّه في المدرسة الابتدائية، وتجلس امرأة ترتدي فستانًا أبيض قصير الكمين على الطاولة البعيدة، بشرتها شاحبة، ولا تعير هذا العالم من حولها أدنى اهتمام، وكانت تقرأ بهدوء إحدى الروايات.

"لقد عادت النادلة للتوّ من التسوّق، فلماذا لا تجلس، وستكون في خدمتك بعد قليل".

من الواضح أنّها لا تهتمّ كثيرًا بالمجاملات الشكلية مع الغرباء، فتحدّثت مع جوتارو من دون كُلفة كما لو كان زبونًا مألوفًا، ويبدو واضحًا أنّها من روّاد المقهى الدائمين، وبدلًا من الردّ عليها، أومأ إليها إيماءة شكر مقتضبة، فشعر أنّ المرأة تنظر إليه بتعبير يوحي بأنّها تريد أن تقول: يمكنك أن تسألني عن أيّ شيء تريده يتعلّق بهذا المقهى، لكنّه اختار التظاهر بأنّه لم يلاحظ ذلك، وجلس إلى الطاولة الأقرب من المدخل، ونظر حوله فرأى ساعة حائط أثرية كبيرة جدًّا ترتفع من الأرض إلى السقف، ومروحة تدور بلطف تتدلّى من حيث تتقاطع اثنتين من عوارض خشبية طبيعية.

كانت الجدران الجصّية الترابية ذات لون بنّي باهت يشبه كيناكو كثيرًا، وانتشر الغبار مع الصدأ الضبابي على كلّ الأسطح، وقد بدا هذا المكان قديمًا جدًّا.

هذا المقهى يخلو من النوافذ، ولكنّه مضاء بمصابيح مظلّلة تتدلّى من السقف، ما جعل الضوء خافتًا تمامًا، وقد عكست الإضاءة لونًا بنّيًا داكنًا لا يمكن إغفاله.

خرجت المرأة التي تحدّثت إليه في أعلى الدرج من غرفة خلفية وقالت له: "مرحبًا، مرحبًا بك!"، ووضعت كوبًا من الماء أمامه.

تدعى كازو توكيتا، وقد ربطت شعرها المتوسّط الطول إلى الخلف، وارتدت فوق قميصها الأبيض ذي ربطة العنق السوداء معطفًا أسود ومريولًا للسقاة.

كازو هي نادلة مقهى فونيكولي فونيكولا، وجهها جميلٌ وعيناها بنّيتان ضيّقتان، ولم يكن في ملامحها ما يلفت النظر أو يترك انطباعًا يرسخ في ذاكرة الناظر إليها، فإذا أغمضت عينيك بعد مقابلتها، وحاولت تذكّر ملامحها، فلن ترى لها أيّ صورة في ذهنك، ولكنّها كانت واحدة من الناس الذين يسهل أن يندمجوا في أيّ جوّ، وستبلغ هذا العام التاسعة والعشرين من عمرها.

"حسنًا... أهذا هو المكان... المكان..."

ضاع جوتارو تمامًا، ونسي طرح موضوع السفر عبر الزمن، فنظرت كازو بهدوء إليه وهو مرتبك، ثم التفتت نحو المطبخ وسألته: "إلى أيّ وقت تريد أن تعود؟".

وصله صوت غرغرة القهوة من المطبخ.

لا بدّ أن تكون هذه النادلة قارئة أفكار.

بدأت رائحة القهوة الفوّاحة تعبق في الغرفة مثيرةً ذكرياته حول ذلك اليوم.



منذ سبع سنوات، التقى جوتارو بشويشي كاميا أمام هذا المقهى مباشرة للمرّة الأولى، وكان الاثنان زميلين سابقين في فريق الركبي في الجامعة.

كان جوتارو في ذلك الوقت متشرّدًا ومفلسًا، بعد أن اضطرّ إلى التنازل عن جميع ممتلكاته، بعد إفلاس شركة صديقه الذي شاركه عبر استدانته مبلغًا كبيرًا، وكانت ملابسه قذرة، وتفوح منه رائحة كريهة.

ومع ذلك لم يشمئزّ شويشي من مظهره، بل بدا سعيدًا للقائه مجدّدًا، فدعاه إلى المقهى، وبعد سماع ما حدث له اقترح قائلًا: "تعالَ واعمل في مطعمي".

لقد اكتشفت إحدى الشركات الراعية لدوري الشركات في أوساكا، موهبة شويشي بعد تخرّجه من الجامعة، لكنّه لم يشارك سوى سنة واحدة في المباريات قبل تعرّضه لإصابة قضت على حياته الرياضية، فانضمّ بعدها إلى شركة تدير سلسلة مطاعم، ورأى شويشي ذو التفاؤل الدائم أنّ هذا العرض كان فرصته الذهبية، وبعد عمله بجهد بلغ ضعفي جهد الآخرين أو حتّى ثلاثة أضعاف، ترقّى وأصبح مديرًا مسؤولًا عن سبعة منافذ، وعندما تزوّج قرّر أن يعمل بمفرده، فافتتح مطعمًا يابانيًا صغيرًا وعمل فيه بمساعدة زوجته، وقد أخبر جوتارو بأنّ المطعم مزدحمٌ دائمًا، وأنّه يرحّب بمساعدة إضافية.

"إذا قبلت عرضي، فسيساعدني ذلك أيضًا".

بعد أن دمّره الفقر، وجعله يفقد كلّ أمل له في الحياة، غرق جوتارو في بحرٍ من دموع الامتنان، ثمّ أومأ برأسه إليه موافقًا: "حسنًا، سأقبل عرضك".

أصدر الكرسي صريرًا عندما وقف شويشي فجأة، وأضاف مبتسمًا ابتسامة عريضة: "انتظر حتّى ترى ابنتي!"، لم يكن جوتارو متزوّجًا، وتفاجأ قليلًا عندما عرف أنّ شويشي قد تزوّج وأنجب طفلة.

أجاب بعينين متّسعتين: "ابنتك؟".

"أجل، لقد وُلدت حديثًا، إنّها لطيفة جدًّا!".

بدا شويشي سعيدًا بتجاوب جوتارو، فأخذ الفاتورة واندفع نحو طاولة المحاسبة: "المعذرة، أريد دفع الحساب".

وقف عند الطاولة شابّ يبدو في المدرسة الثانوية، وكان طويلًا جدًّا لدرجة أنّ طوله يقارب المترين، وكانت عيناه متباعدتين وضيّقتين وبنّيتين.

"الحساب سبعمئة وستّون ينًّا".

"تفضّل، اسحب المبلغ من هذه البطاقة من فضلك".

كان جوتارو وشويشي لاعبي ركبي، وهما أكبر حجمًا من معظم اللاعبين، لكنّهما نظرا إلى الشابّ باستغراب، ثم نظرا إلى بعضهما وضحكا، ربما لأنّهما فكّرا في الشيء نفسه: *هذا الرجل خُلق ليمارس لعبة الركبي*.

"تفضّل الباقي".

أخذ شويشي الباقي وتوجّه نحو المخرج.

كان جوتارو قبل أن يصبح بلا مأوى ميسور الحال، فقد ورث شركة والده التي فاقت أرباحها مئة مليون ينّ في السنة. وقد كان جوتارو رجلًا صالحًا ورزينًا، لكنّ المال يغيّر صفات الناس، فجعلته ثروته

مسرفًا ومستهترًا يبدّد أمواله هباء، إذ كان يعتقد أنّه إذا امتلك المال، يمكنه فعل أيّ شيء يريده، لكنّ شركة صديقه التي اقترض مبالغ طائلة من أجل مشاركته قد أفلست، وبعد اضطراره إلى دفع دينها الكبير الذي كان على عاتقه انهارت شركته أيضًا، وبمجردّ أن ضاعت ثروته كلّها نبذه كلّ من حوله، وتعاملوا معه باحتقار، وبعد أن كان يعتقد أنّ المقرّبين منه هم أصدقاؤه الصدوقون، هجروه جميعًا، حتّى إنّ أحدهم قال في وجهه بوضوح، *ما هي قيمتك من دون نقود؟*

لكنّ شويشي كان مختلفًا عن الجميع، فقد عامل جوتارو الذي فقد كلّ ما يملكه كما لو أنّه لم يفقد شيئًا، وهؤلاء الأشخاص الذين يرغبون في مساعدة المحتاجين ولا ينتظرون منهم شيئًا في المقابل نادرون جدًّا، لكنّ شويشي كان أحد هؤلاء النادرين، وقد فكّر جوتارو في أعماقه وهو يتبع شويشي إلى خارج المقهى *بأنّه سيردّ هذا الجميل!*

صوت رنين الجرس



"كان ذلك قبل اثنين وعشرين عامًا".

مدّ جوتارو شيبا يده إلى الكأس الذي أمامه، وتنهّد وهو يرطّب حلقه الجافّ، فبدا أصغر من شخص يبلغ واحدًا وخمسين عامًا، ولكنّ خصلات الشيب بدأت تتناثر في شعره.

"وهكذا، بدأت العمل لدى شويشي، وأنا حاني الرأس احترامًا وتقديرًا لصديقي، وحاولت تعلّم العمل بأسرع ما يمكن، ولكن بعد عام من حصول ذلك، وقع حادث مروري مروّع، وشويشي وزوجته..."

لقد حدث ذلك منذ أكثر من عشرين عامًا، لكنّ ألمه لم يفارقه أبدًا، فاحمرت عيناه وبدأ يشعر بأنّ الكلمات تختنق في حلقه.

صوت

بدأ الصبي الجالس إلى المنضدة بامتصاص القطرات الأخيرة من عصير البرتقال في كأسه باستخدام قشّته.

سألته كازو بشكل عفويّ ومن دون التوقّف عن عملها: "وماذا حدث بعد ذلك؟"، لا تغيّر لهجتها أبدًا مهما كانت المحادثة جادّة، فهذا هو أسلوبها، وربما هذه هي طريقتها في البقاء على مسافة واحدة من الناس.

"نجت ابنة شويشي وقرّرت تربيتها".

تحدّث جوتارو وهو ينظر إلى الأسفل وكأنّه يتمتم وحده، ثم نهض عن كرسيّه على مهل.

"أرجوك، أتوسّل إليكِ أن تسمحي لي بالعودة إلى ذلك اليوم قبل اثنين وعشرين عامًا".

انحنى بشدّة ولمدّة طويلة مشكّلًا زاوية قائمة من وركه حتّى قمّة رأسه آملًا في أن تساعده على تحقيق ذلك.

هذا هو مقهى فونيكولي فونيكولا الذي أصبح أسطورة حضرية منذ أكثر من عشر سنوات، إنّه المكان الذي يمكن من خلاله السفر عبر

الزمن، والأساطير الحضرية معظمها مختلقة، ولكن يقال أيضًا إنّها حقيقة ثابتة في هذا المقهى حيث يمكنِ السفر عبر الزمن.

كلّ أنّواع الحكايات التي جرت فيه شاعت في العلن، مثل تلك الحكاية التي تتناول المرأة التي عادت لرؤية صديقها الذي انفصلت عنه، أو الأخت التي عادت لترى أختها الصغيرة التي قُتلت في حادث سيّارة، أو الزوجة التي سافرت عبر الزمن لرؤية زوجها الذي فقد ذاكرته.

إلّا أنّه عليك أن تتبع بعض القواعد المحبطة للغاية من أجل العودة إلى الماضي.

القاعدة الأولى: الأشخاص الوحيدون الذين تستطيع مقابلتهم في الماضي هم الذين سبق لهم أن زاروا هذا المقهى، وإذا لم يسبق أن زار الشخص الذي تريد مقابلته المقهى يمكنك السفر عبر الماضي، ولكنّك لن تلتقي به، وبكلمات أخرى، إذا جاء الزائرون من شرق اليابان وغربها فبإمكانهم جميعًا خوض رحلات إلى الماضي ولكن من دون فائدة.

القاعدة الثانية: كلّ ما يمكنك فعله في الماضي لا يمكن أن يؤثّر على الحاضر. يحبط سماع هذه القاعدة معظم الأشخاص الراغبين في السفر عبر الزمن، لذا يرحلون خائبي الآمال، لأنّ معظم الزبائن الذين يريدون العودة إلى الماضي يتمنّون إصلاح بعض الأمور أو تغيير بعض الأحداث، وقلّة نادرة من الزبائن يرغبون في السفر إلى الماضي بعد إدراكهم أنّهم لا يمكنهم تغيير الواقع.

القاعدة الثالثة: كرسيّ واحد فقط في المقهى يتيح السفر عبر الزمن، ولكنّ زبونًا آخر يجلس عليه دائمًا، والحالة الوحيدة التي تمكّنك من

الجلوس عليه هي نهوض الزبون للذهاب إلى الحمام، وهو لا يتوجّه إلى الحمام إلّا مرّة واحدة خلال اليوم، ولكن لا أحد يتوقّع متى سيحدث ذلك.

القاعدة الرابعة: لا يمكنك التحرّك من مكانك عندما تكون في الماضي، وإذا تحرّكت فستعاد إلى الحاضر رغمًا عنك، وهذا يعني أنّك وبينما أنت في الماضي لن تجد طريقة للبقاء في المقهى.

القاعدة الخامسة: تبدأ رحلتك إلى الماضي عندما تُسكب القهوة، وتنتهي قبل أن تبرد، وعلاوة على ذلك لا يمكن أن يصبّ أيّ شخص القهوة باستثناء كازو توكيتا.

بغضّ النظر عن القواعد المحبطة، هناك زبائن سمعوا بالأسطورة وجاؤوا إلى المقهى ليسافروا عبر الزمن.

وجوتارو واحدٌ منهم.



سألت المرأة التي دعته إلى أن يجلس عندما دخل إلى المقهى: "لنقل إنّك سافرت إلى الماضي بالفعل، ما الذي تخطّط لفعله؟". كان اسمها كيوكو كيجيما، وهي زوجة وأم وزبونة دائمة، وقد صادف وجودها في المقهى عند دخوله، وقد حدّقت إلى جوتارو بفضول شديد، إذ ربما كان الزبون الأوّل الذي أصرّ على السفر عبر الزمن ممّن قابلتهم: "اعذرني على سؤالي، ولكن كم تبلغ من العمر؟".

"واحدًا وخمسين".

اعتبر جوتارو السؤال لومًا، إذ بدا وكأنّها تسأله: *لماذا رجل بعمرك قد يفكّر بسطحيّة فيرغب في العودة بالزمن*؟ فجلس منحنيًا على الطاولة وحدّق بثبات إلى يديه المشبوكتين.

"... أنا آسفة، ولكن ألا تعتقد أنّ ذلك سيكون مرعبًا بعض الشيء، أن يجد شويشي أو أيًّا كان اسمه نفسه وجهًا لوجه أمام نسخة أكبر سنًّا بعد أن عرفك وأنت تبلغ اثنين وعشرين عامًا؟ وأنا متأكّدة من أنّه لن يكون جاهزًا لهذا اللقاء".

لم يرفع جوتارو رأسه.

تابعت كيوكو: "ألا تعتقد أنّ هذا سيبدو مخيفًا بعض الشيء؟".

ثم نظرت من فوق الطاولة إلى كازو آملة منها أن تؤيّد ما تقوله.

أجابت كازو إجابة لا تظهر تأييدها التامّ: "ربما".

تمتم الصبي الذي بدأ يتململ بعد أن فرغ كوب عصير البرتقال: "ألن تبرد قهوتك يا أمّي؟"، كان اسمه يوسوكي كيجيما، وهو ابن كيوكو، وستبدأ هذا الربيع مدرسته وسيلتحق بالصفّ الرابع. كان شعره متوسّط الطول وغير مرتّب، ووجهه قد أحرقته أشعّة الشمس اللاهبة، وهو يرتدي بذلة رياضية مكتوب عليها (ميتوكو إف سي) والرقم 9 مطبوع على ظهرها، ما يدلّ بوضوح على أنّه يعشق لعبة كرة القدم.

كان يتحدّث عن القهوة الجاهزة الملفوفة بالورق والموضوعة على الطاولة إلى جانب كيوكو.

قالت كيوكو وهي تقرّب وجهها من أذن يوسوكي: "لا يهمّ، فالجدّة تكره المشروبات الساخنة على أيّ حال انتظر قليلًا، وسنذهب

مباشرة، أموافق؟"، ونظرت إلى جوتارو متوقعةً تجاوبه مع كلامها، فجلس جوتارو وبدا أنّه يعيد التفكير في القيام بالرحلة إلى الماضي.

اعترف على مضض: "نعم، أعتقد أنّ هذا سيفزعه".

علّقت كيوكو بإيماءة: "طبعًا"، قدّمت كازو إلى يوسوكي كأسًا جديدة من عصير البرتقال، فقبله بصمت مع إيماءة شكر سريعة.

"إذا كان في إمكاني حقًّا العودة بالزمن إلى الماضي، فهناك شيء أريد حقًّا أن أقوله لشويشي".

على الرغم من أنّ كيوكو هي التي طرحت عليه السؤال، إلّا أنّه أجاب وهو ينظر إلى كازو، ولكن لم يكن لكلماته أيّ تأثير على ملامحها.

بدت غير مبالية كالعادة، وقد خرجت من خلف المنضدة ووقفت أمامه.

بين الحين والآخر، يأتي زبون مثل جوتارو إلى المقهى بعد سماعه أسطورة إمكان السفر عبر الزمن، ولم تتغيّر الطريقة التي تفاعلت بها كازو مع كلّ هؤلاء الزبائن أبدًا.

سألته بإيجاز: "هل تعرف القواعد؟". كان هناك زبائن كثيرون قد جاؤوا إلى المقهى وليس لديهم أيّ فكرة عن القواعد.

أجاب بتردّد: "أظنّ ذلك..."

صرخت كيوكو: "تظنّ ذلك؟". كانت وحدها المتحمّسة بين كلّ من في المقهى، فنظرت كازو إلى كيوكو من دون تعليق، ثم حدّقت مجدّدًا إلى جوتارو.

"أجبْ عن السؤال".

هزّ جوتارو كتفيه معتذرًا وأجاب محرجًا: "أجلس على كرسيّ، ويغلي شخص ما القهوة، وأسافر عبر الزمن إلى الماضي... هذا كلّ ما سمعته". لا بدّ أن توتّره قد جفّف فمه، لأنّه مدّ يده إلى كأس الماء التي أمامه واحتسى القليل منه.

استجوبته كيوكو: "هذا أمر بسيط بعض الشيء... ممّن سمعت ذلك؟".

"من شويشي".

"إذا سمعته من شويشي... هل تقصد أنّك سمعت به منذ اثنتين وعشرين سنة؟".

"نعم، سمعته من شويشي عندما زرت هذا المقهى للمرّة الأولى، ولابدّ أنّه كان على علم بالأسطورة".

"فهمت..."

قال عائدًا إلى سؤال كيوكو: "لذا ولو ظهرت نسختي الأكبر سنًّا بكثير فجأة، فأعتقد أنّه سيكون على ما يرام إن صرفنا النظر عن إثارة خوفه".

"ما رأيك يا كازو؟"، تحدّثت كيوكو وكأنّ حقّ تقرير العودة إلى الماضي يعود إليها وإلى كازو وحدهما.

لكنّ كازو لم تعلّق.

تحدّثت بدلًا عن ذلك بصوت هادئ وصارم: "تعلم أنّك إن عدت إلى الماضي، فلن تغيّر الحاضر، أليس كذلك؟". ما قصدت قوله هو:

تعلم أنّك لا تستطيع أن تمنع موت صديقك! فقد جاء زبائن كثيرون إلى المقهى آملين في أن يعودوا عبر الزمن ليمنعوا موت أحبّائهم، وقد شرحت لهم كازو في كلّ مرّة هذه القاعدة.

لم يكن الأمر أنّها عصية الدمع ولا تتأثّر بما يشعر به هؤلاء الناس بسبب فقدانهم أشخاصًا أعزّاء على قلوبهم، ولكن لا مناص من هذه القاعدة التي يستحيل تجاوزها، مهما علا شأنك أو اشتدّت صعوبة سبب رحلتك.

لم يُبدِ جوتارو أيّ إشارة إلى الغضب أو اليأس بعد سماعه كلمات كازو.

أجابها بصوت خافت ونبرة هادئة: "أنا أعلم هذا".

صوت رنين الجرس

رنّ الجرس، فظهرت فتاة صغيرة، قالت كازو عندما دخلت: "مرحبًا بك في المنزل".

بدلًا من أن تقول لها: أهلًا وسهلًا بك.

كان اسمها ميكي توكيتا، وهي ابنة ناغار توكيتا صاحب هذا المقهى، وقد دخلت بكلّ فخر وهي تحمل حقيبة ظهر مدرسية حمراء برّاقة.

صاحت ميكي بصوت عالٍ تردّد صداه في أنحاء المقهى: "لقد عدت يا أعزّائي".

سألتها كيوكو: "مرحبًا يا عزيزتي ميكي! من أين أتيت بهذه الحقيبة الرائعة؟".

قالت ميكي بفخر وهي تشير إلى كازو: "لقد اشترتها لي".

قالت كيوكو مادحةً: "يا له من ذوق رفيع! تبدو مذهلة".

نظرت كيوكو إلى كازو وسألتها هامسةً: "ألن تبدأ المدرسة في الغد؟".

لم تقصد أن تنتقد تصرّف ميكي أو أن تسخر منه، في الواقع قد رسم هذا التصرّف ابتسامة صادقة على وجهها، لأنّ ميكي كانت سعيدة جدًّا بحصولها على هذه الحقيبة الجديدة إلى درجة أنّها راحت تتجوّل في الحيّ وهي تحملها على ظهرها.

قالت كازو وهي تزمّ شفتيها وتكبت ابتسامة احتلّت زاويتيهما: "نعم ستبدأ في الغد".

سألت ميكي بصوت مرتفع تردّد في أرجاء المقهى: "كيف حال السيّدة كينويو؟ هل هي بخير؟".

أجابتها كيوكو وقد حملت الكيس الورقي الذي يحتوي على الوجبات الجاهزة: "السيّدة كينويو بخير! وقد جئنا اليوم إلى المقهى مرّة أخرى لأخذ القهوة وشطائر لذيذة من صنع والدك".

أبقى يوسوكي ظهره مواجهًا لميكي وهو جالس على الكرسي، وشرب ببطء كوب عصير البرتقال الثاني.

"ألم تملّ السيّدة كينويو من تناول شطائر أبي بعد؟ إنها تتناولها كلّ يوم".

"تقول السيّدة كينويو إنّها تحب شطائر والدك وقهوته".

قالت ميكي بصوت عالٍ: "لا أعرف لماذا، فشطائر أبي ليست لذيذة".

وفجأة ظهر شخص طويل من المطبخ عند سماعه المحادثة.

"توقّفي! شطائر من تلك التي قلت إنّها ليست لذيذة؟"

إنّه ناغار صاحب المقهى ووالد ميكي، أمّا والدتها فلم تعد بينهم، فقد كان قلبها ضعيفًا وماتت بعد أن أنجبت ميكي قبل ستّ سنوات.

قالت ميكي وهي في طريقها إلى الغرفة: "عذرًا يا عزيزي، أعتقد أنّني سأذهب الآن"، وأحنت رأسها تحيةً لكيوكو، وانطلقت إلى الغرفة الخلفية.

"لماذا تقول كلمة عزيزي؟"، نظرت كيوكو إلى ناغار كما لو أنّها تسأل: أين تعلّمت تلك الكلمة؟ فرفع كتفيه بلا مبالاة وقال: "لا أعرف".

بدأ يوسوكي يلكز ذراع كيوكو وهو ينقل نظره بينها وبين ناغار، ثم سألها وكأنّه سئم الانتظار: "هل يمكننا أن نذهب الآن؟".

قالت كيوكو معترفةً بضرورة التحرّك: "كنّا على وشك الذهاب، أليس كذلك؟". ونهضت عن كرسيّها العالي.

قالت كيوكو وهي تقلّد ميكي: "حسنًا، حان وقت ذهابي أيضًا... أيّها الأعزاء".

أعطت الحقيبة الورقية ليوسوكي ومن دون النظر إلى الفاتورة، وضعت المال مقابل الشطائر والقهوة ومشروب يوسوكي الموضوع على المنضدة، وأضافت إلى الحساب ثمن عصير البرتقال الثاني الذي قدّمته إليه كازو.

قالت كازو وهي تأخذ المال عن الطاولة مستثنية ثمن كأس العصير الثاني: "عصير البرتقال الثاني على حساب المقهى".

ثم بدأت بالضغط على مفاتيح آلة تسجيل النقود مطلقةً صوتًا عاليًا.

"لا، لا! سأدفع ثمنه".

"لن تدفعي مقابل ما لم تطلبيه، فأنا قدّمته إليه وحسب".

لم ترغب كيوكو في أخذ المبلغ الذي تركته كازو على المنضدة، لكنّها كانت قد وضعت المبلغ الذي تدين لها به بالفعل في الدرج، ثم ناولتها الإيصال تاركة ثمن كوب العصير الذي قدّمته على حساب المحلّ على المنضدة.

"حسنًا".

لم تشعر كيوكو بالراحة من دون دفع ثمن المشروب، لكنّها تعلم بأنّه لا يمكنها إقناع كازو بأيّ وسيلة ممكنة بقبول المبلغ.

قالت وهي تأخذ المال: "حسنًا، ما دام هذا ما تريدينه، شكرًا جزيلًا لك"، وأعادت المال إلى محفظتها.

قالت كازو وهي تنحني بلياقة أمام كيوكو: "أبلغي السيّدة كينويو تحيّاتي".

لقد علّمت كينويو كازو الرسم وهي في السابعة من عمرها، كما شجّعتها على متابعة الدراسة والالتحاق بكلّية الفنون الجميلة.

وبعد تخرّج كازو من كلّية الفنون، بدأت بالعمل بدوام جزئي في مدرسة كينويو الخاصّة بالرسم، والآن كينويو في المستشفى، وقد حلّت محلّها كازو في تعليم كافّة الفصول.

"أعلم أنّ عملك في المقهى يشغل وقتك كثيرًا، لذا أشكرك على إعطاء دروس الرسم خلال هذا الأسبوع".

أجابت كازو: "لا بأس، فأنا أقوم بذلك بكلّ سرور".

أومأت يوسوكي إلى كازو وناغار اللذين كانا يقفان خلف المنضدة وقالت: "شكرًا لكما على عصير البرتقال".

ترك يوسوكي المقهى أوّلًا.

رنين جرس الباب

"حسنًا، سأغادر"، ولوّحت كيوكو مودعةً، ثمّ تبعت يوسوكي خارجةً من الباب.

رنين جرس الباب

عندما غادر الاثنان المقهى، غاب معهما الجوّ الحيوي تاركًا الغرفة هادئة، فلم يكن ينبعث من المقهى صوت موسيقى، وهذا يعني أنّه يمكنك أن تسمع المرأة ذات الفستان الأبيض وهي تقلب صفحات روايتها ولا سيّما عندما يصمت الجميع.

سأل ناغار كازو وهو يلمّع كأسًا: "ما الذي قالاه عن وضع كينويو؟"، لا تختلف لهجته عندما يتحدّث مع الآخرين عن لهجته وهو يحدّث نفسه، فأومأت كازو إليه ببطء مرّة واحدة، ولكنّها لم تجب عن سؤاله.

قال ناغار بهدوء: "فهمت"، ثم اختفى في الغرفة الخلفية.

لم يبقَ في المقهى سوى جوتارو وكازو والمرأة ذات الفستان الأبيض.

كانت كازو وراء المنضدة ترتّب الكؤوس والفناجين بطريقتها المعتادة.

"أودّ سماع المزيد الآن، إن كنت لا تمانع"، كانت كازو جاهزةً للاستماع إلى السبب الذي يدفع جوتارو إلى السفر عبر الزمن إلى الماضي، فنظر نحو الأعلى للحظة، ثم أشاح بنظره بعيدًا، وأخذ نفسًا عميقًا.

بدأ بالكلام قائلًا: "في الواقع..." ربما أخفى السبب الذي يدفعه إلى السفر عبر الزمن بشكل متعمّد، لأنّ كيوكو كانت حاضرة، وهي لا علاقة لها بالأمر، والآن لم يعد هناك سوى كازو والمرأة ذات الفستان الأبيض.

بدأ يشرح متلعثمًا: "ستتزوّج ابنتي".

"ستتزوّج؟".

تمتم: "نعم، في الواقع إنّها ابنة شويشي، وأريدها أن تتعرّف إلى والدها الحقيقي".

أخرج من جيبه كاميرا رقمية صغيرة جدًّا، وأردف قائلًا: "اعتقدت أنّه في إمكاني تسجيل رسالة من شويشي..." بدا متألّمًا وحزينًا وهو يتحدّث عنهما، فحدّقت إليه كازو ثم سألته بهدوء: "ماذا سيحدث بعدها؟"، أرادت أن تعرف ما الذي سيحدث بعد أن تكتشف ابنته أنّه ليس والدها الحقيقي، فارتجف قلب جوتارو رجفات متسارعة ولم يجد ردًّا مناسبًا لسؤالها، فهذه النادلة لن تنخدع بالأكاذيب، ثمّ تحدّث إليها وهو يحدّق إلى الفراغ، كما لو أنّه يُعدّ إجابته، وقال بتعابير هادئة:

"لا أستطيع إلّا أن أرى الأمر على أنّه نهاية دوري بصفتي والدها".



كان جوتارو وشويشي في فريق الركبي نفسه منذ أيّام الجامعة، لكنّهما عرفا بعضهما منذ أن بدآ ممارسة هذه الرياضة في المدرسة الابتدائية، وكانا منضميّن إلى فريقين مختلفين، ولكنّهما في بعض الأحيان كانا يلتقيان خلال مباريات يخوضانها إلى جانب فريقيهما، وهذا لا يعني أنّ أحدهما لاحظ الآخر منذ البداية، وإنّما كانا يلعبان لصالح مدرستيهما الخاصّتين خلال فترة الدراسة الإعدادية والثانوية، ويتنافسان مع فريقين مختلفين في المباريات الرسمية.

ونتيجة لذلك توطّدت علاقتهما تدريجيًا.

التحقا بالجامعة نفسها بالصدفة، وأصبحا زميلين في الفريق نفسه، وكان جوتارو مدافعًا بينما كان شويشي أفضل لاعب خطّ وسط، ولاعب خطّ الوسط هو الذي يُعرف بالرقم 10 المكتوب على ظهره، وهو اللاعب النجم في لعبة الركبي، فهو مثل اللاعب الرابع في ترتيب رمي الكرة في لعبة الكريكيت، أو مثل الرامي في لعبة البيسبول، أو مثل المهاجم في لعبة كرة القدم.

كان شويشي مذهلًا بصفته لاعبًا مهاجمًا، وقد حصل على لقب (شويشي العراف) لأنّ أداءه في أثناء المباريات كان أشبه بالمعجزات التي تتحقّق، وقد لاحظ اللاعبون أنّه يلعب كما لو كان في إمكانه التنبّؤ بما سيحصل في المستقبل.

يتألّف فريق الركبي من خمسة عشر لاعبًا، وهناك عشرة مواقع يلعبون ضمنها، وكان شويشي يلاحظ بدقّة قوّة أو ضعف

اللاعبين الآخرين بفضل موهبته في معرفة أسلوبهم عبر التركيز على الموقع الذي سيستخدمونه قبل التغلّب عليهم، وقد منحه ذلك ثقة اللاعبين المطلقة في نادي الركبي الجامعي، حتّى إنّهم صاروا يعتبرونه قائد فريقهم.

أمّا جوتارو فقد جرّب المواقع المختلفة منذ أن بدأ ممارسة رياضة الركبي في المدرسة الابتدائية، ولم يكن من الأشخاص الذين يمكنهم بسهوله رفض طلبات الناس، وغالبًا ما كان يغطّي غياب لاعب ما عن الفريق، وكان شويشي هو الذي لاحظ أخيرًا أنّ موقع الظهير الخلفي هو الموقع الأفضل لجوتارو الذي لعب في مواقع مختلفة، والظهير الخلفي هو خطّ الدفاع الأخير، ودوره مهمّ جدًّا بالنسبة إلى الفريق، فإذا خرق أيّ لاعب منافس خطّ دفاع فريق جوتارو، كان دوره أن يعرقله بفعالية ويمنعه من إحراز نقطة، وقد أراد شويشي أن يلعب جوتارو في موقع الظهير الخلفي بسبب قدراته المتفوّقة في العرقلة. فهو عندما كان يلعب ضدّ جوتارو في المباريات الرسمية في المدرسة الإعدادية والثانوية، لم يتمكّن ولا حتّى مرة من تجاوزه، وإذا استغلّ الفريق قدرات جوتارو العظيمة في العرقلة، فلن يكون هناك ما يقلق بشأنه، إذ سيكون جداره الدفاعي الحديدي الذي سيمكّنه من تنفيذ الهجوم السريع.

غالبًا ما قال شويشي قبل المباريات: "أعلم جيّدًا عندما تكون في الخلف بأنّ لديّ شخصًا يمكنني الاعتماد عليه".

ثم التقى الاثنان بعد أن تخرّجا من الجامعة بسبع سنوات.

توجّها إلى شقّة شويشي بعد أن تركا المقهى.

كانت يوكو ومولودتهما الجديدة هاروكا ينتظرانهما في المنزل، فلا بدّ أنّ شويشي قد اتّصل بزوجته وهو في طريقه إلى المنزل لأنّها كانت قد جهّزت الحمام لجوتارو الذي استقبلته بابتسامة دافئة، على الرغم من أنّه لا يزال قذرًا وتفوح منه رائحة كريهة.

"أنت المدافع جوتارو إذًا؟ لقد أخبرني شويشي الكثير عنك".

كانت يوكو المولودة في أوساكا أكثر اندفاعًا في الترحيب به من شويشي، فكان من طبيعتها أن تقضي وقتًا وهي تدردش مع الآخرين من دون ملل، وقد استمتعت بجعل الناس يضحكون على دعاباتها، كما كانت أيضًا سريعة البديهة وذات شخصية قويّة، وقد تدبّرت مكانًا يعيش فيه جوتارو وملابسًا يرتديها بسرعة قصوى.

بعد خسارة شركته، لم يعد جوتارو يثق بالناس، ولكن بعد شهرين فقط من بداية العمل في مطعم شويشي، عادت إليه ثقته بالآخرين وابتسامته المشرقة وشخصيّته المبهجة.

عندما كان المطعم يمتلئ بالزبائن الدائمين، كانت يوكو تتحدّث إليهم رافعةً من شأن جوتارو: "منذ أيّام الجامعة، كان أكثر لاعب يثق به زوجي".

على الرغم من أنّه وجد كلامها محرجًا إلّا أنّه رسم ابتسامة على وجهه، وذات مرة أضاف إلى كلامها وهو ينظر إليها نظرة مشرقة تشعّ بالأمل بمستقبل واعد قائلًا: "مهمّتي التالية هي اكتساب السمعة نفسها من خلال المثابرة في العمل هنا".

بدا أنّ كلّ شيء يسير على خير ما يرام.

وبعد ظهر أحد الأيّام، اشتكت يوكو من صداع شديد، لذلك قرّر شويشي أن يأخذها إلى المستشفى.

لم يرغبا في أن يُغلقا المطعم، لذلك بقي جوتارو فيه وقد تعهّد بأن يهتمّ بهاروكا، وكانت بتلات أزهار الكرز متناثرة في الجوّ وكأنّها ندف من الثلج، والسماء الزرقاء الخالية من غيومها بدت ساكنة في ذلك اليوم.

قال شويشي وهو يلوّح بيده شاكرًا: "اعتنِ بهاروكا من أجلي".

كانت تلك المرّة الأخيرة التي رآه خلالها جوتارو، وكان والدا شويشي ويوكو متوفّيين وأجدادهما كذلك ولا أقارب لهما، لذلك تُركت هاروكا وحدها في هذا العالم الموحش وهي في عامها الأوّل.

عندما نظر إلى وجه هاروكا المبتسم خلال جنازة شويشي ويوكو، قرّر أن يربّيها بنفسه، إذ كانت أصغر من أن تنشأ وحيدة بعد أن مات والداها.



صوت الساعة...

دقّت ساعة الحائط ثماني مرّات.

نظر جوتارو إلى الأعلى وقد أذهله الصوت، وكان جفناه ثقيلين والرؤية أمامه ضبابية: "أين؟"، نظر حوله، فرأى داخل المقهى انسجام درجات اللون البنّي الداكن الذي تعكسه المصابيح المظلّلة، والمروحة تتدلّى من السقف وهي تدور ببطء، وكانت العوارض مطلية بلون بنّي داكن، وهناك ثلاث ساعات كبيرة، ومن الواضح أنّها قديمة جدًّا.

استغرق الأمر بعض الوقت حتّى استنتج أنّه كان نائمًا، وكان وحده في المقهى، باستثناء المرأة ذات الفستان الأبيض، فربت على خديه بيديه ليستعيد وعيه، وتذكّر أنّ كازو قالت له: "لا نعلم متى سيصبح الكرسيّ الذي ستستخدمه للسفر عبر الزمن إلى الماضي فارغًا".

لا بدّ أنّه غطّ في نوم عميق.

بدا غريبًا بالنسبة إليه أن يغفو بهذه السرعة بعد أن اتّخذ قرارًا بالغ الأهمّية تمثّل بسفره عبر الزمن إلى الماضي، ولكن لم يكن في وسعه إلّا أن تساوره الشكوك حول النادلة التي تركته وحده وهو في تلك الحالة.

نهض جوتارو، ونادى من في الغرفة الخلفية: "مرحبًا! هل من أحد هنا؟"، ولكنّه لم يتلقَّ أيّ جواب.

نظر إلى إحدى الساعات المعلّقة على الحائط ليتحقّق من الوقت، ثمّ نظر إلى ساعته على الفور، فتبيّن أنّ الساعات العتيقة في المقهى أوّل شيء غريب يلاحظه المرء عند زيارة هذا المكان، فهي تُظهر أوقاتًا مختلفة، فبدت الساعتان الموضوعتان في طرفي الغرفة معطّلتين، إذ كانت إحداهما سريعةً جدًّا والأخرى بطيئةً جدًّا، وقد تعدّدت محاولات إصلاحهما ولكن من دون جدوى.

"إنّها 8:12 مساءً..."

نظر جوتارو إلى المكان الذي كانت تجلس إليه المرأة ذات الفستان الأبيض، وحكاية واحدة لا تزال عالقة في ذهنه من بين كلّ حكايات هذا المقهى التي سمعها من شويشي، وهي حكاية الشبح الجالس على الكرسيّ الذي يتيح السفر عبر الزمن.

كانت الفكرة منافية للعقل ويستحيل تصديقها، ولهذا السبب علقت في ذهنه، وكانت المرأة تقرأ روايتها بتركيز تامّ غافلةً عن نظرات جوتارو، وعندما نظر إلى وجهها، بدأ يشعر بشعور غريب، كما لو أنّه سبق له أن التقى بها، ومع ذلك لم يستطع أن يفهم سبب تلك النظرات على الرغم من أنّها كانت مجرّد شبح، لذلك تجاهل الأمر ببساطة.

فجأة، أغلقت المرأة ذات الفستان الرواية، وتردّد صدى صوت إغلاق الكتاب في كلّ أنحاء المقهى الذي يكتنفه الهدوء، فكاد قلب جوتارو يقفز من مكانه بسبب حركتها غير المتوقّعة، وكاد أن ينزلق من مقعده، فلو كانت مجرّد زبونة بشرية عادية، لما كانت حركتها تلك لتهزّ كيانه، ولكن بعد أن قيل له إنّها شبح...

بالطبع لم يصدّق أنّها شبح، ولكن الصورة المريبة التي رُسمت في ذهنه لا يمكن التخلّص منها بسهولة بعد أن تشبّثت بأفكاره.

وللحظة، شعر بالهلع وبرعشة تنتشر في كلّ جسده، فنهضت المرأة عن الكرسيّ من دون أن تصدر صوتًا متجاهلة ردّ فعل جوتارو، وابتعدت عنه وسارت بصمت نحو المدخل محتضنةً الرواية التي كانت تقرأها كما لو كانت كنزًا ثمينًا بالنسبة إليها.

شعر جوتارو بقلبه ينبض، وراقبها وهي تمرّ أمامه.

عبرت المدخل، واختفت في ممرّ عن يمنيه، والمكان الوحيد الذي يقع في هذا الاتّجاه هو الحمام، فتساءل مستغربًا: شبح يذهب إلى الحمام؟ أمال جوتارو رأسه، وهو ينظر إلى كرسي المرأة الذي سيسافر عبره إلى الماضي، وقد أصبح شاغرًا، فتوجّه إليه وهو يخطو بتردّد

الخطوة تلو الخطوة، والقلق لا يفارقه خوفًا من أنّ تظهر المرأة ذات الفستان فجأة وتكشّر في وجهه تكشيرتها الشيطانية.

بعد أن نظر إليه عن كثب، رأى أنّه مجرّد كرسي بسيط وما من شيء غير مألوف فيه، فقد كان مؤلّفًا من أرجل منحنيةً بشكل أنيق ومقعد وظهر منجّدين بقماش أخضر شاحب اللون، وهو بالتأكيد لم يكن خبيرًا في التحف الأثرية، ولكنّه يستطيع أن يخمّن أنّ صنعه كلّف مبلغًا كبيرًا من المال.

لو جلست على هذا الكرسيّ...

وما إن وضع يده عليه بحذر، حتّى سمع صوت خطوات قادمة من الغرفة الخلفية، فاستدار ليرى فتاة ترتدي منامة، إنّها ميكي ابنة مالك المقهى ما لم يكن مخطئًا، وقد حدّقت إليه بعينيها الكبيرتين المستديرتين، ولم تكن خجولة على الإطلاق من التواصل البصري مع الكبار الذين لم تكن تعرفهم، إلّا أنّ جوتارو هو من شعر بعدم الارتياح تجاه نظراتها المباشرة الجريئة.

قال بصوت مضطرب، وهو يسحب يده عن الكرسيّ: "مساء... مساء الخير".

تقدّمت ميكي نحوه، وسألته وهي تنظر إليه بعينيها الكبيرتين: "مساء الخير يا سيّدي، هل تريد السفر عبر الزمن إلى الماضي؟".

"حسنًا، كما ترين...".

كان جوتارو يتلعثم في كلامه، ولم يكن متأكّدًا من كيفية الإجابة عن هذا السؤال.

أمالت ميكي رأسها بفضول متجاهلة ارتباكه: "لماذا؟".

كان قلقًا من عودة المرأة ذات الفستان في أثناء حديثه مع ميكي، فسألها: "هل يمكنك مناداة أحد الموظّفين؟"، إلّا أنّ ميكي تجاهلت طلبه تمامًا، وتجاوزته وجلست أمام المقعد الذي كانت المرأة جالسة عليه.

قالت وهي تنقّل نظراتها من المقعد الفارغ إلى جوتارو: "لقد ذهبت كانامي إلى الحمام".

"كانامي؟".

نظرت ميكي بصمت إلى مدخل المقهى، فتبع جوتارو نظراتها، ثمّ أومأ إليها برأسه بعد أن فهم ما تقصده: "وهل اسمها كانامي؟"، سحبت ميكي يده بدلًا من الإجابة، وحثّته قائلةً: "اجلس".

تناولت فنجان القهوة الخاصّ بالمرأة بأسلوب اعتيادي، ومشت باتّجاه المطبخ، ثمّ توارت عن نظره من دون أن تمنحه الفرصة للاحتجاج، بينما كان يحدّق إليها في ذهول فاغرًا فمه وهو يتساءل: هل يمكن أن تساعدني في السفر إلى الماضي؟

انزلق بين الكرسي والطاولة وجلس عليه والقلق مرتسم على وجهه، فلم يكن يعرف ما يجب عليه فعله للقيام برحلته إلى الماضي، لكنّه شعر بسعادة غامرة ما إن جلس على الكرسي.

بعد فترة، عادت ميكي وهي تحمل غلّاية فضّية وفنجان قهوة أبيض على صينية ترتجف بين يديها، ووقفت إلى جانب جوتارو، وقالت بينما كانت الصينية تتأرجح: "سأسكب لك القهوة الآن".

كاد جوتارو يسأل: هل يمكنكَ حقًّا فعل هذا؟ لكنّه كبح لسانه.

أجاب بتعبير شديد القلق: "حقًّا؟".

لم ترَ ميكي النظرة على وجهه، لأنّها رنت بعينيها الكبيرتين المتحمّستين إلى الفنجان الذي وضعته على الصينية، وواصلت تفسيرها: "من أجل العودة إلى الماضي..."

في تلك اللحظة، ظهر ناغار من الغرفة الخلفية وهو لا يزال يرتدي قميصه وبنطاله، وقال بحسرة: "يا إلهي يا ميكي، ماذا تعتقدين نفسك فاعلة؟"، بدا من نبرة صوته وكأنّه يقول لها: "يا إلهي، لن تفعلي ذلك مجدّدًا"، أكثر ممّا بدا أنّه غاضب.

"أنا أقدّم إلى السيّد قهوته".

"لا يمكنك القيام بذلك".

"سأقدّمها إليه".

"توقّفي عن القيام بذلك في الحال".

تنهّدت الصغيرة ميكي ونظرت بغضب إلى ناغار العملاق، وهي لا تزال تمسك بالصينية المرتجفة وغير المستقرّة.

ضاقت عينا ناغار الصغيرتان اللوزيتان، وزمّ شفتيه، وعبس وهو ينظر إلى ميكي، فبدا الأمر وكأنّهما يخوضان مواجهة حادّة، وأنّ من سيتحدّث أوّلًا سيخسر المعركة.

ظهرت كازو من دون أن يلاحظها أحد من خلف ناغار، وركعت أمام ميكي.

"أنا..."

عندما نظرت كازو إلى عينيها مباشرة وهي في مستوى نظرها، تحوّلت نظرات عيني ميكي الكبيرتين تدريجيًا من الغضب إلى الحزن، واغرورقتا بالدموع، وبدا أنّ ميكي أدركت في تلك اللحظة أنّها خسرت، فابتسمت لها كازو بحرارة وقالت وهي تأخذ الصينية بهدوء: "سيأتي دورك لاحقًا".

نظرت ميكي إلى ناغار بعينين دامعتين، وقال ببساطة: "طبعًا"، ومدّ يده برفق، وقد بدا وجهه شديد الصرامة والحزم.

قالت ميكي وهي تمسك باليد الممدودة إليها وتتوجّه إلى جانبه: "كما يحلو لك"، فتبدّدت تعابير التحدّي التي أبدتها قبل لحظات. فعندما تنزعج ميكي وتستاء بهذا الشكل، يمكن تغيير مزاجها بسرعة من دون أن يطول أمده، ففكر ناغار وهو يراقبها بشدّة الشبه بينها وبين والدتها، ولا سيّما ابتسامتها الحزينة.

استنادًا إلى الطريقة التي تعامل بها كازو ميكي، استنتج جوتارو أنّ هذه النادلة ليست والدة الفتاة، ما جعله يتعاطف مع معاناة ناغار في التعامل مع فتاة في مثل هذا العمر، فقد حظي بتجربته الخاصّة في أثناء تربية هاروكا بصفته أبًا عازبًا.

قالت كازو بهدوء وهي تقف إلى جوار جوتارو الذي لا يزال جالسًا على المقعد الصحيح: "لننتقل الآن إلى تحديد القواعد الثابتة".

كان المقهى صامتًا كالعادة، وقد سمع جوتارو القواعد من شويشي منذ أكثر من عشرين عامًا، لكنّه بالكاد يستطيع تذكّرها الآن، فقد تذكّر ما يلي: إنّك تستطع السفر عبر الزمن إلى الماضي، وإنّ الواقع

لن يتغيّر بغضّ النظر عمّا تفعله، وإنّ هناك شبحًا يجلس على الكرسي، ولم يكن ما يتذكّره واضحًا بشأن أيّ تفاصيل أخرى، لذلك رحّب بأن تشرح كازو هذه القواعد.

"القاعدة الأولى تشير إلى أنّك على الرغم من استطاعتك السفر عبر الزمن إلى الماضي، إلّا أنك لا تستطيع أن تقابل سوى الأشخاص الذين زاروا المقهى".

فلم تفاجئه هذه القاعدة، لأنّ شويشي قد سبق ودعاه إلى المقهى، ولم يكن لديه شكّ في أنّه زاره.

بما أنّ وجه جوتارو لم يُظهر أيّ علامة من علامات القلق، استمرّت كازو بشرح باقي القواعد بسرعة، فأخبرته بأنّه ما إن يصل إلى الماضي لن يستطيع تغيير الحاضر، وبأنّه ما من سبيل إلى العودة إلى الماضي إلّا بالجلوس على الكرسيّ وعدم مبارحته وإلّا سيعاد قصرًا إلى الحاضر.

علّق جوتارو قائلًا: "حقًّا؟"، لكنّ القواعد كانت كما توقّعها، فلم يستغرب أيّ قاعدة منها.

قال: "حسنًا، لقد فهمت".

أمرته كازو عندما أنهت شرحها قائلة: "من فضلك انتظرني ريثما أعيد صنع القهوة"، وتوجّهت إلى المطبخ، وتركته جالسًا على الكرسيّ، وناغار وميكي يقفان أمامه.

سأل جوتارو ناغار: "عفوًا، أعتذر على فضولي، ولكنّها ليست زوجتك أليس كذلك؟".

لم يَبدُ من خلال سؤاله أنّه يسعى إلى إجابة بقدر ما كان وسيلة لافتتاح محادثة.

أجاب ناغار وهو ينظر إلى ميكي: "لا، إنها ابنة عمّي، والدة ميكي... عندما ولدتها..."

لم يستمرّ ناغار بطرح أسئلته، لا لأنّه كان مخنوقًا بمشاعر الألم، ولكن ببساطة لأنّه كان يعتقد أنّه قد أوصل إليه الرسالة بالفعل.

قال جوتارو: "فهمت..."

فتوقّف عن طرح الأسئلة، وحدّق إلى ناغار، ثم إلى ميكي، وخلص إلى أنّها تشبه والدتها بالتأكيد، وانتظر عودة كازو بعد أن توصّل إلى هذه النتيجة، وسرعان ما عادت وهي تضع على الصينية التي تحملها ركوة فضّية وفنجان قهوة أبيض، ففاحت رائحة القوة في أنحاء المقهى، وبدا أنّها تغلغلت عميقًا في صدر جوتارو.

وقفت كازو إلى جانب الطاولة حيث كان يجلس جوتارو وتابعت الشرح.

قالت وهي تضع الفنجان الأبيض أمامه: "سأقدّم لك القهوة الآن".

"حسنًا".

نظر جوتارو إلى الفنجان الخالي على الصينيّة، فأعماه بياضه الناصع والصافي، وتابعت كازو كلامها قائلة: "سيبدأ الوقت الذي ستمضيه في الماضي منذ اللحظة التي سأصبّ فيها القهوة وسينتهي عندما تبرد".

"حسنًا".

لا يبدو أنّ الأخبار التي تفيد أنّه لا يمكنه العودة إلى الماضي إلّا لفترة قصيرة قد فاجأته، وربما يكمن السبب في أنّ شويشي سبق له أن أخبره بهذه القواعد.

أومأت كازو إليه برأسها إيماءة صغيرة، وأكملت قائلة: "هذا يعني أنّه يجب عليك أن تشرب القهوة قبل أن تبرد، وإذا لم تشربها قبل ذلك..." كان عليها الآن أن توضح أنّه سيصبح شبحًا ويستمرّ في الجلوس على هذا الكرسيّ، فهذه القاعدة هي التي جعلت العودة إلى الماضي مخاطرة كبيرة، فكانت عدم القدرة على مقابلة من تريد مقابلته أو عدم القدرة على تغيير الواقع أمورًا تافهة مقارنة بالمخاطرة الكبيرة المتمثّلة بالتحوّل إلى شبح.

ومع ذلك فقد تجنّبت كازو تفسير كلماتها على أنّها مجرّد مزحة، للتأكّد من أنّ هذه الكلمات كان لها وقع مؤثّر سعت إليه دائما، فتوقّفت قليلًا قبل أن تكمل.

قاطعها جوتارو بكلمات بدت متسرّعة: "يتحوّل المرء إلى طيف، أليس كذلك؟".

سأل ناغار الذي كان يستمع إليهما من مسافة بعيدة: "ماذا؟".

كرّر جوتارو من دون تردّد: "طيف، فعندما أخبرني شويشي القواعد، بدا ذلك جنونيًا جدًّا... المعذرة، ولكن كان من الصعب تصديق ذلك، وأتذكّر الآن ما قاله بوضوح".

من التجارب السابقة، تبيّن أنّ الضرر كان شديدًا على أقارب من لم يتبع هذه القاعدة، وبدلًا من التفكير في الزبون الذي أصبح شبحًا،

كان ناغار يفكّر في الأشخاص الذين تركهم، وإذا حدث ذلك لجوتارو، فستكون صدمة ابنته هاروكا كبيرة.

مع ذلك ولسبب ما لا يبدو أنّ جوتارو أدرك خطورة الأمر، فتلفّظه بعبارة "مثل الطيف" تعني أنّه لا يأخذ الأمر على محمل الجدّ، لكنّ عيني جوتارو بدتا جادّتين، لذلك فقد كانت إجابة ناغار أكثر غموضًا بدلًا من إخباره بأنّ ما يقوم به كان خاطئًا، فحاول الردّ بصعوبة بالغة: "في الحقيقة... لا..."

لكنّ إجابة كازو كانت واضحة، فأكّدت ببرود: "هذا صحيح".

نطق ناغار متفاجئًا من إجابتها: "ماذا؟"، اتّسعت عيناه اللوزيتان، وفتح فاه.

وقفت ميكي إلى جانبه، وربما لم تكن تعرف ما هو الشبح، فنظرت إلى ناغار وحدّقت إليه بعينيها الدائريتين، ومع ذلك، استمرّت كازو في شرح القواعد غير منزعجة من اضطراب ناغار.

"يجب ألّا تنسى أنّك إذا لم تنتهِ من شرب القهوة قبل أن تبرد، فستتحوّل إلى الطيف المخيف الذي سيبقى جالسًا على الكرسيّ إلى الأبد".

كان من الطبيعي أن تستخدم كازو كلمات جوتار، لكنّها ربما كانت قد اختارت المصطلح نفسه لأنّه كان من الأسهل القيام بذلك فحسب، وعلى أيّ حال كان واضحًا ما قصدته: سواء أأطلقت عليه اسم الشبح أم الطيف المخيف فالأمر سيّان.

"ماذا بشأن المرأة التي كانت تجلس على الكرسيّ؟"، سأل جوتارو سؤاله ملمّحًا إلى أنّها لم تعد من الماضي.

أكّدت كازو: "نعم، لم تعد من الماضي".

استفسر جوتارو: "أتساءل لماذا لم تكمل قهوتها؟"، فكان استفساره من باب الفضول، لكنّه جعل قناعًا مخيفًا يغطّي وجه كازو، وللمرّة الأولى وجد أنّ تعابيرها بدت غامضة وغير قابلة للتفسير.

فكّر جوتارو في أنّه ما كان يجدر به أن يطرح هذا السؤال، لكنّ كازو وضعت هذا القناع للحظة فقط، ثم نزعته وتابعت كلامها.

صرّحت بعبارات تشير إلى أنّه لن تكون هناك حاجة إلى أن تروي ما حدث مرّة أخرى: "لقد عادت إلى الماضي لمقابلة زوجها الميت، ولكن لابدّ من أنّها فقدت إحساسها بالزمن، ولم تدرك ذلك إلّا بعد أن بردت القهوة".

أجاب جوتارو متعاطفًا معها إلى حدّ ما: "فهمت"، ثمّ نظر إلى المدخل الذي اختفت داخله المرأة ذات الفستان.

لم يطرح مزيدًا من الأسئلة، لذلك سألته كازو: "هل أصبّها؟"

أجاب بخوف وقلق: "نعم من فضلك".

حملت كازو الركوة الفضّية الموضوعة على الصينية.

لم يكن جوتارو يعرف شيئًا عن أدوات المائدة، لكنّه عرف فورًا أنّ هذه الركوة الفضّية البرّاقة تستحقّ دفع مبلغ كبير مقابل الحصول عليها، ثم أعلنت كازو قائلة: "سأبدأ الآن".

عندما نطقت بتلك العبارة، شعر جوتارو بأنّ هالتها قد اتّسعت، وفجأة انخفضت درجة الحرارة بسرعة كبيرة حتّى بدا وكأنّه يمكن قطع الهواء المتجّمد بالسيف، فرفعت كازو الغلّاية الفضّية إلى الأعلى قليلًا،

ونطقت بكلماتها قائلة: "اشرب القهوة قبل أن تبرد"، ثم بدأت تخفض الفوهة نحو الفنجان ببطء، وكانت حركاتها تنمّ عن جمال وسحر، كما لو كانت تؤدّي طقوسًا تقليدية.

عندما كانت الفوهة على بعد بضعة سنتيمترات من الفنجان بدا كلّ شيء من حوله صامتًا ولا يتحرّك، ثمّ ظهر خطّ أسود من القهوة الداكنة، وارتفع مستواها في الفنجان شيئًا فشيئًا، والقهوة التي كانت تملأ الوعاء باتت تشبه الظلّ الأسود.

من خلال هذا التسلسل الساحر للحركات، رأى جوتارو عمودًا من البخار يتصاعد من الفنجان، وبينما كان يشاهد البخار، أحسّ بشيء غريب، وكأنّ الدوار يكتنفه، وبدأ كلّ ما يحيط بالطاولة يموج، ففرك عينيه خوفًا من أن تعتريه موجة أخرى من النعاس.

وصرخ من دون قصد: "يا إلهي..."

اتّحد جسده ويداه مع بخار القهوة، ولم يكن محيطه هو الذي يتأرجح ويتخبّط بل كان جسده نفسه. وفجأة، بدأ محيطه بالتحرّك بحيث كان كلّ شيء من فوقه يسقط ويمرّ أمامه بسرعة مذهلة، وبعد أن عانى من كلّ ذلك، صرخ قائلًا: "توقّفوا! توقّفوا!" فهو لم يكن يحبّ الجولات المخيفة، فقد جعله مجرّد مشاهدتها يشعر بالدوار، ولكن ولسوء حظّه، بدا أنّ محيطه يتخطّاه بشكل أسرع فأسرع، إلى أن عاد به الزمن إلى اثنتين وعشرين سنة مضت، فشعر بالدوار يتزايد أكثر فأكثر، ثمّ عاد وعيه بالتدريج عندما أدرك أنّه رجع إلى الماضي.



بعد وفاة شويشي وزوجته، أدار جوتارو المطعم بمفرده كما اهتمّ بتربية هاروكا وحده، وحتّى عندما كان شويشي حيًّا، فكان يعمل بجدّ مظهرًا مواهبه المتعدّدة في إدارة المطعم بمفرده متنقّلًا بين الطبخ والمحاسبة.

لكن جوتارو العازب وجد أنّ تربية طفلة صغيرة أصعب ممّا تخيل، فلم تكن قد تجاوزت عامها الأوّل، وهذا يعني أنّها كانت لا تزال تخطو أولى خطواتها، وأنّها تحتاج إلى شخص يراقبها طوال الوقت، وكثيرًا ما بكت في الليل وهذا حرمه من النوم، وعندما دخلت الحضانة، اعتقد أنّ الحياة ستصبح أسهل، لكنّها أصبحت شديدة الخوف والقلق من الغرباء، وكرهت الذهاب إلى الحضانة، فكانت تنفجر بالبكاء كلّ يوم عندما يحين وقت المغادرة.

عندما كانت في المدرسة الابتدائية، كان ترغب أحيانًا في أن تساعده في أعمال المطعم، لكنّها كانت تتحوّل دائمًا إلى مصدر إزعاج للجميع، فلم يكن من السهل معرفة ما تريده من خلال تعبيرها بالكلمات، وعندما لم يكن يصغي إليها كانت تعبس في وجهه، وعندما تصاب بالحمّى كان يأخذها مباشرة إلى الطبيب، كما كان يرافقها إلى المناسبات الاجتماعية الخاصّة بالأطفال والتي كانت على نطاق واسع. وفي الإجازة، كانت تزعجه عندما تلحّ على أن يصطحبها إلى الملاهي، أو عندما كانت تصرّ على الحصول على هذا الغرض أو ذاك، وما إن أصبحت في المرحلة الإعدادية مرحلة التمرّد والعصيان ازدادت طباعها سوءًا. وذات مرة خلال أيّام المدرسة الثانوية تلقّى اتّصالًا من الشرطة بعد أن ضُبطت وهي تسرق

من متجر، لقد أوقعت هاروكا المراهقة نفسها في جميع أنواع المشاكل، ولكن مهما كانت الظروف صعبة، لم يشكّك جوتارو أبدًا في عزمه على توفير تنشئة سعيدة لهذه الفتاة التي تُركت وحيدة في هذا العالم.

وقبل ثلاثة أشهر فقط، عرّفته إلى رجل يُدعى ساتوشي أوبي، وأعلنا أنّهما كانا يتواعدان، وأنّ احتمال أن تؤدّي هذه العلاقة إلى الزواج كبير.

في زيارته الثالثة، قال ساتوشي لجوتارو: "من فضلك امنحني بركاتك من أجل الزواج من هاروكا".

أجاب ببساطة: "لك بركتي".

كلّ ما أراده هو أن تكون سعيدة، ولن يعترض طريق سعادتها.

بعد التخرّج من المدرسة الثانوية، أصبحت هاروكا أكثر منطقية، فقررت الالتحاق بمعهد الطهي لتصبح طباخةً، وهناك قابلت أوبي، وبعد أن تخرّجا معًا من المعهد، حصل على وظيفة في فندق في منطقة إكيبوكورو في طوكيو، أمّا هاروكا فبدأت تساعد والدها في المطعم.

بدأ جوتارو يشعر بالذنب الشديد للكذب عليها بعد الإعلان عن حفل زفافها، فقد ربّاها لمدّة اثنتين وعشرين سنة، وأخبرها بأنّها ابنته الحقيقية لكي يُخفي عنها حقيقة أنّه لم يكن لديها أقارب أحياء، ولم يطلعها أبدًا على محتويات سجلّ الأسرة، ولكنّها ستتزوج الآن، وقد أصبح كلّ شيء مختلفًا، وعندما ستذهب إلى مكتب التسجيل لتسجيل زواجها ستكشف أنّها يتيمة، وأنّ ما عاشته كان أكذوبة جوتارو التي احتفظ بها طوال هذه السنوات.

بعد أن عانى من اضطراب أفكاره وتزاحمها في عقله، قرّر أخيرًا اطلاعها على الحقيقة قبل الزفاف، كما قرّر أن يقول لها إنّ الأب الحقيقي أراد أن يحضر بشدّة حفل زفافها.

من المحتمل أن تؤذيها الحقيقة، ولكن لم يكن بيده حيلة.



"اعذرني يا سيّدي؟".

استيقظ جوتارو وهو يشعر بيد شخص تهزّ كتفه، وكان يقف أمامه رجل كبير البنية، ويرتدي بنطالًا أسود اللون ومئزرًا بنّيًا داكنًا فوق قميص أبيض، وقد طوى كمّيه إلى مرفقيه. فتعرّف جوتارو إلى العملاق، إنّه ناغار صاحب المقهى، لكنّه كان أصغر عمرًا بكثير، فبدأت ذكرى ذلك اليوم بالظهور من داخل تجاويف دماغ جوتارو.

كان على يقين من أنّ هذه النسخة الشابّة من المالك ناغار كانت قبل اثنين وعشرين عامًا، إلّا أنّ بقية الأشياء في المقهى كمروحة السقف التي تدور ببطء، والأعمدة والعوارض ذات اللون البنّي الداكن، والجدران ذات الألوان البنّية، والساعات الثلاث المعلّقة على الحائط التي تظهر كلّ منها وقتًا مختلفًا، فلم تتغيّر.

لو لم يكن ناغار الشابّ واقفًا أمامه لما لاحظ أنّه سافر عبر الزمن إلى الماضي. ومع ذلك، كلّما أمعن النظر في المقهى، ازدادت سرعة ضربات قلبه، فهو ليس هنا، ولو عاد إلى اليوم الصحيح، لتوجّب أن يكون شويشي هنا، ولكنّه ليس موجودًا. فكّر في القواعد المختلفة التي

قيلت له، وأدرك أنّهم لم يخبروه أبدًا كيف عليه أن يعود إلى اليوم الصحيح، وعلاوة على ذلك، كان وقته في الماضي يمتدّ إلى فترة قصيرة فقط، وهي فترة برود قهوته، وربما وصل قبل رجله المنشود، أو ربما كان رجله المنشود قد غادر المقهى بالفعل.

صاح جوتارو وهم بالوقوف من دون تفكير: "شويشي"، ولكن قبل أن يفعل ذلك، شعر بيد ناغار الضخمة على كتفه تدفعه إلى كرسيّه، وتمتم: "إنّه في الحمام".

كان جوتارو يبلغ من العمر واحدًا وخمسين عامًا وهو رجل ممتلئ الجسم، لكنّ ناغار وضع يده على كتفه بخفّة وكأنّه يربت على رأس طفل.

"الرجل الذي أتيت لمقابلته في الحمام، وسيعود قريبًا، لذا بدلًا من النهوض يستحسن أن تنتظره".

أصبح جوتارو أكثر هدوءًا بعد كلام ناغار معه، فوفقًا للقواعد النهوض عن الكرسيّ يعيدك فورًا إلى الحاضر، إذًا، فمن المرجّح أنّه كان سيعود إلى الحاضر لولا تدخّل ناغار.

"صحيح، شكرًا لك".

أجاب ناغار: "لا مشكلة"، وتوجّه من جديد إلى خلف المنضدة، ووقف وهو يطوي ذراعيه أمامه.

عندما كان يقف هناك، لم يبدُ أنّه نادل، بل بدا كحارس يحرس القلعة.

لم يكن هناك أحد سواه في المقهى.

ولكن في ذلك اليوم كان هناك زبائن في المقهى، في ذلك اليوم قبل اثنتين وعشرين سنة، كان هناك زوجان جالسان إلى الطاولة الأقرب إلى المدخل وشخص آخر جالس إلى المنضدة.

وكان هناك رجل شبه مسنّ يرتدي بذلة، وكان شارباه مشذّبين، وهو يجلس حيث كان جوتارو جالسًا قبل اعتلائه المقعد الذي يعيدك إلى الماضي، وبدا مظهر الرجل المحترم قديم الطراز، ومن الواضح أنّ جوتارو تذكّره، لأنّه اعتقد أنّه يبدو وكأنّه قد سافر عبر الزمن منذ عشرينيات القرن الماضي.

مع ذلك، فقد غادر الزبائن الثلاثة الآخرون بسرعة حينها، ربما لأنّهم لم يتمكّنوا من تحمّل مظهر جوتارو المزري أو رائحته الكريهة، ثم تذكّر فور دخولهما، إعلان شويشي بحماسة أنّ هذا المقهى الغامض هو المكان الذي يمكّنك من السفر عبر الزمن، ثم بعد الاستماع إلى روايته وما حدث له، ذهب إلى الحمام، فمسح جوتارو العرق عن جبينه براحة يده، وأخذ نفسًا عميقًا من أنفه، ثم ظهرت فتاة في المدرسة الابتدائية من الغرفة الخلفية وهي تحمل حقيبة ظهر جديدة.

صرخت الفتاة وهي تصول وتجول في المقهى: "هيا يا أمّي، أسرعي!"

قال ناغار الشابّ للفتاة التي كانت تدور وسط المقهى وذراعاه ما زالتا مطويّتين: "أراهن أنّك سعيدة الآن، أليس كذلك؟".

ردّت الفتاة التي بدت سعيدة من خلال الابتسامة التي ارتسمت على شفتيها: "نعم"، وخرجت من المقهى.

كان لدى جوتارو بقايا ذكريات عن هذه الأحداث، ولم يُبدِ في ذلك الوقت اهتمامًا كبيرًا بما يحدث، لكنّه كان واثقًا من أنّ امرأةً بدت وكأنّها والدة الفتاة ستخرج قريبًا من الغرفة، فاستدار ونظر نحو الغرفة الخلفية.

فظهرت المرأة وهي تقول: "توقّفي، انتظريني من فضلك!" كان شعرها أسود جميلًا وبشرتها شاحبة كما بدت ناعمة وشفّافة، وربما هي في أواخر العشرينيات من عمرها، وكانت ترتدي سترة خوخية باهتة، وتنوّرة ذات كشاكش.

تمتمت: "يا إلهي، ما الذي سأفعله مع هذه الطفلة؟ حفل الترحيب بالطلّاب الجدد لن يُقام قبل الغد"، ورفعت يديها مبديةً امتعاضها، ولكنّها لم تبدُ فزعة.

كشف تعبيرها عن الفرح أكثر من أيّ شيء آخر عندما تنهّدت بعمق.

شعر جوتارو بالدهشة عند رؤية وجه المرأة، هل هذا صحيح؟ هل سبق له أن رأى وجهها، لقد كانت تشبه تمامًا المرأة ذات الثوب الأبيض التي كانت تجلس على هذا المقعد وتقرأ رواية قبل مجيئه إلى الماضي، ربما هما شخصان مختلفان ولكنّهما يبدوان متشابهين، ذاكرة الإنسان شيء غامض على كلّ حال، إنّها شخص كان ينظر إليه قبل قليل، ولكنّه يشعر بتشوّش الأفكار في دماغه.

سأل ناغار الشابّ المرأة وهو يفتح ذراعيه ويحدّق بها بحنان: "هل أنت متأكّدة من أنّك ستكونين على ما يرام؟"، يصعب قراءة تعابيره،

ولكنّ نبرة صوته كشفت عن قلقه عليها.

قالت وهي تطمئنه بابتسامة قصيرة وإيماءة برأسها: "بالطبع سأكون بخير، سنخرج لمشاهدة أزهار الكرز في الحيّ وحسب".

قد يعتقد المرء أنّ المرأة كانت في حالة صحّية سيّئة بناءً على المحادثة بينهما، ولكن من خلال ما رآه جوتارو لم يبدُ عليها أيّ إشارة إلى التعب. فبعد أن ربّى هاروكا وهو أب عازب، كان يعرف تمامًا ما الذي يعنيه تقديم التضحيات إذا كان ذلك سيجلب الفرح للطفل.

قالت المرأة وهي تتقدّم نحو المدخل: "شكرًا لك على الاهتمام بالمقهى يا ناغار، هذا يساعدني حقًّا".

استدارت لتنظر حولها مرّة أخيرة، وأومأت برأسها إلى جوتارو وغادرت.

رنين جرس الباب

عاد شويشي كاميا من الحمام وكأنّه تبادل الأماكن مع المرأة، فاختفت كلّ الأفكار المتعلّقة بالمرأة من رأس جوتارو لحظة ظهور شويشي، واستعاد ذكرى مهمّته الأصلية مرّة أخرى.

بدا شويشي الشابّ الذي يتذكّره وبعبارة أخرى لا بدّ أنّ جوتارو بدا كبيرًا في السنّ بالنسبة إلى شويشي، ولكن ماذا إن تقدّم جوتارو الذي كان يتحدّث إليه شويشي قبل قليل في السنّ فجأة، في أثناء دخوله إلى الحمام. وها هو يحدّق إلى جوتارو محتارًا.

"شويشي".

بينما كان يتحدّث جوتارو، رفع شويشي يديه وقال مقاطعًا: "انتظر، انتظر، انتظر!"

كان يحدّق إلى جوتارو بعدائية، وبدا وكأنّه قد تجمّد في مكانه كتمثال ساكن، ولا يبدو هذا جيّدًا، فاعتقد جوتارو أنّ شويشي سيستوعب بالتأكيد الموقف فورًا، إذا ظهر فجأة أمامه وقد تقدّم في السنّ. فبعد كلّ شيء، كان شويشي هو من أخبره بأنّه يمكن السفر عبر الزمن في هذا المقهى، فكان لديه أسباب كثيرة لثقته بشويشي أيضًا، ولطالما كانت سرعة البديهة نقطة قوّته. فعندما يتعلّق الأمر بمهارات الملاحظة، والقدرة على تحليل الأشياء، والحكم على الأمور، يُظهر شويشي موهبة تفوق الوصف، وقد شهد جوتارو في مناسبات عديدة توظيف هذه المهارات في مبارياته في ملاعب رياضة الركبي، فكان يدرس شخصية الخصم وعاداته بتمعّن قبل بدء المباراة، ويخزّن كلّ المعلومات في رأسه، كما كان يلعب بشكل مثالي بصفته صانع ألعاب، بينما يسخر من اللاعبين المنافسين، ولم يخطئ أبدًا في تحليله أو حكمه على الأمور مهما كان الوضع معقّدًا.

مع ذلك، يبدو أنّ الظروف الحالية كانت غريبة للغاية، ويصعب تصديقها، حتّى بالنسبة إليه، فقال جوتارو في أثناء وضعه يديه حول الفنجان ليتحقّق من سخونته: "شويشي، في الحقيقة..."

كان سيشرح الوضع الحالي، لكنّ الفنجان برد أسرع ممّا توقّع، ولم يكن لديه ما يكفي من الوقت ليشرح بالتفصيل كلّ ما جرى، فبدأت قطرات العرق تتجمّع مرّة أخرى على جَبِينه، ماذا يمكنني أن أقول له؟ أأقول له إنّه مات؟ وإذا شرح له كلّ شيء، فستبرد القهوة، وإذا لم يصدّق

أنّه قد جاء من المستقبل، فستكون رحلته عديمة الجدوى. فهل يمكنني شرح ذلك بشكل واضح بما فيه الكفاية؟ لا، لا أعتقد أنّني أستطيع، لقد أدرك جوتارو أنّه كان سيّئًا جدًا في التفسيرات، ربما لو كان لديه ما يكفي من الوقت لتمكّن من التفسير بشكل أدقّ، ولكن لم يكن لديه أيّ فكرة عن المدّة التي تبقت له قبل أن تبرد القهوة، فنظر إليه شويشي بريبة، كما لو كانت نظرته تحرق أعماق قلب جوتارو.

بدأ جوتارو ينطق بالكلمات وهو يعلم أنّ عليه أن يقول شيئًا: "لا أتوقّع منك أن تصدّقني مهما حاولت أن أشرح لك، ولكن..."

سأله شويشي بحذر شديد كما لو كان شخصًا غريبًا لا يفهم لغته المحلّية: "لقد أتيت من المستقبل، أليس كذلك؟".

أجاب جوتارو بصوت عالٍ على الفور بحماسة بسبب تحليل شويشي الدقيق: "نعم".

فرك شويشي رأسه براحة يده، وغمغم بشكل مضطرب، وواصل أسئلته: "من أيّ عام قدمت؟".

"ماذا؟".

"من أيّ سنة في المستقبل تحديدًا؟"، كان عقله منفتحًا على كلّ الاحتمالات، ولكنّه بدا متشكّكًا في الوقت نفسه، فقد بدأ شويشي يجمع المعلومات، وهذا بالضبط ما اعتاد فعله قبل كلّ مباراة الركبي، فهو يجمع المعلومات الضرورية على مهل، ولم يتغيّر أسلوبه.

قرّر وهو يواجه أسئلة شويشي الإجابة عنها بصدق، وستكون هذه أسرع طريقة لكسب تفهّمه.

"جئت بعد مضيّ اثنين وعشرين عامًا".

اتّسعت عينا شويشي: "بعد اثنين وعشرين عامًا؟"، لم يرَه جوتارو أبدًا وهو متفاجئ إلى هذه الدرجة، حتّى عندما رآه يعيش على سجّادة في الشارع، وعلى الرغم من أنّ شويشي أخبر جوتارو عن الشائعات المحيطة بهذا المقهى، إلّا أنّه لم يتوقّع أبدًا أن يجد نفسه في مواجهة مع شخص من المستقبل، بالإضافة إلى ذلك، ومع الأخذ بعين الاعتبار أنّ جوتارو شاخ اثنين وعشرين عامًا في أثناء وجود شويشي في الحمام، فلا عجب في أنّه فوجئ.

غمغم شويشي قائلًا وقد لانت تعابير وجهه: "لقد تقدّمت في السنّ بالتأكيد"، كان ذلك علامة على أنّه تخلّى عن دفاعاته.

أجابه جوتارو بجدّية: "أعتقد أنّني تقدّمت في السنّ فعلًا".

ها هو ذا رجل في منتصف العمر، يبلغ من العمر واحدًا وخمسين عامًا، يتصرّف مثل طفل خجول أمام هذا الشابّ البالغ من العمر تسعة وعشرين عامًا.

بالنسبة إلى جوتارو، كان يلتقي مرّة أخرى بملاكه الحارس، الملاك الذي ساعده في استعادة حياته.

قال شويشي وقد احمرّت عيناه: "لكنّك تبدو لائقًا وبصحّة جيّدة، أليس كذلك؟".

"نعم، ما المشكلة؟".

كاد جوتارو ينهض عن مقعده، متفاجئًا من النظرة التي تعلو وجه شويشي، فكان يتوقّع أنّه سيصاب بالصدمة لرؤيته وقد تقدّم في العمر

فجأة، لكنّه لم يتوقّع رد فعله هذا.

اقترب شويشي وأبقى عينيه على جوتارو وجلس أمامه، وكان المكان هادئًا لدرجة أنّه يمكن سماع صوت الدموع تتساقط وترتطم بالطاولة.

قال جوتارو بقلق وتردّد: "شويشي".

عندها قال شويشي بصوت مرتجف: "البذلة التي ترتديها أنيقة".

ساد الصمت مرّة أخرى.

"إنّها تلائمك".

لقد ظهر جوتارو هنا أمام شويشي بالشكل المستقبلي للصديق المقرّب الذي كانت حياته على وشك أن تنهار، فكان جوتارو الذي قابله قبل قليل في الشارع مدمّرًا ويائسًا، لهذا السبب يشعر الآن بفرحة عميقة نابعة من القلب لرؤية جوتارو أمامه.

"جئت بعد اثنين وعشرين عامًا؟ أراهن أنّك مررت ببعض الأوقات الصعبة وأنت تسلك الطريق وصولًا إلى هذه المرحلة؟"

"هذا ليس صحيحًا، فقد مرّت السنوات بسرعة كبيرة..."

"حقًّا؟"

"نعم..."

ابتسم شويشي ابتسامة عريضة بالرغم من أنّ عينيه لا تزالان حمراوين، وقال جوتارو بهدوء لهذا الوجه المبتسم: "الفضل لك".

"فهمت ذلك".

ضحك شويشي محرجًا، وأخرج منديلًا من سترته ونظّف به أنفه، لكنّ دموعه ظلّت تتساقط على الطاولة: "حسنًا، ما الأمر؟"، حدّق شويشي إلى جوتارو كما لو كان يسأل: لماذا أتيت؟ فلم يقصد أن يبدو الأمر وكأنّه يستجوبه، لكنّه كان يعرف قواعد المقهى، ولا سيّما قاعدة الوقت المحدّد للمّ شملهما، فهو لم يتخيّل أن يأتي جوتارو لرؤيته من دون سبب، لذا بدلًا من التمادي في إظهار العاطفة، شعر أنّ لاخيار أمامه سوى الدخول في صلب الموضوع مباشرة، إلّا أنّ جوتارو لم يكن مباشرًا في الإجابة.

سأله شويشي بالنبرة نفسها التي قد يستخدمها المرء في أثناء مخاطبة طفل يبكي: "هل أنت بخير؟".

بدأ جوتارو كلامه وهو يمدّ يده ببطء للتحقّق من درجة حرارة القهوة: "بصراحة... قرّرت هاروكا الزواج".

"ماذا؟"، لا بدّ أنّ سماع هذا من جوتارو شكّل صدمةً بكبيرة النسبة إلى شويشي الذكي، فاختفت الابتسامة على الفور عن وجهه، وهذا أمر يمكن تفهّمه تمامًا، فقد كانت هاروكا مجرّد طفلة حديثة الولادة بالنسبة إليه، وتابع كلامه: "ماذا... ماذا؟ ماذا يعني هذا؟"

قال جوتارو بنبرة هادئة: "لا تقلق، كلّ شيء على ما يرام".

تخيّل أنّ شويشي قد ينفعل في أثناء المحادثة، فرفع فنجان القهوة إلى شفتيه، وارتشف رشفة، ولكنّه لم يكن متأكّدًا من درجة الحرارة التي يمكن اعتبارها باردة، لكنّ القهوة لا تزال أكثر دفئًا من درجة حرارة جسمه، ولا بدّ أنّ الأمور لا تزال بخير، فأعاد الفنجان إلى الصحن،

وأخبره بالقصّة، فبذل قصارى جهده لتجنّب أيّ شيء قد يسبّب استياء شويشي، والأهمّ من ذلك، كان عليه التأكّد من أنّه لن يقول شيئًا من شأنه أن يقوده ذكاؤه وفطنته إلى الاشتباه في أنّه ميت.

"في الواقع، أنت طلبت منّي أن أعود عبر الزمن لألقاك، وأطلب منك إلقاء خطاب في حفل زفاف هاروكا".

"أردتك أن تجعلني أفعل ذلك؟".

"نعم، لتحضير مفاجأة".

"مفاجأة؟".

"لا يمكن لشويشي القادم من المستقبل أن يقابل شويشي في الماضي كما تعلم..."

"ولهذا أتيت؟".

قال جوتارو وإعجابه بقدرات شويشي في التحليل يتزايد: "نعم، هذا صحيح".

"أعتقد أنّني فهمت الفكرة..."

"ما رأيك؟ إنّها فكرة جيّدة، ألا تعتقد ذلك؟".

"بالتأكيد، إنّها غريبة جدًّا".

"نعم".

أخرج جوتارو كاميرا فيديو رقمية صغيرة جدًّا اشتراها حديثًا، ولكنّها لا تشبه على الإطلاق ما كان موجودًا قبل اثنتين وعشرين سنة.

"وما هذه؟".

"إنّها كاميرا".

"هذا الشيء الصغير؟".

"نعم، وهي تصوّر فيديو أيضًا".

"فيديو أيضًا؟".

"نعم".

"هذا رائع".

نظر شويشي بجدّية إلى وجه جوتارو وهو يبحث عن زرّ الكاميرا التي لم يكن معتادًا عليها: "يبدو أنّك اشتريتها للتوّ".

"ماذا؟ نعم، هذا صحيح".

أجاب جوتارو عن سؤال شويشي من دون تفكير.

تمتم شويشي وملامح الجدّية تعلو وجهه: "كان يجب عليك تعلّم كيفيّة استخدامها".

أجاب جوتارو وأذناه تحمرّان خجلًا: "نعم، آسف، كان يجب أن أفكّر في تعلّم استخدامها قبل المجيء إليك".

قال شويشي محافظًا على لهجته الجادّة: "أنا لا أتحدّث عن الكاميرا".

"ماذا؟"

"لا تهتمّ".

مدّ شويشي يده ووضعها على الفنجان، لا بدّ أنّه كان قلقًا جدًّا بشأن الوقت الذي مضى بما أنّه على دراية بقواعد المقهى.

صرخ: "حسنًا، لنفعل ذلك"، وقف شويشي بحماسة شديدة، ودار حول نفسه حتّى أصبح ظهره في مواجهة جوتارو.

وسأل: "لدينا فرصة واحدة لفعل هذا، أليس كذلك؟"، بناءً على درجة حرارة القهوة، لم يعتقد جوتارو أنّه سيكون هناك الوقت الكافي لإعادة التصوير من جديد.

أجاب: "نعم، سيكون هذا رائعًا".

"حسنًا، سأبدأ".

ضغط على زرّ التسجيل.

تمتم شويشي: "أتعلم، لطالما كنت كاذبًا فظيعًا".

لابدّ أنّ كلماته لم تصل إلى مسامع جوتارو لأنّه لم يعلّق على ما قاله، بل استمرّ ببساطة في توجيه الكاميرا نحو شويشي: "إلى هاروكا بعد اثنين وعشرين عامًا من الآن، مبارك الزواج".

ثم أخذ شويشي الكاميرا، وابتعد بسرعة عن متناول جوتارو، فصرخ جوتارو ومدّ يده ليستعيدها قائلًا: "توقّف!"

قال شويشي: "لا تتحرّك!"، فتسمّر جوتارو في مكانه، وشعر بقشعريرة تنساب في كلّ جسده بعد أن سمع نبرته الحادّة، ولو جاءه هذا التحذير بعد جزء من الثانية، لكان قفز عن كرسيّه وفرّ هاربًا، ولحسن الحظّ أنّه تذكر في الوقت المناسب أنّ وقوفه يعني عودته إلى الحاضر على الفور.

سأل: "لماذا فعلت ذلك؟".

تردّد صدى صوته بشكل عالٍ في الغرفة، ولحسن الحظّ أنّهما كانا الزبونين الوحيدين في المقهى، ولم يكن هناك أحد سواهما باستثناء ناغار الواقف خلف المنضدة، ولكن لم يبدُ أنّه كان مهتمًّا بما يجري

بينهما، إذ وقف بلا حراك طاويًا ذراعيه أمامه، ولا تظهر عليه أيّ إشارة تدلّ على تفاجؤه.

أطلق شويشي نفسًا عميقًا، وحوّل الكاميرا إلى وجهه وبدأ بالكلام.

"هاروكا، مبارك زواجك".

لا يزال جوتارو لا يدرك دوافع شويشي إلى أخذ الكاميرا، ولكنّه عندما رآه يمضي قدمًا في تسجيل الرسالة شعر بالارتياح.

"كانت أشجار الكرز في أوج إزهارها في اليوم الذي ولدت فيه، ولا أزال أتذكّر يوم حملتك بين ذراعيّ للمرّة الأولى، كم كنت حمراء! وكم كنت صغيرة ومتكوّرة على نفسك!".

شكر جوتارو حظّه على تجاوب شويشي، ثمّ مدّ يده ورفع فنجان القهوة عازمًا على العودة إلى الحاضر مباشرة بعد انتهاء رسالة شويشي.

"غمرتني السعادة بمجرّد النظر إلى وجهك المبتسم، ورؤيتك وأنت نائمة حفّزتني إلى المضيّ قدمًا في الحياة، وبشرى ولادتك كانت أعظم فرحة في حياتي، فأنت بالنسبة إليّ أغلى من أيّ شخص آخر في العالم كلّه، وقد جعلني ذلك أفعل المستحيل من أجل إسعادك".

كلّ شيء كان يسير وفقًا للخطّة، ولا يحتاج الآن سوى إلى استعادة الكاميرا والعودة إلى الحاضر.

"أتمنّى لك السعادة طوال..."

بدأ صوت شويشي يضطرب وقد غمرته العاطفة فجأة.

"... طوال حياتك".

ظلّت دموعه تتساقط على الطاولة.

"شويشي؟".

"هل يمكننا إنهاء التمثيلية؟".

"ماذا؟".

"توقّف عن الكذب عليّ يا جوتارو".

"الكذب؟ ماذا تقصد؟".

نظر شويشي إلى السقف وتنهّد تنهيدة عميقة، وكانت عيناه حمراوين أشدّ الاحمرار.

"شويشي؟"، كان شويشي يعضّ على ظهر يده، وبدا أنّه يحاول خنق مشاعر الألم والحزن.

"شويشي".

"لن..."

الدموع تنهمر بغزارة.

"لن أحضر..."

انبعث صوت قطرات دموعه المتساقطة على الطاولة.

خرجت كلماته شيئًا فشيئًا وهو يكزّ على أسنانه: "لن أحضر زفاف هاروكا، أليس كذلك؟".

ردّد جوتارو كلماته بسرعة: "ماذا تقصد؟ قلتُ لك إنها فكرتك، ألم أقل ذلك؟"

ردّ شويشي: "لم تتوقّع أن تخدعني حقًّا، وتنطلي عليّ كلّ هذه الأكاذيب، هل اعتقدت ذلك؟".

"إنّها ليست أكاذيب!" عند سماعه هذا، استدار ونظر إلى جوتارو بعينين حمراوين لامعتين.

"لنفترض أنّك كنت تقول الحقيقة، فلماذا كنت تبكي باستمرار طوال هذا الوقت؟".

"ماذا؟".

الدموع تتساقط.

فكّر جوتارو قليلًا، وقال: ماذا تقول؟ عن أيّ دموع تتحدّث؟ لو كنت أبكي لكنت سألاحظ حصول ذلك"، ولكنّ الحقيقة أنّه كان يبكي بالفعل كما قال شويشي، وقد كانت قطرات دموعه الضخمة تنهمر من عينيه بغزارة مطلقة دويًا يتردّد صداه في أرجاء المقهى.

"هذا أمر غريب، متى بدأت بالبكاء؟".

"ألم تلاحظ؟ لقد كنت تبكي طوال الوقت".

"طوال الوقت؟".

"كنت تبكي منذ أن خرجت من الحمام".

نظر جوتارو إلى الطاولة فرأى أنّ بركة من دموعه قد تشكّلت عليها.

"هذه... مجرّد..."

"وهذا ليس كلّ شيء أيضًا".

"ماذا؟".

"الطريقة التي أعلنت بها أنّ هاروكا ستتزوّج، لقد تحدّثت عنها كما يتحدّث أبٌ عن ابنته، ولا يسعني إلّا أنّ أفكر في أنّك ربّيت هاروكا مثل ابنتك بدلًا عنّي".

"شويشي..."

"ممّا يعني..."

"لا، لقد فهمت الأمر بشكل خاطئ".

"هيا، أخبرني بالحقيقة مباشرةً، أنا..."

"لا... شويشي، انتظر..."

"هل أنا ميت؟"، قال ذلك ودموعه تتساقط بغزارة.

وبدلًا من الإجابة، تساقطت دموع جوتارو أيضًا.

فتمتم شويشي: "هذا مؤلم".

هزّ جوتارو رأسه بقوّة كما قد يفعل أيّ طفلٍ صغير يرفض تقبّل الواقع، لكنّه لم يعد قادرًا على خداعه، فانهمرت الدموع على وجهه رغمًا عنه، وارتجفت كتفاه وهو يقاوم هذه الدموع، وعضّ على شفتيه بقوّة، وأحنى رأسه لإخفاء دموعه.

تجوّل شويشي في أنحاء الغرفة، وجلس على المقعد الأقرب إلى المدخل، وسأل عن تاريخ موته: "متى حصل ذلك؟".

أراد جوتارو أن يحتسي القهوة ويعود إلى الحاضر، لكنّ قبضتيه شدّتا بقوّة على ركبتيه محاولًا تحريكهما، فقد كان متجمّدًا في مكانه وغير قادرٍ على القيام بأيّ حركة.

قال شويشي وهو ينظر إلى عيني جوتارو: "لا لمزيد من الأكاذيب، موافق؟ أخبرني مباشرة".

نظر جوتارو بعيدًا وجمع يديه أمامه وكأنّه يصلّي، وأطلق تنهيدة عميقة.

"بعد سنة..."

"لديّ عام واحد فقط؟".

"لقد كان السبب حادث سيّارة".

"يا إلهي، حقًّا؟".

"كنت مع يوكو".

"يا إلهي، لا، يوكو أيضًا؟".

"لذلك، ربّيتها وحدي، لقد ربّيت... هاروكا".

لقد بذل جوتارو جهدا كبيرًا من أجل ذكر اسم هاروكا من دون أن يظهر حنانه تجاه ابنته، فلاحظ شويشي ذلك بوضوح.

غمغم وهو يبتسم ابتسامة باهتة: "لقد فهمت..."

قال جوتارو وصوته يخونه: "ولكنّني أخطط لإنهاء هذا اليوم".



لم يكن جوتارو قادرًا على التخلّص من فكرة أنّ علاقته بالابنة التي كان يبنيها خلال الاثنتين والعشرين سنة الماضية، مُنحت له بسبب وفاة صديقه شويشي، وعلى الرغم من أنّ قضاء أيّامه مع هاروكا جلب له السعادة بشكل لا يُوصف، ولكنّه كان كلّما شعر بالسعادة أكثر كبر إحساسه بالذنب تجاه شويشي الذي أُهمل ذكره، كما كبر إحساسه بأنّ هذه السعادة ليست من حقّه.

لو تمكّن من إخبار هاروكا بأنّه لم يكن والدها الحقيقي في وقت سابق، ربما كانت العلاقة التي قامت بينهما مختلفة الآن. ولكن لم يعد

هناك أيّ جدوى من تخيّل ما كان سيحدث لو لم يخفِ عنها هذه الحقيقة، فسيحلّ يوم زفاف هاروكا قريبًا، وتأجيل اعترافه إلى أن تنكشف الحقيقة من خلال سجلّات الأسرة، زاد من شعوره بالذنب، فقد عاش حياته غير قادر على قول الحقيقة خشية فقدان سعادته، فكان تصرّفه خيانة لملاكيه الحارسين شويشي وهاروكا.

"أنا مثير للشفقة، ولا أستحقّ حضور زفاف هاروكا الخاصّ".

لقد خطّط لإبعاد نفسه عن حياة هاروكا بعد الكشف عن الحقيقة.



وقف شويشي على مهل وهو لا يزال يحمل الكاميرا، واقترب من جوتارو الذي بقي منحنيًا، ووجّه الكاميرا بحيث أصبح الرجلان ظاهرين على شاشتها، ثم وضع يده حول كتفه،

وسأله وهو يهزّ كتفه: "تخطّط لئلّا تذهب إلى حفل الزفاف، أليس كذلك؟".

لقد فهم شويشي كلّ شيء.

أجاب جوتارو وهو لا يزال يحني ظهره: "لا، لن أذهب، فعلى الرغم من أنّ والد هاروكا هو شويشي... وهو أنت... لم أستطع أبدًا إخبارها الحقيقة... المتعلّقة بوالدها الحقيقي، كنت أنت من ساعدني... وأنا أعلم بأنّه ما كان يجب عليّ... ولكنّني اعتقدت أنّه إذا ظنّت هاروكا بأنّها ابنتي الحقيقية فعندها..."

تابع جوتارو متلعثمًا في كلماته: "وانتهى بي الأمر إلى التفكير في المحظور".

رفع يديه لتغطية وجهه، وبدأ التأرجح بشكل لا يمكن السيطرة عليه، لقد كان هذا عذابه الذي لا نهاية له، فتفكيره في ما كان سيحدث لو كانت هاروكا ابنته حقًّا، ولو لم يكن شويشي موجودًا أبدًا يجعله يحتقر نفسه لأنّه لم يقدر على ردّ دين شويشي، بل طعنه في ظهره عوضًا عن ذلك بمجرّد التفكير في هذه الأمور.

"حسنًا، فهمت، لقد عذّبت نفسك، وظللتَ تعاني من تزاحم هذه الأفكار في رأسك طوال الوقت، أليس كذلك؟"، وتنفّس شويشي عبر أنفه المليء بالمخاط.

تابع وهو يشدّ شحمة أذن جوتارو: "حسنًا، لا بأس، لننهِ عذابك اليوم".

كرّر جوتارو كلامه والدموع لا تزال تتساقط منسابة من خلال يديه اللتين لا تزالان تغطّيان وجهه، وترتطم بالطاولة محدثةً صوتًا قويًا: "أنا آسف، أنا آسف جدًّا..."

قال شويشي وهو يوجّه الكاميرا إلى وجهه: "لا بأس، هاروكا، اسمعيني! لديّ عرض لك"، دوّى صوته المليء بالثقة والشديد الحماسة في أنحاء المقهى، وهو يشدّ على كتف جوتارو: "بدءًا من اليوم، سأكون أنا وجوتارو والديك، فهل توافقين؟"، لقد اقترح ذلك مباشرة عبر الكاميرا.

توقّف جوتارو عن البكاء وتوقّفت كتفه عن الارتعاش، ولكنّ شويشي لم يتوقّف عن الكلام.

"بدءًا من اليوم، ستحصلين على والد إضافي، وهذه صفقة جيّدة، فما رأيك؟"، رفع جوتارو وجهه المبلّل بالدموع ببطء، وتمتم بارتباك: "انتظر، ماذا تقول؟".

استدار شويشي إلى جوتارو.

قال بقناعة تامّة: "أنتَ تستحقّ أن تكون سعيدًا، ويمكنك أن تتوقّف عن تعذيب نفسك بالتفكير في أمور لا جدوى منها".

لقد تذكّر جوتارو أنّ شويشي لطالما كان هكذا، لطالما كان المتفائل الأبدي مهما اشتدّت الصعاب، ولطالما كان المضيّ قدمًا الخيار الأمثل بالنسبة إليه، وكالعادة كان الرجل الذي يمكنه أن يفكّر في سعادة الآخرين حتّى بعد أن علم بموته.

"كن سعيدًا يا جوتارو".

كانا رجلين ضخمين يتعانقان ويبكيان في ركن المقهى الصغير، ولا تزال مروحة السقف فوقهما تدور ببطء، وكان شويشي أوّل من توقّف عن البكاء، فأمسك بكتف جوتارو.

"انظر إلى الكاميرا نحن نوجّه رسالة إلى هاروكا في حفل زفافها، أليس كذلك؟".

أخيرًا، تمكّن جوتارو من النظر إلى الكاميرا بعد أن دفعه شويشي إلى القيام بذلك، لكنّ وجهه كان منتفخًا ومبلّلًا بالدموع.

حثّه شويشي قائلًا: "حسنًا، ابتسم، سنبتسم معًا ونتمنّى لهاروكا زفافًا سعيدًا، أليس كذلك؟"، حاول جوتارو أن يبتسم، لكنّه لم يستطع، فضحك شويشي بصخب عندما رأى محاولة جوتارو الفاشلة: "نظرة

جميلة"، ووضع الكاميرا في يد جوتارو ووقف وهو يقول: "ستعرض هذا بالتأكيد على هاروكا".

"أنا آسف يا شويشي".

لا يزال جوتارو يبكي.

تساءل ناغار بصوت منخفض من خلف الطاولة: "أيوجد مشكلة في القهوة؟"، تلك هي طريقته في التعبير عن قلقه، فقد بدأت القهوة تبرد، وكان هذا ما قصده: لم تنسَ الوقت، أليس كذلك؟

قال شويشي: "نعم، يجب أن تذهب".

حدّق جوتارو إلى عيني شويشي وصاح: "شويشي".

أجابه: "لا بأس، لا تقلق، أنا بخير"، لكنّ كلامه لم ينجح في تبديد تعابير جوتارو المتجهّمة، فابتسم بسخرية، وسأل وهو يربت على كتف جوتارو: "ألا تخطّط لحضور حفل زفاف هاروكا كما اتّفقنا؟".

التفت جوتارو بوجهه المبلّل بالدموع نحو شويشي، وتمتم: "آسف".

ردّ شويشي وهو يلوّح بكفّيه: "لا بأس، اشرب القهوة!"

رفع جوتارو الفنجان بيديه وشعر بأنّه أصبح باردًا إلى حدّ كبير، فشربه كلّه دفعة واحدة.

غمره مجدّدًا شعور بالدوار.

صرخ جوتارو: "شويشي!" لكنّه كان قد بدأ يتبخّر بالفعل، ويبدو أنّ صوته لم يصل إلى أسماع شويشي.

مع ذلك، عندما اعتقد أنّ محيطه المرتجف سيبدأ بالتموّج

والدخول في حالة من الضبابية، سمع بوضوح شويشي وهو يقول: "اعتنِ بهاروكا من أجلي".

كانت هذه هي الكلمات نفسها التي سمعها جوتارو الشابّ البالغ من العمر 22 عامًا بعد عام واحد من ذلك التاريخ، في ذلك اليوم الذي رقصت فيه بتلات أشجار الكرز التي تشبه ندف الثلج المتساقطة من السماء الصافية.

فجأة، اكتشف جوتارو أنّ السرعة التي يعود بها إلى الحاضر تتزايد، وكأنّه يدفع دفعًا نحو المستقبل، ففقد وعيه.

ثم استفاق على صوت ميكي: "سيّدي؟"، بدا داخل المقهى نفسه تمامًا، ولكنّه وجد ميكي وناغار وكازو أمامه.



هل كان حلمًا؟ لقد تحوّل تركيز جوتارو فجأة إلى الكاميرا الموجودة بين يديه، فحاول على عجل الضغط على زرّ التشغيل،

وبينما كان ينظر إلى الشاشة، عادت المرأة ذات الفستان الأبيض من المرحاض، ووقفت أمام الطاولة، وصرخت بنبرة مخيفة وعميقة: "تحرّك".

قال جوتارو وهو يستعجل في إخلاء الكرسيّ لها: "آسف".

جلست المرأة ذات الفستان من دون أيّ تعبير يرتسم على وجهها، فقد بدت غير مبالية، ودفعت الفنجان الذي بقي على الطاولة بعيدًا عنها، فمن الواضح أنّها تطلب إزالته، فأخذت ميكي الفنجان غير المرغوب

فيه بسرعة، وحملته بكلتا يديها من دون استخدام صينية، ومرّت من أمام جوتارو، وعادت إلى جانب ناغار خلف المنضدة وأعطته إيّاه.

قالت مستخدمة لهجة جادّة: "السيّد يبكي يا أعزاء، أتساءل إذا كان بخير؟"، نظر ناغار إلى جوتارو الذي يحدّق إلى شاشة الكاميرا بينما كان يبكي بشدّة ما جعل كتفيه تهتزّان، فلابدّ أن المشهد أثار أحزانه وحرّك ما في داخله من ألم، فسأله: "هل أنت بخير؟".

أجاب جوتارو وهو منكبّ على الشاشة: "أنا بخير".

قال ناغار: "حسنًا... حسنًا"، ونظر إلى ميكي وهمس: "يقول إنّه بخير"، فخرجت كازو من المطبخ وهي تحمل فنجان قهوة جديدًا إلى المرأة التي ترتدي الفستان.

سألت جوتارو وهي تقف بجانب الكرسي المميّز، وتمسح الطاولة قبل أن تقدّم فنجان القهوة: "كيف سار الأمر؟".

قال جوتارو بهدوء وهو ينظر نحو المقعد: "كن سعيدًا! هذا ما قاله لي".

أطبق على أسنانه.

سألته كازو بهدوء: "حقًّا؟".

كانت الشاشة تُظهر شويشي ويده حول كتف جوتارو وهو يحثّه على الابتسام.



"حسنًا، أيّها الأعزاء، متى سأتمكّن من القيام بذلك؟".

كان جوتارو قد شقّ طريقه إلى صندوق المحاسبة وهو يستعدّ لدفع حسابه، فاستمرّت ميكي بشدّ قميص ناغار.

فقال لها: "حسنًا، أوّلًا وقبل كلّ شيء، يجب عليك الإقلاع عن استخدام كلمة عزيزي".

"لكنّني أريد أن أفعل ذلك يا عزيزي".

"لن أسمح لأيّ شخص يقول عزيزي بالقيام بذلك".

"حسنًا، أنت مجرّد رجل جبان".

"ماذا؟".

بينما واصل ناغار وميكي مواجهتهما، همّ جوتارو بالمغادرة، لكنّه توقّف فجأة في منتصف الطريق.

وقال لكازو وهو ينقّل نظره بينها وبين المرأة ذات الفستان الأبيض: "هل يمكن أن أطرح سؤالًا؟".

ردّت كازو: "نعم؟".

سأل جوتارو ناظرًا إلى المرأة ذات الفستان: "إنّها والدتك، أليس كذلك؟".

تبعت كازو نظرة جوتارو، وأجابت: "نعم".

أراد جوتارو أن يسأل لماذا لم تعد والدتها من الماضي، لكنّ كازو كانت تتنهّد بعصبية ما منعه من الاستمرار بطرح المزيد من الأسئلة، على الرغم من أنّ وجهها كان لا يزال خاليًا من أيّ تعابير وهي تنظر إلى تلك المرأة.

عندما سأل جوتارو نفس السؤال قبل أن يعود إلى الماضي، قالت

كازو إنّ المرأة عادت للقاء زوجها الميت، وهو يعتقد الآن أنّ تلك الفتاة ربما عانت أكثر بكثير ممّا عاناه في أيّ وقت مضى.

قال غير قادر على العثور على أيّ كلمات للتعبير عن امتنانه: "شكرًا جزيلًا لك..." وغادر المقهى.

رنين جرس الباب

تمتم ناغار متنهّدًا: "قبل اثنين وعشرين عامًا..." سأل من خلف الطاولة موجّهًا سؤاله إلى كازو التي كان تنظر إلى كانامي: "لابدّ أنّ عمرك كان سبع سنوات فقط حينها، أليس كذلك؟".

"نعم..."

تمتم ناغار بهدوء كما لو أنّه يخاطب نفسه: "آمل أن تجدي السعادة أنت أيضًا..."

"حسنًا، أنا..." بدت كازو وكأنّها على وشك أن تقول شيئًا، لكنّ ميكي لم تنتظر ردّها، بل قاطعتها قائلة: "يا أعزّاء... كم من الوقت سيمضي قبل السماح لي بالقيام بذلك؟".

نظرت كازو إلى ميكي وابتسمت بحرارة.

سأل ناغار وهو يتنهّد تنهيدة عميقة: "ألا تتخلّين عمّا تريدينه؟"، وأضاف وهو يحاول فكّ نفسه من ميكي الملتفّة حوله: "سيأتي دورك لاحقًا".

"ومتى سيكون هذا؟ في أيّ وقت وأيّ يوم؟".

"ستعرفين ذلك عندما يحين الوقت".

قالت ميكي وقد التصقت بساق ناغار رافضةً الانفصال عنها: "لا أفهم متى؟ متى سيحصل ذلك؟".

عندما نفد صبر ناغار، اقتربت كازو من ميكي، وركعت على ركبتيها حتّى أصبحت في مستواها وقالت: "ميكي، سيأتي دورك أيضًا... عندما تبلغين السابعة..."

سألت ميكي وهي تنظر مباشرة إلى عيني كازو: "حقًّا؟".

أكّدت كازو كلامها قائلة: "نعم، حقًّا".

نظرت ميكي إلى ناغار وانتظرت جوابه.

لا يبدو من خلال تعابير ناغار أنّ الفكرة أعجبته، لكنّه في النهاية، تنفّس الصعداء واستسلم وهو يقول: "حسنًا"، فأومأ إليها عدّة مرّات برأسه.

"مرحى!" لقد شعرت ميكي بالحماسة، فقفزت بكلّ قوتها ودارت حوله، ثم ركضت إلى الغرفة الخلفية.

هزّ برأسه وتمتم: "ما الذي قلته لها؟!"، ولحق بها إلى الغرفة.

بقيت كازو وحيدة، فنظرت بصمت إلى المرأة ذات الفستان وهي تقرأ روايتها.

وهمست فجأة: "آسفة يا أمّي، لا أزال..."

تردّد صوت دقّات ساعات الحائط الثلاث القويّ وكأنّه تناغم مع همسات كازو، وهو يردّد:

دائمًا...

دائمًا...

II

الأمّ والابن

لا شيء يجعلك تفكّر في أنّ الخريف قد حلّ مثل سماع صوت صرصار الليل.

إلّا أنّ هذا الإحساس بالحنين نحو الحشرات يعدّ ظاهرة حضارية فريدة، ففي الدول الأخرى غير اليابان وبولينيزيا، يميل الناس إلى وصف صوت الحشرات بالضوضاء المزعجة، وتفيد إحدى النظريات أنّ الشعبين الياباني والبولينيزي سافرا أصلًا جنوبًا من منغوليا، وصوتيات اللغة الساموية أو البويونزية شبيهة بالصوتيات اليابانية، وكلتا اللغتين يتخلّلهما خمسة أحرف صوتية، ويُعبّر عن كلمات كلتا اللغتين باستخدام الأحرف الصوتية والساكنة أو الصوتية وحدها، وهناك تعبيرات في اللغة اليابانية تحاكي الأصوات الطبيعية، وهي تستخدم لنقل هذه الأصوات، كأنّ هناك تعبيرات تستخدم لتقليد ونقل الحالات التي لا يصدر عنها أصوات.

هناك تعبيرات تنقل خرير النهر المتدفّق أو عويل الرياح أو سكون الثلوج الهادئة التي لا صوت لها، وأخرى تدلّ على انعكاس أشعّة الشمس

على الأسطح، وكلّ هذه التعبيرات تحاكي مزاج البشر من حولنا.

تبرز هذه التعبيرات في يومنا هذا من خلال القصص المصوّرة اليابانية، فهي تظهر مباشرة على الرسوم التوضيحية خارج فقاعات التعليق. عندما تتّخذ شخصية وضعية درامية صامتة، تضاف كلمة محدّدة للتأكيد على سكون الشخصية، أو تضاف كلمة (بووووم) مثلًا لزيادة تأثير صوت تحطّم جسم ثقيل، وهناك كلمات أخرى تشير إلى وجود سطح زلق أو تحدّد نوعية الصمت في المشهد. وعندما تستخدم هذه القصص المصوّرة التعبيرات الرمزية بهذه الطريقة، فإنّها تسلّط الضوء على حقيقة تلك اللحظة.

وكانت هناك أغنية يتعلّمها التلاميذ في المدرسة خلال دروس الموسيقى، وهي غنيّة بهذه التعبيرات، ومن خلالها يتمّ تقليد أصوات الصراصير المختلفة.

في إحدى أمسيات الخريف، كانت ميكي توكيتا تغنّي هذه الأغنية التي تحمل عنوان "تناغم الحشرات" بصوت عالٍ، وكانت حريصة على أن يسمع والدها ناغار توكيتا هذه الأغنية التي تعلّمتها في المدرسة في ذلك اليوم، فجعل اندفاعها في الغناء بحماسة وجهها أحمر تمامًا، وقد كافح ناغار من أجل الاستمرار في الاستماع إلى نغمات ميكي الخاطئة والصاخبة جدًّا التي أحدثت في وسط جبهته أثلامًا عميقة، وجعلته يكزّ على أسنانه انزعاجًا.

"صوت العرير يتعالى في هذه الليلة الخريفية الطويلة... يا لها من متعة... كم أستمتع بسماع سمفونية الحشرات هذه!" فقوبلت ميكي بالتصفيق عندما أنهت الغناء.

فقالت كيوكو كيجيما وهي تصفّق بيديها: "رائع، رائع"، فجعلها مديح كيوكو تبتسم بتعالٍ وتشعر بفخر بإنجازها.

وبدأت بالغناء مرّة أخرى: "يمكنني سماع صرصور الصنوبر..."

قال ناغار بيأس محاولًا أن يجعلها تكفّ عن الغناء: "حسنًا، يا ميكي، غناؤك جميل جدًّا، ولكن هذا يكفي!" لقد سئم من سماع الأغنية حقًّا بعد أن غنّتها ثلاث مرّات متتالية.

قال وهو يلتقط حقيبتها المدرسية عن الطاولة ويعطيها إيّاها: "شكرًا لك على مشاركتنا أغنيتك، واذهبي الآن وضعي حقيبتك في الداخل".

قالت ميكي التي لا تزال سعيدة بمديح كيوكو: "حسنًا"، واختفت في الغرفة الخلفية.

"لا لا لا... الصرصور... عر عر عر..."

بمجرّد مغادرة ميكي الغرفة، ظهرت نادلة المقهى كازو توكيتا.

تحدّثت إلى كيوكو قائلة: "حسنًا، أشعر وكأنّ الخريف قد حلّ فعلًا"، يبدو أنّ غناء ميكي قد أذن بوصول الخريف إلى المقهى الذي بدا دائمًا على حاله مهما تغيّرت الفصول.

صوت رنين جرس الباب

دخل كيوشي ماندا المقهى مع رنين الجرس، وهو محقّق في جرائم القتل، يبلغ الستّين من عمره، ويعمل في مركز شرطة كاندا، كان ذلك في أوائل شهر تشرين الأوّل، وكانت الصباحات قد بدأت تتّسم بالبرودة

الشديدة، فخلع كيوشي معطفه، وجلس إلى الطاولة الأقرب إلى المدخل.

قالت كازو وهي تقدّم إليه كأسًا من الماء: "مرحبًا بك".

أجاب كيوشي: "أريد فجانًا من القهوة من فضلك".

قال ناغار من خلف المنضدة: "حالًا"، ثم دخل إلى المطبخ.

عندما ابتعد ناغار همست كيوكو إلى كازو حتّى لا يسمعها أحد غيرها: "كازو رأيتك ذات يوم تمشين أمام المحطّة برفقة رجل غريب، من كان هذا الرجل؟ لديك حبيب، أليس كذلك؟"، ولمعت عينا كيكو، فهي بلا شكّ انتظرت أن تردّ كازو على كلامها بتعبير نادرًا ما ارتسم على وجهها، كأن تحمرّ خجلًا، أو أن يعلو وجهها أيّ تعبير آخر يدلّ على تأثّرها.

لكنّها ببساطة نظرت إلى وجه كيوكو وأجابت: "نعم، لديّ حبيب".

بدت كيوكو مندهشةً حقًّا، فصرخت وهي تقترب منها وهي واقفة خلف المنضدة من دون أيّ انفعال: "حقًّا؟ لم أعلم أنّ لديك حبيبًا!"

"بل لديّ".

"متى حدث ذلك؟".

"كان طالبًا في السنة الأخيرة عندما كنت أدرس في كلّية الفنون".

"هل تقصدين أنّكما تتواعدان منذ عشر سنوات؟".

"لا، نحن نتواعد منذ الربيع".

"ربيع هذا العام؟".

"نعم".

قالت كيوكو وهي تسترخي على مقعدها، متراجعة بسرعة إلى الخلف لإسناد ظهرها، فكانت على وشك فقدان توازنها والوقوع على الأرض: "حقًّا؟"، ثم أطلقت تنهيدة طويلة.

كانت كيوكو هي الوحيدة من بين كلّ زبائن المقهى تستمتع بالمفاجأة، ولم يبدُ أنّ كيوشي لديه أيّ اهتمام بهذه الثرثرة، فقد كان يصبّ كلّ اهتمامه بالدفتر الأسود الذي بين يديه، وهو يحدّق إليه غارقًا في أفكاره.

صرخت كيوكو إلى ناغار وهو في المطبخ: "ناغار! هل تعلم أنّ كازو لديها حبيب؟"، فكان المقهى صغيرًا، وقبل أن تعلّق كازو نظرت كيوكو إليها متسائلة: هل كان صراخها مرتفعًا جدًّا؟ فتفحّصت وجه كازو بحثًا عن علامات الإحراج، لكنّها بدت هادئةً كالعادة، وهي تلمّع كأسًا، فلم يكن هناك ما تخفيه بحسب اعتقادها، وببساطة تجيب عن الأسئلة لأنّها سُئلت، وبعد أن تأخّر ردّ ناغار، صرخت كيوكو مرّة أخرى: "حسنًا، هل علمت؟"، فجاء الردّ بعد لحظة: "أجل، على ما أعتقد".

الغريب في الأمر أنّ ناغار بدا أكثر مراوغة في إجابته، وأشدّ خجلًا من كازو.

خرج ناغار من المطبخ عندما استدارت كيوكو مرّة أخرى للتحديق إلى كازو.

فسأل ناغار كيوكو: "لماذا كلّ هذا التفاجؤ؟"، ثمّ اقترب منها وقدّم القهوة الطازجة إلى كيوشي الذي بدا سعيدًا، فابتسم له ابتسامةً عريضة،

واستنشق رائحة القهوة من الفنجان، فلمعت عينا ناغار الضيّقتان سعادةً عند ملاحظة ذلك، فكانت فكرة أنّ القهوة التي يقدّمها في المقهى لم تكن مجرّد قهوة عادية مصدر فخر كبير وفرح له، وكان الحصول على ابتسامة كيوشي هو مكافأته الكبيرة، فانتفخ صدره رضى وعاد إلى خلف المنضدة.

تابعت كيوكو غير مهتمّة بشعور ناغار أدنى اهتمام: "أفترض أنّني يجب أن لا أكون متفاجئة، لكن كما تعلم، إنّها كازو، ومن كان يظنّ أنّ لديها علاقة رومانسية سرّية".

أجاب ناغار بلا مبالاة وهو يزيد من تضييق عينيه: "نعم"، ثم بدأ يدندن لحنًا في أثناء تلميع صينية فضّية، ويبدو أنّ وجه كيوشي المبتسم يرى أنّ هذا الحديث أكثر أهمّية من الحديث عن صديق كازو الغامض، فنظرت كيوكو بشكل جانبي إلى ناغار، ثم سألت كازو: "ماذا كنتما تفعلان ذلك اليوم؟".

"كنا نبحث عن هدية".

"هدية؟".

"كان عيد ميلاد والدته".

"فهمت، فهمت".

وهكذا، واصلت كيوكو التحقيق والتعمّق في أسئلة مختلفة حول صديق كازو لفترة وجيزة من الزمن، فسألت كيوكو حول انطباعات كازو الأولى عندما التقيا في المرّة الأولى، وكيف طلب منها موعدًا وما إلى ذلك، ولم تنتهِ الأسئلة أبدًا، لأنّ كازو كانت على استعداد للإجابة عن

أيّ سؤال تطرحه كيوكو عليها، فبدت كيوكو أكثر اهتمامًا بعدد المرّات التي طلب منها أن تكون صديقته من بين كلّ ما سألته.

لقد طلب منها ذلك ثلاث مرّات بدلًا من أن يطلبه مرّة واحدة، فطلبه بعد وقت قصير من لقائهما، وبعد ذلك بثلاث سنوات، وأخيرًا في ربيع هذا العام.

كانت كازو مستعدّةً للإجابة عن جميع أسئلة كيوكو، ولكنّها أجابت عن سبب رفضها مرّتين وقبولها في المرة الثالثة بعبارة غامضة: "لا أعرف".

أخيرًا، عندما نفدت الأسئلة وضعت كيوكو يديها على خديها، وطلبت من ناغار فنجان قهوة.

سأل ناغار وهو يملأ فنجانها: "لماذا تجعلك هذه الأخبار البسيطة بحالة مزاجية جيّدة؟".

أجابت كيوكو بابتسامة مبتهجة: "كانت والدتي تقول دائمًا إنّها تتمنّى مجيء اليوم الذي ستتزوّج فيه كازو وتسعد برفقة زوجها".

تشير كيوكو إلى والدتها كينويو التي توفّيت الشهر الماضي بعد معركة طويلة مع المرض، وقد أحبّت كينويو التي علّمت كازو الفنّ منذ أن كانت صغيرة قهوة ناغار، وكانت زبونةً دائمةً، تزور المقهى كلّما حظيت بالوقت لاحتساء قهوته، إلى أن أُدخلت إلى المستشفى المحلّي، وقد كان كلّ من كازو وناغار شديدي الولع بها.

تساءل ناغار بجدّية: "حقًّا؟"، فلم تعلّق كازو، ولكنّ يديها توقّفتا عن تلميع الكأس التي كانت تحملها.

أضافت كيوكو على عجل بعد أن شعرت بأنّها أحبطت الجميع: "يا إلهي! يا لي من غبية! أنا آسفة على تخريب جوّ المكان الهادئ، فلم أقصد أن أشير إلى موت أمّي وفي قلبها أمنية لم تتحقّق، وأرجو ألّا تفهماني بشكل خاطئ".

ولكن كازو عرفت بالطبع أنّ كيوكو لم تقصد ذلك، فأجابت بابتسامة لطيفة لا تُبدِها عادة: "على العكس تمامًا، شكرًا لك".

شعرت كيوكو بأنّها عكّرت مزاجهم، ولكن يبدو أنّها كانت سعيدة لأنّ الفرصة قد أتيحت لها لمشاركة أمنيات كينويو مع كازو، فأجابت بإيماءة سريعة تظهر سعادتها: "هذا من دواعي سروري".

قال كيوشي: "عذرًا على المقاطعة..." كان يحتسي القهوة بهدوء، ومن الواضح أنّه ينتظر الفرصة ليتمكّن من الكلام، وتابع القول بلهجة تصنّع من خلالها الاعتذار لمقاطعتهم، ولكنّها بدت فاشلة: "هناك شيء ما أودّ السؤال عنه..."

لم يكن من الواضح إلى من يوجّه سؤاله، ولكنّ كيوكو أجابت على الفور: "نعم؟"، كما فعل ناغار: "ما الأمر؟"، وبدلًا من أن تجيب كازو نظرت إلى كيوشي مباشرة ببساطة.

أزال قبعته الرثّة، وحكّ رأسه الذي غزاه الشيب، وتمتم بحرج: "في الواقع، أنا أعاني من صعوبة في التوصّل إلى قرار بشأن شراء هدية لزوجتي في عيد ميلادها".

سأله ناغار: "هدية لزوجتك؟".

"نعم".

أومأ كيوشي إليه برأسه، ربما اعتقد أنّه قد يتعلّم شيئًا مفيدًا بعد سماعه أنّ كازو كانت تختار هدية لوالدة صديقها.

قالت كيوكو: "يا لها من رومانسية!"، ولكنّ كازو أخذت السؤال على محمل الجدّ.

سألت: "ما هي الهدية التي قدّمتها إليها العام الماضي؟".

حكّ كيوشي مرّة أخرى رأسه المليء بالشعر الأبيض.

"حسنًا، أنا محرج من الاعتراف بذلك، ولكن لم يسبق لي في الواقع أن اشتريت لزوجتي هدية في عيد ميلادها، لذا لا أعرف ما سأشتريه لها الآن".

سألت كيوكو بفضول هائل: "ماذا؟ ألم تشترِ لها شيئًا مطلقًا؟ ولكن على الرغم من ذلك، تريد شراء هدية فجأة الآن؟ ما السبب؟".

أجاب: "لا أعرف، فليس هناك سبب معيّن..."، وتظاهر بأنّه يرتشف رشفة أخرى من فنجان القهوة الذي كان قد أفرغه بكلّ وضوح، ويمكن لكيوكو حتمًا أنْ تسبر أغوار محاولاته إخفاء إحراجه، وحاولت يائسة إخفاء ضحكة مكتومة عفوية، لأنّها شعرت بأنّ الأمر لطيف جدًّا، وكان ناغار يقف وذراعاه متقاطعتان يستمع إلى المحادثة، فتمتم: "أعتقد..." ثم أكمل بحماسة ووجهه أحمر تمامًا: "أعتقد أنّها ستكون مسرورة بأيّ شيء".

سارعت كيوكو إلى رفض اقتراحه.

"هذه أقلّ النصائح إفادةً التي يمكن أن تسديها إليه!"

اعترف ناغار بعد أن أحبطته كيوكو: "صحيح، أنا آسف".

ثـم أعـادت كـازو التـي تحمـل ركـوة القهـوة في يـدها مـلء فنجـان كيوشي.

وسألته: "ما رأيك في أن تهديها عقدًا؟".

"عقدًا؟".

"إنه ليس أكثر الهدايا بهرجة..."

عرضت كازو عقدها على كيوشي بينما كانت تتحدّث، فكان ناعمًا جدًّا، ولم يكن ملحوظًا حتّى حملته بين أصابعها.

قالت كيوكو وهي تحدّق إلى كازو، وتـومئ برأسـها بشـكل قـاطع: "أيّ عقد؟ أريني إيّاه، نعم، إنّه لطيف جدًّا! تعاني النساء من ضعف تجاه هذا النوع من الأشياء مهما بلغت أعمارهنّ".

سألها كيوشي: "بالمناسبة، كم عمرك الآن يا كازو؟".

"أنا في التاسعة والعشرين من عمري".

تمتم كيوشي كما لو كان يفكّر في شيء ما: "في التاسعة والعشرين".

سعت كيوكو إلى طمأنته بعد ملاحظة تعابير الدهشـة تعلو وجهـه: "إذا كنت قلقًا بشأن ما إذا كان مناسبًا للعمر، فلا تقلـق! إنّهـا لفتـة رائعـة، وأعتقد أنّ زوجتك ستسعد بمثل هذه الهدية".

أشرق وجه كيوشي على الفور.

"فهمت، شكرًا جزيلًا لك".

"تسوّق سعيد".

كانت كيوكو مندهشة من تصرّفه ومعجبة بـه في ذات الوقـت، فلـم يسبق لها أن فكّرت في أنّ محقّقًا فظًّا مثل كيوشي قد يخطّط لشـراء هديـة

عيد ميلاد لزوجته، وقد تعهّدت بدعم هذا المسعى.

أجاب كيوشي: "نعم، شكرًا لك"، وأعاد قبّعته الرثّة إلى رأسه، ثمّ مدّ يده مرّة أخرى إلى فنجانه.

وكانت كازو تبتسم بسعادة أيضًا.

"أستطيع سماع زئير الأسد! زئير! زئير! زئير!"، انبعث صوت غناء ميكي من الغرفة الخلفية.

قالت كيوكو وذراعاها مطويّتان أمامها وهي تحدّق إلى الفضاء: "لا أتذكّر ذلك المقطع".

"يبدو أنّ هذا أحدث عاداتها".

"أتقصدين تبديل كلمات الأغاني؟"

"نعم".

"الآن بعد أن فكّرت في الأمر أجد أنّ الأطفال يحبّون القيام بذلك، أليس كذلك؟ لن تصدّق كم كان يوسوكي يبدّل كلمات الأغاني عندما كان في عمر ميكي، فهو كان يفعل ذلك أينما كان، وأتذكّر أنّ ذلك كان محرجًا للغاية".

ابتسمت كيوكو بحنين إلى تلك الأيّام، ونظرت إلى الغرفة الخلفية حيث كانت ميكي.

قال ناغار مبدّلًا الموضوع: "بالحديث عن يوسوكي، في الآونة الأخيرة لم يعد يأتي برفقتك".

يوسوكي هو ابن كيوكو، وكان في الصف الرابع في المدرسة الابتدائية، وهو لاعب كرة قدم دائم، وبينما كانت كينويو لا تزال في

المستشفى كانت كيوكو تحضر يوسوكي معها غالبًا إلى المقهى، للحصول على قهوة ناغار التي كانت تطلبها باستمرار.

"ماذا؟".

"يوسوكي".

تمتمت كيوكو وهي تمدّ يدها نحو كأسها: "حسنًا... نعم... كان يرافقني فقط لإحضار القهوة التي كانت أمّي تطلبها"، شرحت ذلك ثمّ شربت الماء المتبقّي في كوبها.

توقّف يوسوكي عن مرافقة أمّه إلى المقهى بعد وفاة كينويو على الفور، بعد صراع طويل مع المرض استمرّ ستّة أشهر، وبعد أن بلّلت فمها بالقهوة التي صنعها ناغار، وهكذا لفظت أنفاسها الأخيرة، وأغمضت عينيها وكأنّها تغطّ في نوم عميق، ولم يعد لدى يوسوكي طالب المدرسة الابتدائية الذي لا يشرب القهوة سبب للقدوم بعد أن توفّيت كينويو.

في نهاية الصيف، وبعد ستّة أشهر من دخول كينويو المستشفى للمرّة الأولى، قالت كيوكو إنّها كانت "تجهّز نفسها"، ولكن ها قد مرّ شهر على وفاة والدتها، ولم تستطع إخفاء الحزن عن ملامح وجهها، فلم يقصد ناغار أن يقود سؤاله عن عدم قدوم يوسوكي إلى المقهى إلى التحدّث عن وفاة كينويو، وبدا أنّه ندم على طرح الموضوع.

قال وهو يحني رأسه قليلًا: "حسنًا... آسف على ذكر ذلك".

وفجأة، سُمع غناء ميكي المتحمّس من الغرفة الخلفية: "يمكنني سماع صاح الديك! صياح الديك!".

"تبًّا!" انفجرت كيوكو ضحكًا عند سماع كلمات ميكي التي ألّفتها، فتغيّرت الأجواء الجادّة التي سادت على الفور، فقد تبيّن أنّ ميكي على الأغلب قد أنقذت الموقف، فأطلقت كيوكو صوت ضحك صاخب، وقالت وهي تنظر إلى ناغار: "أعتقد أنّها أخطأت، إنّها تقلّد عصفورًا صغيرًا لا ديكًا"، وبدا أنّه يفكر في الشيء نفسه.

قال: "لقد بدأت ميكي تغنّي بعض الأغاني الغريبة جدًّا!"، فتنهّد بعمق وتوجّه إلى الغرفة الخلفية.

تمتمت كيوكو قائلة: "يمكن أن تكون ميكي لطيفةً جدًّا في بعض الأحيان".

قال كيوشي مستغلًّا التغيير الحاصل في الجوّ: "حسنًا، يجب أن أذهب، شكرًا لك على القهوة"، وأخذ فاتورته إلى صندوق المحاسبة حيث أخرج الفكّة المعدنية من محفظته ووضعها على الصينية، وهو يهزّ برأسه بلباقة.

قال: "شكرًا على النصيحة الرائعة التي قدّمتها إليّ اليوم، فقد ساعدتني حقًّا"، ثم غادر.

رنين جرس الباب

لم يبقَ في المقهى سوى كيوكو وكازو.

سألت كازو بهدوء وهي تلتقط العملات المعدنية من الصينية، وتضغط على أزرار صندوق المحاسبة: "كيف يتأقلم يوكيو مع الجوّ في كيوتو؟".

يوكيو هو شقيق كيوكو الأصغر، يعيش في كيوتو، ويتدرّب ليصبح صانع خزف.

حدّقت كيوكو بكازو بعينين مندهشتين للحظة مستغربةً أنّها أثارت موضوع يوكيو، فحافظت كازو على ملامحها الباردة بسهولة، ثمّ سكبت بعض الماء في كأسها الفارغة، وهي تلاحظ كلّ ما يجري حولها، فتنهّدت كيوكو بعمق وأدركت أنّها ستضطرّ إلى توضيح المسألة.

"لم يعلم يوكيو أنّ أمّي كانت في المستشفى، فهي لم تسمح لي بإخباره..."

مدّت كيوكو يدها إلى كأس الماء ورفعتها بضعة سنتيمترات عن المنضدة، ولكنّها بدلًا من تقريبها من شفتيها هزّتها ببطء.

"لذا، أعتقد أنّه قد يكون غاضبًا من ذلك؟ حتّى إنّه لم يحضر الجنازة".

تركّزت نظرة كيوكو على سطح الماء الذي ظلّ مستويًا حتّى في أثناء إمالتها الكأس من مختلف أطرافه.

"أعتقد أنّ هاتفه مفصول..."

في الواقع لم تقدر كيوكو على الاتّصال بيوكيو على الإطلاق، فهي قد اتّصلت بها مرّات متتالية، لكنّها لم تسمع سوى عبارة: "الرقم الذي تطلبه غير موضوع في الخدمة حاليًا"، وهذه هي الرسالة التي تتكرّر عند الاتّصال بشخص أغلق هاتفه وانعزل عن الآخرين.

وحاولت الاتّصال بمحلّ الفخّار حيث كان يعمل، لكنّهم قالوا إنّه استقال قبل أيّام قليلة، ولا يعلم أحد بمكانه.

"ليست لديّ أيّة فكرة عن مكان وجوده الآن..."

خلال الشهر الماضي، لم تكن كيوكو قادرة على التوقّف عن التفكير في أنّ يوكيو لم يعرف أن كينويو دخلت إلى المستشفى -لو كانت هي التي تجهل ذلك، لكانت غضبت بشدّة، ومن يدري ما كانت قد تقوله أو تفعله- فأزعجها التفكير في هذه المسألة لدرجة أنّها لم تعد قادرة على النوم بشكل منتظم، وعلى الرغم من انتشار شائعة أنّ هذا المقهى يمكّن زبائنه من السفر عبر الزمن إلى الماضي، ورؤية الزبائن يتوافدون راغبين في العودة إلى الماضي، إلّا أنّها لم تعتقد أنّ شيئًا قد يتغيّر ويجعلها ترغب في العودة إلى الماضي من أجل تصحيح الأمور، لأنّ المشكلة تكمن في أنّها وإن أرادت أن تصحّح الأمور فهي تعلم جيّدًا أنّها لا تستطيع فعل ذلك، والسبب هو أنّها حتّى لو عادت في الزمن إلى الماضي فهناك قاعدة تفيد أنّها مهما بذلت من جهد لفعل ذلك في أثناء وجودها في الماضي فإنّ الواقع لا يمكن تغييره.

ولو عادت إلى اليوم الذي أُدخلت خلاله كينويو إلى المستشفى وكتبت رسالة إلى يوكيو تبلغه من خلالها حقيقة مرضها، فإنّ مبدأ هذه القاعدة سيمنع تسلّم شقيقها أيّ رسالة ترسلها إليه، ولنفترض أنّه تسلّم تلك الرسالة، فلن يقرأها أبدًا! ولن يتغيّر الواقع وسيعلم فجأة بوفاة كينويو من دون أن يعرف حتّى إنّها كانت مريضة في المستشفى، وسيغضب ولن يحضر جنازتها، وهذه هي الطريقة التي ستعمل وفقها القاعدة، وكونها لا يمكنها تغيير الواقع، فلا سبب يدعوها إلى العودة إلى الماضي.

"أنا حقًّا أتفهّم عدم رغبة أمّي في أن تسبّب ليوكيو أيّ قلق..."

ولكنّ هذا المنطق على وجه التحديد وضع كيوكو في حالة من الألم والحزن، وتسبّب لها بالضيق والاستياء.

"ولكن..."

غطّت كيوكو وجهها براحتي يديها وبدأ كتفاها بالاهتزاز، فأدّت كازو دورها كنادلة وتركتها وحدها، ومرّ الوقت صامتًا من دون الحاجة إلى ندائها طلبًا لخدمتها.

"أستطيع أن أرى أبي القادم نحوي!

لا لا لا! في هذه الليلة الخريفية الطويلة،

كم يمتع سماع سمفونية الحشرات هذه!"

يمكن سماع كلمات ميكي التي استبدلتها بكلمات غريبة منبعثة من الغرفة الخلفية، ولكن صدى ضحكة كيوكو لم يتردّد في المقهى هذه المرّة.



كانت كازو وحيدة في المقهى تلك الليلة، وبالمعنى الدقيق للكلام، كانت برفقة كازو والمرأة ذات الفستان، وكانت كازو ترتّب المكان، والمرأة كالعادة، تقرأ روايتها بهدوء، ويبدو أنّها توشك أن تقترب من النهاية، فهي تمسك الآن بعدد قليل من الصفحات غير المقروءة بيدها اليسرى.

تستمتع كازو بتمضية هذا الوقت في المقهى بعد إغلاقه، لا لأنّها تحبّ الترتيب أو التنظيف بشكل خاصّ، بل لأنّها ببساطة تستمتع

بإكمال عملها بهدوء من دون التفكير في أيّ شيء يقلق راحتها، إنّها المتعة نفسها التي تشعر بها عندما ترسم وحيدة.

كازو ماهرة في استخدام أقلام الرصاص بالتحديد، فهي ترسم ما تراه أمامها بتفاصيله الدقيقة، وقد استمتعت بالرسم بالتقنية المعروفة بالواقعية المفرطة، إلّا أنّها لم تكن ترسم أيّ شيء وحسب بل كانت ترسم الأشياء المرئية التي تظهر أمامها في العالم الحقيقيّ، ولكنّها لم ترسم أبدًا من وحي مخيّلتها شيئًا غير موجود، كما أنّ رسوماتها تستبعد غالبًا المشاعر الشخصية. فهي تستمتع ببساطة بعملية تصوير ما تراه على القماش من دون التعبير عن أيّ نوع من المشاعر.

تردّد صدى صوت إطباق المرأة ذات الفستان الأبيض الكتاب بعد أن أنهت قراءته في أنحاء المقهى، ووضعت الرواية على إحدى زوايا الطاولة، ثمّ مدّت يدها إلى فنجان القهوة، فسحبت كازو التي كانت تراقبها رواية جديدة من درجٍ أمامها، واقتربت منها، وقالت وهي تضع كتابًا جديدًا أمامها، وتأخذ الكتاب المتروك على زاوية الطاولة: "ربما لم تناسب هذه الرواية ذوقك تمامًا..."

لقد قامت بهذا العمل مرارًا وتكرارًا، لدرجة أنّ كلّ حركة أصبحت تتمّ بسرعة كأيّ إجراء اعتيادي، ولكنّها وهي تقوم بذلك، استبدلت تعابيرها الباردة المعتادة بشكل مؤقّت بملامح دافئة تعود إلى من يوشك على تقديم هدية اختارها بعناية إلى شخص مميّز على أمل أن تجلب له الفرح، وعندما يختار الناس الهدايا على أمل إسعاد المتلقّين، يتكوّن لديهم تصوّر عن ردّ فعل هؤلاء الأشخاص المميّزين، وغالبًا ما يجدون

أنّ الوقت قد سبقهم فجأة وهم لا يزالون يتخيّلون ذلك.

لم تكن المرأة ذات الفستان الأبيض سريعة في القراءة بشكل عام. على الرغم من أنّ هذا هو الشيء الوحيد الذي تقوم به، إلّا أنها كانت تُنهي قراءة الكتاب خلال يومين، وكانت تذهب كازو إلى المكتبة مرّة واحدة في الأسبوع لتستعير مجموعة مختارة من الروايات التي لم تكن هدايا بالضبط، ولكنّ تزوّد كازو بها كان أكثر من مجرّد "مهمّة".

منذ عامين كانت المرأة ذات الفستان تعيد قراءة رواية بعنوان العشّاق مرارًا وتكرارًا. وفي أحد الأيّام، علّقت ميكي قائلة: "ألا تشعرين بالملل من قراءة الرواية نفسها؟"، وقدّمت إلى المرأة كتابًا مصوّرًا خاصًّا بها.

فتساءلت كازو: ماذا لو كان في إمكاني إرضاؤها بإهدائها رواية أختارها؟ وهذا ما دفعها إلى البدء بتقديم الروايات إليها بشكل متواصل.

وكما هو الحال دائمًا، مدّت المرأة ذات الفستان يدها ببرودة ومن دون الاكتراث لاهتمام كازو، وأخذت الكتاب بصمت، ونظرت إلى الصفحة الأولى.

اختفت الحماسة عن ملامح كازو مثل حبيبات الرمل التي تنزلق بصمت في الساعة الرملية.

رنين جرس الباب

رنّ جرس الباب، وهو أمر غير اعتيادي في أثناء إغلاق المقهى ولا سيّما بعد تعليق لافتة على الباب كُتب عليها كلمة "مغلق"، لكنّ كازو لم

تقلق بشأن هوية الزبون الذي حضر، بل وقفت بشكل طبيعي خلف المنضدة، وتطلّعت نحو المدخل بدلًا من ذلك، فكان الشخص الذي دخل رجلًا أسمر في أواخر الثلاثينيات من عمره، يرتدي سترة بنّية داكنة فوق قميص له قبّة مثلّثة الشكل، وكان سرواله بلون مماثل وحذاؤه أسود، وبشكل غامض جال بعينيه في أرجاء المقهى بتعابير يائسة وكئيبة.

حيّته كازو قائلة: "مرحبًا، وأهلا وسهلًا بك".

سأل بتردّد: "هل أغلقتم المقهى؟".

كان المقهى مغلقًا من دون أدنى شكّ.

فأجابت كازو مشيرةً إليه ليجلس على كرسيّ منضدة الحانة: "لا مشكلة".

جلس على الكرسي الذي اقترحته، وبدا منهكًا وكلّ حركة يقوم بها بدت بطيئة، كما لو أنّه يظهر في مشهد فيلم ذي إيقاع بطيء.

"هل ترغب في تناول مشروب ما؟".

"لا..."

إذا جاء أحد الزبائن إلى المقهى بعد إغلاقه، ولم يرغب في طلب أيّ مشروب، فسيكون ذلك مثيرًا للسخط بالنسبة إلى النادلة عادةً، لكنّ كازو تقبّلت ببساطة امتناع الرجل عن طلب أيّ مشروب، وقالت بهدوء: "حسنًا".

وقدّمت إليه كأسًا من الماء بكلّ لطف.

"في الحقيقة..."

بدا أنّ الرجل أدرك أنّ سلوكه كان فظًّا بعض الشيء، فقال على الفور: "أنا آسف، بعد إعادة النظر، أودّ أن أطلب القهوة رجاءً".

أجابت كازو: "بالتأكيد"، ودخلت إلى المطبخ.

تنهّد الرجل بعمق وجال نظره في المقهى الذي يتّسم باللون البني، ولاحظ المصابيح الخافتة ومروحة السقف التي تدور على مهل والساعات الكبيرة المعلّقة على الحائط والتي تظهر أوقاتًا مختلفة عن بعضها كما بدا ذلك بوضوح، والمرأة ذات الفستان الأبيض التي تقرأ رواية في الزاوية.

وعادت كازو من المطبخ هي تحمل عدّة صنع القهوة.

سأل الرجل فجأةً: "هل صحيح أنّها شبح؟".

"نعم".

كان سؤال الرجل غريبًا جدًّا، ولكنّ كازو أجابت عن السؤال بموضوعية.

لقد جاء العديد من الزبائن إلى المقهى بدافع الفضول المطلق بعد سماع أسطورته، وقد اعتادت كازو على مثل هذا المحادثات التي أصبحت الآن كأيّ أحاديث اعتادت تبادلها مع الآخرين.

أجاب الرجل بلا اكتراث: "لقد فهمت..."

بدأت كازو بإعداد القهوة أمامه، فهي عادةً تستخدم آلة صنع القهوة، لأنّ الميزة الخاصّة بالقهوة المخمّرة بواسطة هذه الآلة تكمن في أنّ الماء الساخن المغلي في القارورة السفلية يصدر فقاعات وضوضاء تشتدّ عندما ترتفع هذه الفقاعات إلى القمع لتتحوّل إلى قهوة لذيذة بعد أن يسقط السائل إلى أسفل القارورة العلوية.

استمتعت كازو بمشاهدة هذه العملية.

مع ذلك، لم تختر اليوم استخدامها لسبب ما بل أحضرت بدلًا منها معدّات صنع القهوة بالتنقيط بالإضافة إلى الطاحونة، ومن الواضح أنّها تخطّط لطحن الحبوب على المنضدة، وقد كانت طريقة التخمير باستخدام التنقيط من اختصاص مالك المقهى ناغار، حيث توضع المصفاة في جهاز التنقيط، ويُسكب الماء برفق فوق الحبيبات لاستخراج القهوة شيئًا فشيئًا، ولطالما اعتقدت كازو أنّ صنع القهوة عبر التنقيط متعب جدًّا، فشرعت بصمت في طحن البنّ.

ولم تجرِ أيّة محادثة بينهما، فقد بدا أنّه شخص منغلق على نفسه، فحكّ رأسه وهو يحاول عبثًا إيجاد أيّ موضوع كي يتجاذب معها أطراف الحديث، ولكن بدا أنّه غير قادرٍ على التفكير في أيّ موضوع، وسرعان ما بدأت رائحة القهوة تفوح في المكان.

"آسفة على التأخير".

وضعت كازو القهوة التي يتصاعد منها البخار بخفّة أمام الرجل، فظلّ ساكنًا يحدّق إلى الفنجان بصمت، ثمّ بدأت بتنظيف الجهاز الذي أمامها بمهارة وخفّة.

كان الصوت الوحيد المنبعث في الغرفة صوت المرأة التي كانت تقلّب صفحات روايتها، وبعد فترة وجيزة مدّ الرجل يده إلى الفنجان، ولو كان أحد الزبائن المحبّين للقهوة، لكان استنشق الرائحة بعمق في تلك المرحلة، ولكنّه ارتشف القهوة بطريقة متسرّعة ومن دون أن يغيّر تعابير وجهه الجامدة، تأوّه بهدوء وقال: "هذه القهوة رائعة"، ثمّ ما لبث

أنّ شعر بمرارتها وقد فاجأه ذلك قليلًا، فتغيّرت تعابير وجهه وارتسمت خطوط التجاعيد على جبهته.

هذا نوع مختلف من القهوة يسمّى الموكا، ويمتاز بمزيج فريد من الرائحة اللطيفة والمذاق المرّ، وقد كان ناغار مهووسًا بهذا الطعم، ولا يقدّم المقهى سوى أصناف مختلفة من الموكا، ومع ذلك، غالبًا ما تكون النكهة القوية المميّزة للقهوة المحضّرة من حبوب الموكا فقط أو حبوب الكليمنجارو محيّرة بالنسبة إلى الأشخاص الذين لا يحتسون القهوة عادة مثل هذا الرجل. تشتقّ أسماء حبوب البنّ في الغالب من المكان الذي تُزرع فيه، وفي حالة الموكا، تزرع الحبوب في اليمن وإثيوبيا وقد سمّيت باسم مدينة موكا الساحلية اليمنية، التي كانت تُشحن تلك الحبوب منها، أمّا حبوب الكليمنجارو فهي تُزرع في تنزانيا. وقد استمتع ناغار باستخدام حبوب البنّ المزروعة في إثيوبيا، وكان هناك بعض الأشخاص الذين يحبّون قوّة مذاقها المرّ والحمضي.

"إنها قهوة الموكا هرار، كانت المفضّلة لدى معلّمتي كينويو".

فجأة نظر الرجل إليها نظرة عدائية غير إرادية عند سماع كلامها، بالطبع لم يكن اسم القهوة هو ما فاجأه، بل النادلة التي لم يقابلها سابقًا وقد ذكرت اسم كينويو أمامه على الرغم من أنّه لم يخبرها باسمه بعد. فقد كان اسمه يوكيو ميتا، صانع الخزف الطموح، ابن كينويو والأخ الأصغر لكيوكو، على الرغم من أن كينويو كانت زبونة دائمة منذ وقت طويل، إلّا أنّه لم يسبق ليوكيو أن زار المقهى، أمّا كيوكو التي تعيش في مكان قريب نسبيًا يبعد خمس عشرة دقيقة بواسطة السيّارة، فقد بدأت

ترتاد المقهى بعد أن صارت تتردّد إليه لشراء القهوة لكينويو بعدما أُدخلت إلى المستشفى، فنظر يوكيو إلى كازو بارتياب، ولكنّها لم تتفاجأ على الإطلاق من نظراته الحادّة.

لم يكن انتظارها له معلنًا، ولكنّه كان واضحًا من ابتسامتها اللطيفة.

بدأ يوكيو الكلام وهو يحكّ رأسه: "... هل تعلمين أنّني ابنها؟"، لم يُخفِ هويته عن قصد، لكنّ اكتشافها بسهولة قد أزعجه.

استمرّت كازو بتنظيف مطحنة القهوة.

وأوضحت له قائلة: "شعرت بذلك فحسب، فأنت تشبهها".

لمس يوكيو وجهه بيده وهو عاجز عن الردّ على ما قالته، فلا يبدو أنّه شيء قد قيل له سابقًا، فبدا غير مقتنعٍ بكلامها.

"قد تكون مصادفة، ولكنّني رأيت كيوكو اليوم وتحدّثنا معًا عنك، لذلك فقد كان الحدس هو الذي دلّني على هويّتك، ولكنّني اعتقدت أنّه قد يكون أنت..."

أجاب يوكيو عند سماع شرح كازو: "نعم، فهمت..."

وأشاح بوجهه لحظات قليلة.

ثمّ قدّم نفسه بإيماءة خفيفة: "أنا يوكيو ميتا، وأنا سعيد بمقابلتك".

ردّت كازو بإيماءة مماثلة، وأجابت: "أنا كازو توكيتا، وأنا أيضًا سعيدة بلقائك".

تمتم يوكيو عند سماعه اسم كازو: "لقد ذكرتك أمّي في الرسائل، وكتبت عن شائعة هذا المقهى أيضًا..."

نظر إلى المرأة ذات الفستان، ثم تنحنح ووقف مبتعدًا عن المنضدة.

وأردف قائلًا وهو يومئ إليها: "من فضلك أودّ العودة إلى الماضي، أريد أن أعود إلى الفترة التي كانت خلالها والدتي على قيد الحياة".



كان يوكيو من النوع الجادّ الذي يثابر دائمًا على إنجاز المهمّة التي يوكل بها منذ أن كان طفلًا صغيرًا، فكان إذا طُلب منه القيام بعمل محدّد لا يستسلم أبدًا، حتّى عندما ينجزه وحده من دون من يشرف عليه ويوجّهه. ففي أثناء قيامه بواجبات التنظيف في المدرسة الابتدائية على سبيل المثال، كان يتابع المهمّة الموكلة إليه حتّى ولو كان كلّ الأشخاص من حوله يتسلّون ويضيّعون وقتهم بما لا فائدة فيه، كما أنّه تمتع بشخصية هادئة ولطيفة فهو يعامل الجميع بمودّة، ولكنّه لم يبرز كطالب متفوّق لأنّ لقب الطفل الهادئ قد لازمه دومًا، فهو كان في جميع المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية هادئًا ولا يبرز تميّزه. كان مثل ورق الجدران الباهت، وقد انفجرت إبداعات يوكيو البليد في المدرسة الثانوية بينما كان يقوم برحلة إلى كيوتو. وكانت قد انطوت مهمّته على تعلّم إحدى الحرف التقليدية فيها، فاختار الفخّار من بين حرف متعدّدة ومنها وصناعة المراوح اليدوية، وصناعة الأختام، وأعمال الخيزران.. وعلى الرغم من أنّ تلك كانت المرّة الأولى التي يدير خلالها عجلة آلة

الفخّار، إلّا أنّه قد أتقن صنع قطعة الفخّار التي بدت أجمل بكثير من التي صنعها الطلّاب الآخرون.

فقال له مُعلم الخزف: "لم أرَ في حياتي قطعة فخّارية تحوّلت إلى هذا الشكل الجميل على يد الأولاد الذين لا يمتلكون الخبرة، ولكنّك تبدو موهوبًا".

كانت هذه أولى كلمات المديح التي تلقّاها يوكيو على الإطلاق، وهكذا تركت الرحلة الميدانية أثرًا كبيرًا في نفسه، وتوق غامض إلى أن يكون خزّافًا، على الرغم من أنّه لم يمتلك أيّة خبرة حول كيفية القيام بذلك العمل، واستمرّ هذا الحلم يراوده، حتّى بعد فترة طويلة من عودته من هذه الرحلة الميدانية. وفي أحد الأيام، رأى خزّافًا اسمه ياماغيشي كاتسورا في أثناء مشاهدة برنامج عبر التلفاز، فقال الخزّاف وهو ينظر إلى القطع المعروضة أمامه: "لقد كنت أصنع الفخّار منذ أربعين عامًا، وأخيرًا أصبحت راضيًا عمّا أقوم به".

تأثّر يوكيو بشدّة بكلامه، فلم يكن الأمر وكأنّه غير سعيد بحياته التي اعتادها، إلّا أنّه سمع صوتًا منبعثًا من مكان ما في أعماق قلبه، يقول له: أريد القيام بالعمل الذي يستحقّ أن أفني عمري كلّه من أجله، وكان ياماغيشي كاتسورا شخصًا يمكن أن يعشقه يوكيو بسهولة، ويطمح إلى أن يشابهه في يوم ما.

هناك طريقان يمتدّان أمامه وعليه أن يختار بينهما ليصبح صانع خزف، الأوّل عبر الالتحاق بمعهد الفنون لتعليم حرفة الخزف، والثاني عبر التدرّب في محلّ لصنع الخزف، ولكنّه قرّر أن يصبح متدرّبًا تحت

إشراف ياماغيشي كاتسورا عوضًا عن ارتياد كلّية الفنون. فقد أحبّ يوكيو ما قاله كاتسورا عبر شاشة التلفاز: "عليك أن تحتكّ بالصفوة لتصبح من الصفوة"، ولكنّه عندما تحدّث مع والده سيتشي عن رغبته في أن يصبح خزّافًا قال له: "من بين آلاف الأشخاص الذين يحملون الطموح نفسه، لا يتمكّن سوى قلّة قليلة من الأفراد الموهوبين من تأمين قوتهم الذي سيملأ موائدهم من خلال قيامهم بعملهم، وكما أرى أنّك لا تمتلك أيّ موهبة فنّية".

لم يستسلم يوكيو على الرغم من معارضة والده، ولكنّه كان مدركًا تمامًا أنّه إن ارتاد الجامعة ودخل مدرسة الفنون لتعلّم الخزف فسيدفع والداه مبالغ باهظة، ولم يرد أن يكون عبئًا على والديه من أجل تحقيق هدفه، فقرّر أن يتدرّب في محترف ليصبح صانع خزف، من خلال العمل والسكن في الوقت نفسه في محلّ الخزف، في البداية عارض سيتشي قراره، ولكنّ كينويو أقنعته أخيرًا بصحّة رأيه، فانتقل يوكيو إلى كيوتو مباشرةً بعد تخرّجه من المدرسة الثانوية.

وكان المحلّ الذي اختاره محلّ كاتسورا بالطبع، وقد ودّعته كينويو وكيوكو في محطّة القطار في اليوم الذي غادر فيه إلى كيوتو، فقالت كينويو له: "هذا ليس بالكثير ولكن..."، وهي تناوله بطاقة حسابها المصرفي ودفتر الادّخار، فعرف يوكيو أنّ كينويو كانت تدّخر ذلك المال من أجل تحقيق حلم راودها، ولكنّها فضّلت أن تقدّمه إليه عوضًا من السفر برفقة والده لتحقيق حلمها باستكشاف بلدان جديدة.

فقال مُصراً: "لا يمكنني أن أقبل هذا المال".

لكنّها لم تتقبّل رفضه، بل قالت له بإلحاح: "خذه، ولا تشعر بالحرج من ذلك".

صفّر القطار ولم يكن لدى يوكيو خيار سوى قبول البطاقة ودفتر الادّخار وهو يومئ إليها إيماءة قصيرة، ثم غادر إلى كيوتو، وبقيت كيوكو واقفة في المحطّة تراقب وداعهما، ثمّ قالت أخيرًا: "لنذهب الآن يا أمي"، ولكن كينويو تسمّرت في مكانها تنظر إلى القطار بحزن وهو يتقلّص تدريجيًا حتّى تلاشى.



فجأةً بدأت كازو تشرح له القواعد التي لا تتغيّر: "لا يمكنك تغيير الحاضر مهما بذلت من جهد من أجل تغييره في الماضي، هل تفهم ما أقوله؟"، فمن المهمّ التأكيد على تلك القاعدة بالتحديد عندما يرغب الزبون في مقابلة شخص ميت، إذ قد تنهال المصائب على الناس من كلّ حدب وصوب، والتعامل مع خسارة كينويو المفاجئ كان صعبًا على يوكيو بالتحديد، حيث لم يخبره أحد بأنّها نُقلت إلى المستشفى بسبب إصابتها بمرض خطير، لكنّ كلمات كازو لم تغيّر من ملامح وجهه الجافّة.

فأجابها: "نعم، أعلم بذلك".

اكتُشف مرض السرطان الذي أصاب كينويو في ذلك الربيع، وكان في مرحلة متقدّمة، وفي الوقت الذي شُخّص فيه مرضها قيل لها إنّ لن تعيش أكثر من ستّة أشهر، وكان قد أخبر الطبيب كيوكو بأنّه لو اكتُشف قبل ثلاثة أشهر لكان في وسعه إنقاذها، وبسبب القاعدة التي تفيد أنّه لا

يمكن تغيير الحاضر، فإنّ عودة يوكيو إلى الماضي لجعل الأطبّاء يكتشفون مرضها في وقت مبكر لن يغيّر حقيقة موتها.

افترضت كازو أنّ يوكيو سمع حتمًا عن المقهى من كينويو، ولكنّها سألت: "هل عليّ أن أشرح قواعد المقهى بشكل موجز؟".

فكّر يوكيو للحظة، ثم أجاب بصوت هادئ: "نعم من فضلك".

توقّفت كازو عن التنظيف، وبدأت تشرح له القواعد.

"القاعدة الأولى هي أنّ الأشخاص الوحيدين الذين تستطيع مقابلتهم في الماضي هم الذين سبق لهم أن زاروا المقهى من قبل".

فأجاب يوكيو: "نعم".

وإذا كان الشخص الذي يريد الزبون لقاءه قد زار المقهى لمرّة واحدة فقط، أو إن كان قد بقي لفترة قصيرة فقط قبل أن يغادره تصبح فرصة التمكّن من لقائه أقلّ، ولكن في حالة الزبائن الدائمين مثل كينويو ففرصة الالتقاء بها كبيرة حقًّا، لذا لم تشعر كازو بالحاجة إلى أن تستفيض في شرح هذه القاعدة بما أنّ كينويو هي من سيلتقي بها في الزمن الماضي، وتابعت شرح باقي القواعد قائلة:

"القاعدة الثانية هي التي ذكرتها مسبقًا، فلا يمكنك القيام بشيء في الماضي يمكن أن يغيّر الأحداث في الحاضر".

ولم يكن لدى يوكيو أسئلة حول هذه القاعدة أيضًا.

أجاب وقد بدا مستعدًّا للسفر إلى الماضي: "حسنًا، فهمت".

"هذا يقودنا إلى القاعدة الثالثة، وهي أنّ عليك أن تجلس على ذلك الكرسيّ الذي تجلس عليه تلك المرأة، لكي تعود إلى الماضي..."

نظرت كازو مباشرة إلى المرأة ذات الفستان الأبيض، فتبع يوكيو نظراتها.

"ولا يمكنك الجلوس عليه إلّا عندما تنهض عنه تلك المرأة من أجل الذهاب إلى الحمّام".

"متى ستفعل ذلك؟".

"لا أحد يعرف... لكنّها تفعل ذلك مرّة خلال اليوم..."

"أعتقد أنّه سيتوجّب عليّ الانتظار وحسب".

"تمامًا".

أجاب يوكيو وقد بدا وجهه متجهّمًا: "فهمت".

كانت كازو قليلة الكلام، ولكنّ يوكيو لم يطرح عليها سوى عدد قليل من الأسئلة، كما أنّه لم يُبدِ سوى بضع ملاحظات.

"القاعدة الرابعة يجب أن تبقى جالسًا على الكرسيّ في أثناء وجودك في الماضي، وإذا رفعت مؤخّرتك عنها فسترجع قسرًا إلى الحاضر".

وإن نسي الزبون هذه القاعدة فسيواجه تبعات مريرة تتمثّل بالرجوع مباشرةً إلى الحاضر وإضاعة فرصة العودة في الزمن إلى الماضي.

"أمّا القاعدة الخامسة فتتعلّق بفترة بقائك في الماضي، حيث يبدأ وقتك عندما تُسكب القهوة، وينتهي عندما تبرد".

مدّت كازو يدها، وأخذت فنجان يوكيو الذي فرغ خلال لحظة في أثناء شرحها قواعد السفر عبر الزمن، فقد بدا أنّ يوكيو كان شديد التوتّر،

إذ ارتشف القهوة رشفات متتالية، بينما كانت تشرح له كازو القواعد المزعجة التي لا حدود لها.

لا يمكن القيام بالرحلة عبر الزمن إلّا مرة واحدة فقط، ومن الممكن التقاط الصور، كما يمكن تقديم الهدايا وتلقّيها.

وحتّى إذا اكتشفتَ طريقة ما للحفاظ على حرارة القهوة دافئة، فلن يكون لذلك أيّ تأثير، وستبرد على أيّ حال.

لقد اشتهر المقهى باسم "المقهى الذي يمكنك السفر من خلاله إلى الماضي"، بعد أن ورد الخبر في إحدى المقالات الخاصّة بالأساطير الحضرية، ولكن من الناحية التقنية يمكنك السفر إلى المستقبل أيضًا. ومع ذلك، ما من أحد رغب في السفر إلى المستقبل، والسبب في ذلك أنّه على الرغم من إمكان حصول ذلك، لا يمكنك أبدًا التأكّد من أنّ الشخص الذي تريد لقاءه سيكون موجودًا في ذلك الوقت، ففي النهاية لا أحد يعرف ما الذي سيحدث في المستقبل، ولا سبب يدعو إلى تكبّد عناء القيام برحلة إلى المستقبل بخلاف من يعاني من حالات اليأس الشديد. وبما أنّ فرص السفر إلى المستقبل ومقابلة شخص ما ضئيلة في تلك النافذة الزمنية الضيّقة المرتبطة ببرودة القهوة، فستكون الرحلة عقيمة من دون شكّ.

لكنّ كازو لم تشرح كلّ تلك القواعد بتفاصيلها الدقيقة، بل شرحت بشكل خاص خمس قواعد فقط، وكانت مستعدّة لتقديم الإجابات عندما تُسأل عن القواعد الأخرى.

ارتشف يوكيو من المياه التي سكبتها له كازو حديثًا، وسأل وهو ينظر مباشرة إلى عينيها: "سمعت من والدتي أنّ المرء إن لم يحتسي كلّ

القهوة قبل أن تبرد فسيتحوّل إلى شبح، هل هذا صحيح؟".

أجابت كازو: "نعم، هذا صحيح".

أشاح يوكيو بنظره، وتنفّس بعمق، وسألها وكأنّه يتأكّد: "وبمعنى آخر سيموت في الحال... هل هذا ما تقصدينه؟".

لم يطلب أحدهم من قبل توضيحًا حول أنّ التحوّل إلى شبح يعني الموت، وكانت كازو حتّى ذلك الوقت قادرة على الإجابة عن أيّ سؤال من دون أن تتغيّر ملامح وجهها، ولكنّ تعابيرها قد تغيّرت في تلك اللحظة ولثوانٍ معدودة فقط.

وبعد أن أطلقت أنفاسًا متقطّعة، ورفرفت برموشها مرّات عدّة، استعادت شخصيتها الهادئة المعتادة مرّة أخرى.

وأجابت بكلّ هدوء: "نعم، هذا صحيح".

أومأ يوكيو إليها برأسه، وقد بدا راضيًا إلى حدّ ما عن إجابتها، وتمتم كما لو كان اتّخذ قراره: "حسنًا، حسنًا".

نظرت كازو إلى المرأة ذات الفستان الأبيض عند الانتهاء من شرح القواعد.

ثمّ قالت: "كلّ ما عليك فعله الآن هو انتظار نهوضها عن الكرسيّ، فهل تخطّط للانتظار؟". لقد طرحت سؤالها الأخير لتتأكّد من اتّخاذ يوكيو قرار السفر إلى الماضي.

فلم يتردّد وهو يجيبها قائلًا: "نعم"، ومدّ يده إلى فنجان القهوة، فلابدّ أنّها أصبحت باردة، ولكنّه شربها دفعة واحدة.

فمدّت كازو يدها، وأخذت الفنجان الفارغ.

وسألته: "هل ترغب في أن أعيد ملء فنجانك؟".

قال ملوّحًا بيده رافضًا: "لا، لا أرغب في المزيد".

لم تناسب القهوة التي استمتعت كينويو باحتسائها كلّ يوم ذوقه.

توقّفت كازو قبل أن تكمل طريقها إلى المطبخ وهي تحمل فنجان يوكيو الفارغ، وسألته وهي مولية له ظهرها: "لماذا لم تحضر الجنازة؟".

من الطبيعي أن يبدو سؤالها اتّهامًا موجّهًا إلى ابن لم يحضر جنازة والدته، ولكن من غير الطبيعي أن تسأل كازو مثل هذه الأسئلة المتطفّلة.

فتجهّم وجه يوكيو قليلًا وكأنّه اعتبر سؤالها اتّهامًا بالفعل.

وسأل باقتضاب: "هل عليّ أن أجيب عن هذا السؤال؟".

أجابت كازو بنبرتها الهادئة: "لا، كلّ ما في الأمر أنّ كيوكو تعتقد أنّ تخلّفك عن حضور الجنازة تتحمّل هي مسؤوليته".

أومأت برأسها إليه بلياقة وتوارت عن نظره في المطبخ.



في الواقع، لم يكن تخلّف يوكيو عن حضور الجنازة مسؤولية كيوكو، فهو قد عانى بالتأكيد بسبب إخفائها حقيقة مرض كينويو بعدما وصله خبر وفاتها، ولكنّ السبب الحقيقي يكمن في أنّه لم يكن يتحمّل نفقات السفر من كيوتو إلى طوكيو، عندما بلغه الخبر، إذ كان عليه دين كبير يتوجّب تسديده.

يحلم كلّ صانع خزف بأن يمتلك محلّه الخاصّ، وقد تاق يوكيو بالطبع إلى الحصول على محترفه الخاصّ. وذات يوم عرض عليه مالك

شركة مبيعات بالجملة أُسّست حديثًا في كيوتو تمويل مشروعه، وكانت متعاقدة قبل ذلك مع صانع الخزف الذي كان يعمل لديه.

منذ أن غادر يوكيو طوكيو منذ سبعة عشر عامًا، وهو يعيش في شقّة صغيرة متواضعة جدًّا استأجرها ليدّخر المال، وكان هدفه تحقيق حلمه، لذا حرم نفسه من التنعّم بالكماليات، وكان دافعه الأساسي أن يصبح خزّافًا شهيرًا وصاحب محلّ حتّى يستثمر قدراته الكبيرة وتفتخر به كينويو. بالإضافة إلى ذلك، كان قد أصبح في أواخر الثلاثينيات من عمره، وقد اتّسعت هوّة نفاد صبره وقدرته على الانتظار. وبعد أن قبل بالعرض، استدان مبلغًا كبيرًا من المال من شركة تمويل خاصّة، وسلّمه إلى صاحب شركة البيع بالجملة مع كلّ مدّخراته، باستثناء المال الذي عهدت به كينويو إليه. بدأ بالتحضير لافتتاح المحلّ، ولكنّ الأمر لم ينتهِ كما كان يحلم به، بل انهالت عليه المصائب بعد أن هرب مالك شركة المبيعات بالجملة وسرق كلّ أمواله.

لقد انخدع وكانت النتيجة مدمّرة، فلم يخسر ملكية محلّ الخزف وحسب، بل قد أصبح أيضًا تحت وطأة دين كبير، فشعر بأنّه سقط في هوّة سحيق تقوده إلى الجحيم الذي لم يتخيّل أنّه سيتمكّن من الفرار منه، فكان عذابه شديدًا، وقد أرهقه القلق بشأن تراكم الديون وتشوّش تفكيره الذي لم يسمح له في التفكير في أمور الحياة الأخرى.

الشيء الوحيد الذي استحوذ على تفكيره كان أسئلة طرحها مرارًا وتكرارًا: كيف يمكنني أن أجمع المال؟ ماذا يمكنني أن أفعل لجمعه؟ هل من الأفضل أن أموت؟ لقد راودته هذا الفكرة في كثير من الأحيان،

لكنّه إن انتحر فسيقع عبء سداد الديون على أمّه كينويو، وقد أراد تجنّب ذلك مهما كلّفه الأمر، وهذا وحده كان كفيلًا بإبعاد فكرته اليائسة بالانتحار، ولكنّ التوتّر المستمرّ كان يعاني منه قبل شهر واحد من وصوله خبر وفاتها، فشعر حينها وكأنّ حبلًا مشدودًا بإحكام يكاد يخنقه، وأنّ قنبلة موقوتة توشك أن تنفجر داخل رأسه فور إبلاغه بالأخبار المريرة.



عندما أصبحت كازو بعيدةً عن الأنظار، انتزع يوكيو هاتفه المحمول بهدوء من جيب سترته، وتفحّص الشاشة، وتنهّد بانزعاج وضيق.

وتمتم وهو ينظر إلى المرأة ذات الفستان الأبيض: "لا تغطية..."

وفجأة أشرقت عيناه كما لو أنّ فكرة لمعت في عقله، فنهض سريعًا بعد أن تأكّد من أنّ المرأة ذات الفستان لن تذهب إلى الحمام قريبًا، وغادر المقهى بسرعة.

رنين جرس الباب

لقد رنّ الجرس، بعد فترة وجيزة.

انبعث صدى صوت إطباق المرأة الرواية في أنحاء الغرفة، وربما كان يوكيو قد غادر للتوّ المقهى ليتّصل بشخص ما، ولكنّ توقيته كان سيّئًا، لأنّه ما إن غادر المكان حتّى وضعت المرأة ذات الفستان روايتها تحت إبطها، ونهضت بصمت عن كرسيّها وبدأت بالسير نحو الحمّام.

للمقهى باب خشبيّ كبير عند المدخل، ويقع الحمّام إلى يمينه، فمشت المرأة ذات الفستان ببطء ومرّت عبر قوس المدخل وانعطفت يمينًا.

صوت قرقعة

دخلت كازو إلى الغرفة الفارغة بعد أن أغلقت المرأة باب المرحاض بهدوء، فلم تجد يوكيو، ولو كان ناغار مكانها في هذه اللحظة، لبحثت عنه بشكل مندفع، بعد أن حان وقت العودة إلى الماضي، وجاءت الفرصة المناسبة التي لا تأتي سوى مرّة واحدة خلال اليوم، لكنّها كازو وهي أبعد ما يكون عن أن تكون مندفعة ومتحمّسة، فبقيت هادئة تمامًا وكأنّ غياب الزبون لا يشكّل فرقًا كبيرًا، وبدأت بتنظيف فنجان المرأة ذات الفستان الأبيض، وتصرّفت كما لو أنّ يوكيو لم يكن موجودًا في الحياة. لا يبدو أنّه لديها أيّ اهتمام بمعرفة سبب خروجه أو ما إذا كان سيعود، فمسحت الطاولة بقطعة قماش، ثم دخلت مرّة أخرى إلى المطبخ لغسل الفنجان.

رنين جرس الباب

عاد يوكيو إلى الغرفة خالي الوفاض، وهاتفه المحمول في جيبه، فجلس على كرسي المنضدة العالية، موليًا كرسيّ المرأة ظهره. ورفع الكأس التي أمامه وارتشف الماء وتنهّد تنهيدة عميقة، غير مدرك أنّ المرأة ذات الفستان قد نهضت عن كرسيّها.

فظهرت كازو من المطبخ وهي تحمل ركوة فضّية وفنجان قهوة أبيض ناصعًا على صينية، فلاحظ يوكيو حضورها، وقال: "لقد اتّصلت

للتوّ بأختي"، موضحًا سبب النهوض عن كرسيّه ومغادرة المقهى، ولكنّ نبرته لم تعد دفاعية، كما كانت عندما ردّ عن سؤال كازو حول سبب عدم حضوره الجنازة.

سألت كازو بهدوء: "حقًّا؟".

نظر يوكيو إلى كازو وابتلع الماء، وهو يلاحظ أنّ هالة من الضوء الأزرق الخافت تلفّها، فشعر بجوّ غير دنيوي وغامض يخيّم على الغرفة.

بدأت كازو كلامها قائلة: "الكرسيّ شاغر..."

أخيرًا، لاحظ أنّ المرأة ذات الفستان لم تعد جالسة على كرسيّها، فأخذ يلهث وهو يتقدّم إلى المكان الشاغر، وقال: "حقًّا؟".

سألته كازو: "هل ستجلس؟".

حدّق يوكيو إلى الكرسي الشاغر للحظة، فبدا متفاجئًا لأنّه لم يلحظ غياب المرأة، لكنّه أجاب بعد استجماع قوّته والتقاط أنفاسه: "نعم، سأفعل"، وقد تأثّر بنظرة كازو الهادئة والمطمئنة.

مشى وقد أغمض عينيه بصمت، وانزلق بين الطاولة والكرسي بعد أن أخذ نفسًا عميقًا.

وضعت كازو الفنجان الناصع البياض أمامه.

قالت بهدوء: "سأصبّ القهوة الآن"، وكان لصوتها الهادئ جاذبية غامضة.

"الوقت الذي يمكنك أن تقضيه في الماضي يبدأ منذ لحظة ملء الفنجان، وينتهي قبل أن تبرد القهوة".

على الرغم من أنّها أوضحت له هذه القاعدة في وقت سابق، إلّا أنّ يوكيو لم يردّ على الفور، فبعد أن أغمض عينيه بدا وكأنّه يفكّر بعمق، ثمّ أجاب مخاطبًا نفسه لا كازو: "حسنًا، فهمت"، بدا صوته مختلفًا الآن، وكانت نبرته خافتة وأكثر لباقة.

أومأت كازو إليه برأسها، وأخذت من الصينية أداة فضّية طولها عشرة سنتيمترات تشبه عصا التحريك، ووضعتها في الفنجان.

نظر يوكيو إليها بفضول وأمال رأسه قليلًا، وسألها: "ما هذه؟".

أوضحت له ببساطة: "من فضلك استخدمها بدلًا من الملعقة".

فتساءل في داخله: لماذا لم تعطِني ملعقة وحسب؟ لكنّه كان يدرك أنّ الاستماع إلى التفسير سيضيّع الوقت الثمين، فأجابها: "حسنًا، فهمت".

سألت كازو بعد الانتهاء من شرحها: "هلّا بدأنا".

فأجاب يوكيو: "نعم"، وشرب كوب الماء ثمّ تنفّس بعمق.

وأضاف بهدوء: "لنبدأ الآن من فضلك".

أومأت كازو إليه برأسها، ورفعت ببطء الركوة الفضّية بيدها اليمنى.

وأردفت قائلة: "انقل تحياتي إلى معلّمتي كينويو، وتذكّر قبل أن تبرد القهوة..."

تحرّكت كازو كما لو كانت في مشهد فيلم أُبطئت حركته، وبدأت في صبّ القهوة في الفنجان، بينما حافظت على سلوكها الجادّ والرزين، فكانت حركاتها متناغمة، وتنساب بسلاسة مثل حركات راقصة الباليه،

وسيطر على المقهى بأكمله التوتر والاضطراب، كما لو أنّ ما يجري عبارة عن مراسم مهيبة.

انساب خطّ رفيع جدًّا من القهوة من فوهة الركوة الفضّية، يشبه خطًّا أسود رقيقًا، ولم ينبعث أيّ صوت وهي تصبّها، فتدفّقت بصمت إلى الفنجان الأبيض الناصع، وعندما كان يوكيو يحدّق إلى التباين اللافت بين القهوة السوداء والفنجان الأبيض، بدأ عمود بخار واحد في التصاعد، وتحديدًا في تلك اللحظة، بدأ محيطه يتلألأ ويتموّج.

حاول فرك عينيه وهو في حالة من الذعر الشديد، لكنّه وجد أنّه غير قادر على فعل ذلك، لأنّه عندما رفع يديه إلى الأعلى تلاشتا وهما تتحوّلان تدريجيًا إلى بخار، ولم يحصل ذلك ليديه فقط، بل لجسده وساقيه أيضًا. ماذا يحدث؟ لقد صدمته في البداية الأحداث غير المتوقّعة، ولكن بعد التفكير بما سيحدث بعد ذلك، لم يعد يهمّه شيء، فأغمض عينيه ببطء حين بدأ محيطه ينهار شيئًا فشيئًا من حوله.



تذكّر كيوكو وكينويو.

فقد شارف على الموت ثلاث مرّات في طفولته، ولكنّ كينويو كانت دومًا إلى جانبه في كلّ مناسبة من هذه المناسبات.

حصلت المرّة الأولى عندما كان في الثانية من عمره، وأصابته نوبة من الالتهاب الرئوي، فارتفعت حرارته إلى ما يقارب الأربعين درجة ولم ينقطع سعاله. لم يعد من الصعب التعافي من الالتهاب الرئوي في

الوقت الحاضر بفضل التقدّم الطبّي، فهناك مضادات حيوية فعّالة ومن شأنها أن تُشفي المريض، ومن المعروف في أيّامنا هذه أنّ الأسباب الرئيسية للالتهاب الرئوي عند الأطفال الصغار هو البكتيريا والفيروسات والميكوبلازما، وهناك طرق واضحة لعلاج كلّ منها.

في ذلك الوقت، لم يكن من غير المألوف أن يقول الطبيب لأهل المريض ببساطة: "لقد قمت بما أقدر عليه، ولا شيء آخر يمكنني القيام به، وكلّ شيء الآن يعتمد على مدى قوّة ابنكم وتمسّكه بالحياة".

في حالة يوكيو، لم يعرفوا أنّ الالتهاب الرئوي كان من النوع الجرثومي، لذلك كان يعاني من استمرار ارتفاع درجة حرارته ومن السعال الشديد، ولكنّ الطبيب قال: "تمنّوا له الأفضل واستعدّوا للأسوأ".

في المرّة الثانية كاد أن يغرق بينما كان يلعب عند ضفة النهر وهو في السابعة من عمره، وقد أُنقذ بأعجوبة وأُعيد إحياؤه بعد توقّف تنفّسه وضربات قلبه، وكان الشخص الذي وجده صدفة عاملًا في محطّة الإطفاء والإسعاف المحلّية، ولديه الخبرة في إجراء الإسعافات الأوّلية، وهذا ما قام به على الفور.

كانت كينويو برفقته على ضفّة النهر، ولكن قد حدث كلّ ذلك في اللحظة التي أبعدت عنه نظرها.

وفي المرّة الثالثة تعرّض لحادث سير وهو في العاشرة من عمره، ففي أثناء ركوب درّاجته الجديدة، صدمته سيّارة بعد أن تجاهل سائقها إشارات المرور، فرمته الصدمة مباشرة أمام عيني كينويو، وألقت به

مسافة عشرة أمتار تقريبًا، فنُقل في سيّارة إسعاف إلى المستشفى، وقد عانى من إصابات بليغة في جسده كلّه، وكان على وشك الموت، ولكن لحسن الحظّ لم تكن إصابة رأسه خطيرة فاستعاد وعيه بأعجوبة بعد فترة طويلة من الزمن.

لا يستطيع الآباء منع تعرّض أطفالهم للحوادث أو تجنيبهم الإصابة بالأمراض، ولكنّ كينويو رعته واهتمّت به اهتمامًا كبيرًا في الحالات الثلاث، كما حرمت نفسها من النوم والراحة حتّى شفي تمامًا، فلم تبارح مكانها من جانبه إلّا وقت الذهاب إلى المرحاض، وكانت تمسك يده بين يديها برفق وكأنّها تصلّي، وقد شعر زوجها وابنتها بالقلق من أن تضعف قدرتها على الصمود فتنهار، وقد حثّاها على أخذ قسطٍ من الراحة للتّمكّن من استعادت قوّتها، ولكنّها لم تستمع إليهما، فحبّ الوالدين لطفلهما عميق ولا قاع له، ويبقى أطفالهم أغلى ما لديهم مهما كبروا وتقدّموا في السنّ.

بالنسبة إلى كينويو، لم يتغيّر هذا الشعور أبدًا، حتّى عندما غادر يوكيو المنزل في سعيه إلى أن يصبح خزّافًا مشهورًا.

لقد أصبح متدربًا عند ذلك الخزّاف الشهير، وحصل على طعام مجّاني وسكن في منزله، ولكنّهما اتّفقا على أنّ يعمل من دون أجر، لذلك بعد قضاء اليوم في محلّ الفخّار، كان يكسب بعض المال من خلال العمل في متجر ما أو في أماكن أخرى مثل المطاعم الليلية، وقد تمكّن بسهولة من التأقلم مع هذا النوع من نمط الحياة وهو في العشرينيات من عمره، ولكنّه أصبح مرهقًا جسديًا وقد بلغ في الثلاثين من عمره.

وبدأ يتلقّى أجرًا زهيدًا مقابل عمله في محترف الفخّار، لكنّه لم يكن قادرًا على تحمّل الإقامة في غرفة ضيّقة لدى الخزّاف، فاستأجر شقّة متواضعة ليشعر باستقلاليّته ولكنّ ذلك جعل حياة أكثر صعوبة.

على الرغم من كلّ هذا، تمكّن من أن يدّخر القليل من المال ليتسنّى له امتلاك محلّ الفخّار الخاصّ به في المستقبل، وأحيانا كانت ترسل كينويو صندوقًا من الأطعمة الجاهزة مع رسالة تعبّر فيها عن حبّها واشتياقها، وهذا ساعده على التخفيف من ألم الفراق كما حدّ من النفقات التي كان يتكبّدها للحصول على وجبات الطعام.

فكان ينفق أقلّ من ألف ينّ خلال بضعة أسابيع.

لقد حظي كلّ شخص آخر في سنّه بوظيفة تناسبه، واستطاع عيش حياته بشكل طبيعيّ، فوقع في الحبّ وامتلك سيّارات جديدة، ولكنّ حياة يوكيو اقتصرت على العمل أمام جحيم الفرن الذي يغطّيه الرماد والدخان، فيعجن الطين، ويحلم باليوم الذي سيصبح فيه خزّافًا مشهورًا وله محلّه الخاصّ.

شعر عدّة مرّات بالاستسلام، وملأه الشكّ في موهبته، فقد أصبح في الثلاثينيات من عمره ولا يعرف كيف يمكنه أن ينجح من خلال العمل في أعمال بسيطة لا تلبّي طموحاته، وإذا أراد أن يبحث عن شيء لائق، فعليه أن يستقيل من عمله الآن، ولكن في ظلّ الأوضاع الصعبة ومتطلّبات أصحاب العمل لن توظّفه أيّ شركة بعد بلوغ الأربعين من عمره، كما أنّ الأمر يبدو صعبًا حتّى في هذه المرحلة من عمره. وإلى متى يمكنه أن يستمرّ هكذا؟ كم من الوقت سيستغرق وصوله إلى هدفه

وتحقيق النجاح وامتلاك محترفه الخاصّ؟ فشعر بالانزعاج بشأن مستقبله المجهول، بعد أن أصبحت حياته خالية من أيّ ضمانات، والزواج لم يعد واردًا في عمره، وكل يوم يمرّ كان بالنسبة إليه مجرّد صراع مع الطين.

ومع ذلك فهو لا يزال متشبّثًا بذلك الخيط الرفيع من الأمل في أن يحقّق حلمه ويجعل أمّه فخورة به. ولطالما شعر بأنّ هناك شخصًا ما سيشعر بالفرح لنجاحه، وكان ذلك كافيًا بالنسبة إليه، حتّى لو سخر منه أفراد المجتمع كلّهم، فقد كان يكفيه أن كينويو تؤمن بنجاحه.

ولكن... ولكنّه لم يتخيّل ولا حتّى في أسوأ كوابيسه أن يُسلب كلّ فلس يملكه، وأن يقع فريسة دين كبير.

وصل إليه خبر وفاة كينويو عندما كان في الحضيض، وعندما كان في حاجة ماسّة إلى دعم شخص ما، وقد بعث الخبر في نفسه الألم والحزن.

لماذا في هذا التوقيت القاسي؟ ولماذا عانى من سوء الطالع؟ ومن أجل من بذل كلّ جهوده، وعاش طوال هذا الوقت وهو يكدّ ويكافح؟ كُتبت قصّة مماثلة في كتاب موريس مايترلينك "الطائر الأزرق"، وهي تتناول لقاء الشخصيتين الرئيسيتين تيلتي وميتيل طفلًا في "مملكة المستقبل"، قدّر له ألّا يجلب إلى هذا العالم شيئًا باستثناء ثلاثة أمراض، وسوف يصاب هذا الطفل بالحمّى القرمزية والسعال الديكي والحصبة بعد وقت قصير من الولادة ثم سيموت، فتذكّر يوكيو الحزن الذي شعر به عند قراءة هذا الكتاب وهو طفل صغير، وإذا كان هذا المصير لا

يمكن درؤه، فكم يمكن أن تكون الحياة غير منصفة!

إن لم يكن للناس القدرة على تغيير قدرهم الذي لا يستحقّونه، فلن يتفهّم السبب الذي يدفعهم إلى العيش.

عندما استفاق يوكيو كانت عيناه مغرورقتين بالدموع، ولم يشعر بتلك الدموع إلّا عندما مسح تلك القطرات التي سالت على خديه بيديه، بعد أن عادت يداه اللتان كانتا بخارًا منذ قليل إلى العالم المادّي، وتوقّفت المناطق المحيطة به عن التساقط والانهيار، وانطفأت الأضواء التي كانت تومض من حوله.



سمع صوت طحن حبوب البنّ، ونظر إلى منضدة المقهى المرتفعة، فلم تتغيّر مروحة السقف أو المصابيح المظلّلة أو ساعات الجدار الكبيرة عمّا كانت عليه قبل عدّة ثوانٍ، ولكنّ الشخص الذي خلف هذا الطاولة كان مختلفًا.

لم يرَ يوكيو قبلًا هذا العملاق اللوزي العينين الذي يطحن حبوب القهوة، ولم يكن في المقهى سواهما، فسيطر الشكّ عليه على الفور، وأحكم شدّ قبضتي يديه، وتساءل: هل عدت إلى الماضي حقًّا؟ فلم يستطع أن يفكّر في كيفية التأكّد من ذلك، وبالتأكيد لم تعد كازو هناك، بل حلّ مكانها عملاق لا يعرفه خلف المنضدة، وقد تحوّل جسمه إلى بخار منذ قليل وقد رأى محيطه يتحرّك ويتجاوزه، إلّا أن ذلك وحده لا يكفي لتأكيد أنّه عاد في الزمن.

وقف الرجل خلف المنضدة بشكل طبيعي يطحن حبوب البنّ غير مكترث لظهور يوكيو، على الرغم من أنّه غريب عنه وظهر فجأة على المقعد، فكان الرجل يتصرّف كما لو كان كلّ شيء طبيعيًا وبشكل مثالي.

حتّى إنّه لم يُبدِ اهتمامًا بالتحدّث إليه، وهذا ما لاءم يوكيو، فهو لم يكن في مزاج يسمح له بالمجيء إلى هذا المكان والإجابة عن سيل من الأسئلة، غير أنّه أراد أن يعرف إن كان قد رجع في الزمن إلى وقت كانت فيه كينويو حيّة كما كان يتمنّى.

قالت كيوكو إنّ كينويو أُدخلت إلى المستشفى في الربيع الماضي منذ ستّة أشهر، فاحتاج إلى أن يسأل عن الشهر والسنة.

وبدأ الكلام قائلًا: "لو سمحت..." قاطعه...

رنين جرس الباب

قال من حضر: "مرحبًا".

كان تصميم المقهى يتطلّب مرور لحظة بعد رنين جرس الباب مباشرة قبل التعرّف إلى الزبون الذي حضر، غير أن يوكيو عرف أنّ الصوت في الحال، فهو صوت أمّه...

رأى كينويو تدخل مستندةً إلى كتف يوسوكي بعد عدّة لحظات من مراقبة المدخل بالقرب من صندوق المحاسبة.

"حسنًا..."

أدار وجهه حالما رأى كينويو حتّى لا تراه، وهو يعضّ على شفتيه، وتساءل: فهل أتت قبل إدخالها إلى المستشفى بقليل؟ لقد كانت في آخر

مرّة رآها خلالها قبل خمس سنوات في حالة صحية جيّدة، ولم تحتج إلى كتف أحدهم لمساعدتها في المشي، ولكنّ المرأة التي ظهرت أمامه بدت ذابلة وواهنة، وكانت عيناها غائرتين، والشيب يغطّي شعرها، وانتفخت العروق في يدها التي تمسك بها كتف يوسوكي، وبدا كلّ إصبع من أصابعها كعود رفيع أضناه المرض، وبالفعل فقد خارت قواها وفقدت القدرة على المقاومة.

إنّها ضعيفة جدًّا! فلم أكن أعلم بمدى خطورة وضعها.

أصابه الجمود ولم يستطع رفع رأسه.

كان يوسوكي أوّل من لاحظه.

"جدّتي..."

تحدّث يوسوكي بهدوء هامسًا في أذن كينويو، وهو يساعدها ببطء على الاستدارة نحو يوكيو، فقد أصبح يوسوكي عين جدّته ويديها وعكّازها، وكان يعرف كيف يمنحها القوّة.

اتّسعت عيناها عندما رأت أنّ يوكيو هو من كان ينظر إليه يوسوكي.

قالت بهدوء: "يا إلهي..."

أخيرًا، رفع يوكيو رأسه ونظر إليها، وقال: "تبدين بحالة جيّدة".

كان لهجته أكثر إشراقًا من اللهجة التي تحدّث بها إلى كازو.

"ماذا جرى؟ لماذا أنت هنا؟"، بدت كينويو مندهشةً جدًّا من أنّ يوكيو الذي يجب أن يكون في كيوتو ظهر في هذا المقهى فجأة، لكنّ عينيها كانتا تتألّقان فرحًا.

ردّ بابتسامة دافئة: "أحتاج إلى شيء بسيط منك".

همست كينويو في أذن يوسوكي: "شكرًا لك"، وسارت إلى المنضدة حيث كان يوكيو جالسًا.

وقالت بلباقة: "ناغار، أريد فنجانًا من القهوة لو سمحت، وسأشربها هنا".

أجاب ناغار: "سيكون الفنجان أمامك في الحال"، وقبل أن تعلّق بكلمة، كان قد وضع بالفعل حبوب البنّ التي طحنها للتوّ في المِصْفاة، وكلّ ما كان عليه فعله هو أن يسكب فوقها الماء الساخن لتجهز القهوة.

بما أن كينويو تأتي دائمًا إلى المقهى في الوقت نفسه، فقد كان يطحن الحبوب بالتزامن مع وصولها.

جلس يوسوكي على كرسيّ إلى المنضدة قبالة ناغار.

"وماذا سيشرب الصغير يوسوكي؟".

"عصير البرتقال".

"حسنًا، عصير البرتقال".

أخذ ناغار الوعاء بعد أن سمع طلب يوسوكي، وبدأ في سكب الماء الساخن على الحبوب في حامل المصفاة الذي يشبه شكل الحرف "e"، وبدأت رائحة القهوة العطرة تفوح في المقهى.

أوضحت ابتسامة كينويو المبتهجة كم أحبّت هذه اللحظة، فأطلقت زفيرًا عميقًا: "يا إلهي!" بينما جلست على الكرسي في مواجهة يوكيو.

كينويو زبونة دائمة في هذا المقهى فهي ترتاده منذ عقود، لذلك من الطبيعي أنّها كانت تعرف القواعد جيّدًا، ولابدّ أنّ أمر مجيئه من

المستقبل أصبح واضحًا بالنسبة إليها الآن من دون الحاجة إلى إخبارها بذلك، فقد أراد يوكيو بشدّة أن يتجنّب إخبارها بالسبب الكامن وراء مجيئه.

جئت لرؤية والدتي الميتة! من المستحيل قَول تلك الكلماتِ، فشعر بالحاجة إلى قول شيء ما على عجل.

"يبدو أنّك فقدتِ بعض الوزن".

لعن نفسه لقوله هذا الكلام بمجرّد أن نطق به.

لم يكن يعرف إن علمت بإصابتها بمرض السرطان، ولكنّها الفترة التي سبقت دخولها المستشفى، وبالطبع كانت نحيلة، وقد كان يرغب بشدّة في تجنّب تحويل موضوع المحادثة إلى مرضها، فتجمع العرق داخل قبضتيه المشدودتين.

لكن كينويو أجابت ببساطة: "حقًّا؟ من الجيّد سماع هذا".

وضعت كلتا يديها على خديها، وبدت سعيدة لسماع ذلك، ففكّر عند رؤية ردّ فعلها: ربما لا تعرف أنّها مصابة بالسرطان.

لا يكتشف الناس ذلك في بعض الأحيان إلّا بعد دخولهم المستشفى، وكان ردّ فعلها مفهومًا تمامًا إن لم تكن تعلم بمرضها. وقد أراح ذلك يوكيو، فاسترخى قليلًا، وبذل قصارى جهده لإبقاء المحادثة عفوية وطبيعية.

ضحك مستنكرًا موقفها: "أحقًّا؟ أنت سعيدة لسماع أنّني أقول ذلك؟"، لكنّ تعبير كينويو كان جدّيًا، فأجابت: "نعم أنا كذلك".

وأضافت: "وأنت تبدو نحيفًا جدًّا".

"هل تعتقدين هذا فعلًا؟".

"هل تأكل بشكل جيّد؟".

"نعم، بالطبع، لقد بدأت مؤخّرًا بإعداد وجباتي الخاصّة".

لم يعد يأكل يوكيو وجبات منتظمة منذ أن سمع بموتها.

"حقًّا؟".

"نعم، اطمئني يا أمّي، لقد تخلّيت عن تناول المعكرونة المعلّبة".

"ماذا عن غسل ملابسك؟".

"بالتأكيد، أنا أغسل ملابسي".

كان يرتدي الملابس نفسها منذ شهر تقريبًا.

"بغضّ النظر عن مدى تعبك، يجب عليك دائمًا بذل مجهود كبير للنوم على اللحاف الياباني".

"نعم، أعرف ذلك".

كان قد ألغى بالفعل عقد إيجار شقّته.

"إذا واجهت مشكلة مالية، فلا تقترض من الناس، بل اطلب منّي المال مباشرة، أتوافق على ما أقوله؟ أنا لا أمتلك الكثير من المال، غير أنّني أستطيع إعطاءك القليل".

"المال متوفّر..."

لقد انتهى بالأمس من تقديم طلب إفلاس شخصي.

لن يثقل كاهل كينويو وكيوكو بالديون الكبيرة التي أرهقته، فقد أراد ببساطة أن يرى وجه كينويو للمرّة الأخيرة. لو كان في إمكانه تغيير الحاضر بالعودة إلى الماضي، فمن المحتمل أنّه لم يكن ليختار هذه

النهاية، بل كان سيبذل قصارى جهده لضمان حصول والدته التي تجلس أمامه على أفضل علاج في المستشفى، وكان سيشرح الظروف الصعبة لها، وذلك الرجل الضخم الذي لم يكن يعرفه والواقف خلف المنضدة، كان سيتوسّل إليه من أجل أن يتّخذ الإجراءات المناسبة.

لكنّ الحقيقة هي أنّ أيّة رغبة من رغباته لن تتحقّق أبدًا، لقد فقدت حياته كلّ معنى، وأمنيته الوحيدة في هذه الحياة هي ألّا يكسر قلب كينويو، إنّه الشعور القوي الوحيد في داخله الذي جعله صامدًا حتّى هذا الوقت، على الرغم من أنّه انخدع وفُرضت عليه حياة المشقّة التي لا نهاية لها، وقرّر ألّا يموت بينما والدته لا تزال على قيد الحياة، لكنّ كينويو لم تعد هنا الآن، وقد بدأ يهدأ وتغيب ملامح التوتّر عن وجهه وهو يكلّمها.

"أنا قادر على فتح المحلّ الخاصّ بي الآن، وسأصبح خزّافًا مستقلًّا".

"حقًّا؟".

"نعم، أنا لا أكذب".

"هذا رائع".

بدأت الدموع تنهمر من عيني كينويو.

قال وهو يعطيها منديلًا ورقيًا: "هذا الخبر لا يدعو إلى أن تبكي من أجله".

"الأمر هو..."

لقد عجزت عن النطق بالمزيد من الكلمات.

بينما كان يوكيو ينظر إلى عيني كينويو المغرورقتين بالدموع، أخرج شيئًا بهدوء من داخل سترته.

قال وهو يضعه أمامها: "على أيّ حال، تفضّلي..."

مدّ بطاقة حسابها المصرفي ودفتر الادّخار اللذين أعطته إيّاهما عندما غادر للمرّة الأولى إلى كيوتو.

"اعتقدت أنّني سأحتاجهما إذا ساءت الأمور، لكنّني لم أحتج إلى أن استخدمهما..."

بغضّ النظر عن مدى صعوبة الحياة التي واجهها إلّا أنّه لم يستطع أبدًا أن يجبر نفسه على استخدام ذلك المال، فقد كان الدافع إلى ذلك دعوات أمّه التي لا تشكّ في نجاحه، والتي آمنت به عندما أرسلته بعيدًا، فكان يخطّط لإعادته إليها عندما ينجح بصفته خزّافًا.

"لكنّ هذا المال..."

"لا، أنا بخير، ومجرّد معرفة أنّه كان في حوزتي، مكّنني ذلك من تجاوز الأوقات الصعبة، بغضّ النظر عن مدى صعوبة الأمور، كما منحني القوّة من أجل الاستمرار، فعملت بكدّ حتى أتمكّن من إعادته إليك يا أمّي".

تلك لم تكن كذبةً.

"من فضلك، أريدك أن تأخذيهما".

"يوكيو..."

"شكرًا جزيلًا".

هزّ برأسه مسرورًا.

أخذت كينويو بطاقة حسابها المصرفي ودفتر الادّخار وشدّتهما إلى صدرها.

حسنًا، ها قد زال آخر عبء، والآن عليّ فقط أن أنتظر القهوة حتّى تبرد.

لم يكن يوكيو ينوي العودة إلى الحاضر.

لم يفكّر إلّا في هذه اللحظة منذ سماعه بوفاة كينويو، لا يمكن أن يموت ببساطة، وإذا ترك الديون، فسوف يتسبّب ذلك بمواجهة عائلته مشكلة كبيرة.

كان يستعدّ بشكل محموم لإعلان إفلاسه الشخصي خلال الشهر الماضي، وعلى الرغم من أنّه لم يكن يمتلك المال من أجل الحصول على تكاليف عودته إلى طوكيو عبر الحافلة أو القطار لحضور الجنازة، فقد عمل بجهد مضاعف يوميًا حتّى يحصل على ما يكفي لتوكيل محام ودفع تكاليف السفر للعودة إلى دياره، وقد فعل كلّ ذلك من أجل أن يعيش هذه اللحظة.

لقد شعر بأنّ قوة جسده قد استنزفت تمامًا، كما لو أنّ كلّ الخطوط المشدودة التي تربطه ليظلّ متماسكًا قد تفكّكت، وقد يكون عدم نومه بشكل منتظم الشهر الماضي عاملًا أساسيًّا أيضًا لبلوغ التعب حدّه، وبات كلّ شيء سيزول الآن.

أخيرًا...

شعر بالرضا...

كلّ شيء أسهل بكثير الآن.

لقد أُفرج عنه...

فجأة...

صدر صوت تنبيه خفيف من فنجانه.

لم يكن يعرف الغرض من هذا التنبيه، لكنّه عندما سمعه، تذكّر كلمات كازو، فسحب أداة التحريك التي تصدر الصوت من الفنجان.

"هذا يذكّرني بما عليّ قوله، لقد طلبت النادلة التي تعمل هنا أن أبلغك سلامها..."

لقد نقل إلى كينويو الرسالة التي كلّفته بها كازو.

"تقصد كازو؟".

"نعم".

"غريب..."

أظلمت تعابير كينويو للحظة وجيزة، ثم أغمضت عينيها وأخذت نفسًا عميقًا، وسرعان ما نظرت إلى يوكيو مباشرة مرّة أخرى بابتسامة مصطنعة.

نادى ناغار من خلف المنضدة: "كينويو..."

نظرت كينويو إليه وابتسمت ابتسامة عريضة وقالت ببساطة: "أعرف ذلك".

كان يوكيو في حيرة من أمر ما يحدث، فمدّ يده وارتشف رشفة من الفنجان.

كذب وهو يقول: "حسنًا، طعمها لذيذ"، فهو لا يعجبه هذا الطعم الحمضي القوي.

نظرت كينويو إليه بعينين ذابلتين وقالت:

"إنّها فتاة لطيفة، أليست كذلك؟".

"من؟".

"كازو يا غبي".

"كازو؟ تذكّرت، نعم، بالتأكيد".

كذب يوكيو مرّة أخرى، فهو لم لا يشغل باله بشخصية كازو في ظلّ الأفكار المتزاحمة في رأسه.

"إنّها ترى حقًّا مشاعر الناس الحقيقية، ودائمًا تفكّر في الشخص الذي يجلس على هذا الكرسي".

ليس لدى يوكيو أدنى فكرة عمّا تحاول كينويو قوله، ولكن نظرًا لأنّه يخطط للبقاء حتّى تبرد القهوة، فلم يكن مهمًّا ما تحدّثت عنه.

"كانت هناك امرأة ترتدي فستانًا أبيض تجلس على هذا الكرسي، أليس كذلك؟".

"امرأة؟ أجل، صحيح".

"عادت في الزمن لرؤية زوجها الراحل، لكنّها لم ترجع أبدًا".

"حقًّا؟".

"لا أحد يعرف ما المحادثة التي دارت بينهما، ولكن مع ذلك، لم يفكّر أحد في أنّها قد لا تعود أبدًا".

لاحظ يوكيو أنّ ناغار كان يقف خلف العدّاد مضطربًا وقد أخفض رأسه.

"كانت كازو هي من سكبت لها القهوة، وكانت قد بلغت السابعة من عمرها فقط".

تمتم يوكيو: "هل هذا صحيح؟"، بدا غير مهتمّ، ولم يفهم لماذا أرادت كينويو إخباره بذلك الآن، فقد كان وجهها حزينًا عندما سمعت ردّه.

قالت بلهجة أكثر صرامة: "مؤلم أن يحدث ذلك لأمّك من بين كلّ الناس!".

"ماذا؟".

"المرأة التي لم تعد كانت والدة كازو!" أوحى التغيير في لون بشرته بأنّه تأثّر بهذه الكلمات، فقد كان تحولًا قاسيًا للأحداث بالنسبة إلى فتاة صغيرة لا تزال بحاجة إلى حبّ والدتها وحنانها، ومجرّد تخيّل ذلك يؤلم بشدّة، وقد أثار ذلك تعاطفه الذي كان قد فرغ من قلبه، إلّا أنّها لم تجعله يشعر بأنّ عليه العودة إلى المستقبل.

تساءل: ما الذي يربط هذه المحادثة بأداة التحريك.

بدأ يفكّر في السؤال عمليًا.

التقطت كينويو أداة التحريك من الصحن، وشرحت له وهي تلوّح بها: "لذلك، منذ ذلك الحين، صارت تضع هذه الأداة في فنجان أيّ شخص يعود إلى الماضي لزيارة شخص ميت، كي ترنّ قبل أن تبرد القهوة".

"غريب..."

شحب وجه يوكيو.

ولكنّ هذا يعني أنّ كازو أرسلت تحيّاتها لهذا السبب، فقد كانت تخبر أمّه عمليًا بأنّها ستموت.

"لِماذا فعلت ذلك؟ بأيّ حقّ قالت لك ذلك؟ كيف ستشعرين بعد أن عرفت؟"، لا يزال يوكيو لا يفهم سبب تصرّف كازو.

لم يكن ذلك من حقّها! لقد تجهّم وجهه وبدا الغضب واضحًا على ملامحه.

لكنّ كينويو ظلّت هادئة، وهي تقول:

"ما فعلته كازو..."

شرحت له بهدوء بابتسامة هادئة للغاية، لم يرَها يوكيو ترتسم على وجهها من قبل، وبالتأكيد لم تُظهر أيّ أثر للخوف أو لأيّ مشاعر أخرى يُتوقّع أن تظهرها بعد إخبارها بموتها من خلال رسالة كازو.

"كان من المفترض أن تخصّص لي مهمّة أخيرة، مهمّة لا يستطيع أن يفعلها سواي".

تذكّر يوكيو أنّ كينويو اعتادت أن تقول عندما تتحدّث عن الأوقات التي كاد أن يموت فيها: "أنا لم أكن قادرةً على فعل أيّ شيء من أجلك"، وسواء أكان ذلك بسبب المرض أم التعرّض للحوادث، فإنّها لا تستطيع أن تنسى عذاب الانتظار بلا حول ولا قوّة.

قالت كينويو بلطف والابتسامة لا تفارق شفتيها: "حان الوقت للعودة إلى المستقبل..."

"لا، لا أرغب في ذلك".

"افعل ذلك من أجلي، فأنا أؤمن بك".

"لا".

هزّ يوكيو رأسه بعنف.

رفعت كينويو بطاقة حسابها المصرفي ودفتر الادّخار اللذين قدّمهما إليها إلى جبينها وقالت وهي تحني رأسها: "سأحتفظ بهما لأنّهما يمثّلان أمنياتك الكبيرة، وسآخذهما إلى قبري من دون أن أستخدمهما أبدًا".

"أمّي..."

رفعت كينويو رأسها، ونظرت إلى يوكيو بابتسامة لطيفة.

"لا توجد معاناة أكبر من معاناة الأمّ التي لا تستطيع إنقاذ طفلها الذي يريد أن يموت".

بدأت شفتا يوكيو ترتجفان.

"آسف..."

"لا بأس".

"سامحيني".

"أنا أتفهّم..."

قالت وهي تدفع الفنجان نحوه قليلًا: "هل يمكنك أن تقول شكرًا لكازو من أجلي؟"، حاول أن يقول حسنًا، ولكن لم تخرج الكلمات من فمه، ازدرد لعابه وأمسك الفنجان بيدين ترتجفان، ورفع رأسه ورأى بضبابية كينويو تبتسم له وهي تبكي أيضًا.

"ابني اللطيف..."

كان صوتها واهنًا جدًّا لدرجة أنّه لم يسمعها، لكنّ هذا ما همست به شفتاها، كما لو كانت تتحدّث إلى مولود جديد.

الطفل يظلّ طفلًا إلى الأبد بالنسبة إلى والديه، ولم تنتظر أبدًا أيّ شيء في المقابل، لقد كانت مجرّد أمّ تريد أن يكون طفلها سعيدًا دائمًا

وأن تغمره بالحبّ والحنان.

اعتقد يوكيو أنّه إذا مات فسينتهي كلّ شيء، واعتقد أنّ ذلك لن يكون له أيّ تأثير على كينويو لأنّها ميتة بالفعل، لكنّه كان مخطئًا، فلا تزال مشاعر والدته متدفّقة كما عرفها حتّى بعد وفاتها، لأنّ المشاعر لا تتغيّر.

"كنت سأثير غضب أمّي الميتة..."

ابتلع يوكيو القهوة، وملأ الطعم الحمضي للموكا فمه، وعاد الدوار إليه، وبدأ جسده في التحوّل إلى بخار.

وصاح: "أمّي!".

لم يعد في إمكانه معرفة ما إذا كان صوته يصل إلى كينويو، ولكن صوتها بلغه بوضوح.

"شكرًا لك للقدوم من أجل رؤيتي".

بدأ محيط يوكيو ينهار أمامه، وبدأ الوقت بالانتقال من الماضي إلى الحاضر.

"لو لم يرنّ المنبّه في تلك اللحظة، ولو انتظرتُ حتّى تبرد القهوة، لكنت كسرت قلب أمّي في النهاية".

كان حلمه أن يصبح خزّافًا ويمتلك محلّه الخاصّ، لقد تحمّل الكثير خلال السنوات الطويلة الماضية من دون أن يحصل على أيّ تقدير، وقد أسره حلمه بالنجاح، ثم تعرّض لعمليّة احتيال ما جعله يشعر بيأس عميق، وهو غير قادر الآن على رؤية سبب تعاسة حياته، لكنّه كان على وشك التسبّب بمعاناة والدته أعظم معاناة.

حسنًا، سأعيش، أيًّا كان ما سيحدث، سأعيش من أجل أمّي التي لم تتوقّف أبدًا عن تمنّي تحقيق أحلامي وشعوري بالسعادة حتّى آخر أيّام حياتها، وقد تلاشى وعي يوكيو تدريجيًا وهو ينتقل عبر الزمن.



عندما استفاق، كانت كازو هي الشخص الوحيد في المقهى.

لقد عاد إلى الحاضر، وبعد ثوانٍ، عادت المرأة ذات الفستان من الحمام، فانزلقت بصمت مقتربة منه ونظرت إليه بعبوس وقالت:

"تحرّك".

تخلّى ببطء عن الكرسي للمرأة التي ترتدي الفستان الأبيض، وهو لا يزال يجهش بالبكاء، فجلست من دون أن تنبس ببنت شفة، ودفعت الفنجان الذي استخدمه يوكيو بعيدًا، ثم انتقلت إلى قراءة الرواية وكأنّ شيئًا لم يحدث.

لقد عانى يوكيو من شعور غامض، ويبدو أنّ المقهى بأكمله بات متوهّجًا، على الرغم من أنّ الإضاءة لم تصبح أكثر إشراقًا، ولكن بدا كلّ شيء حوله مشعًّا أمام عينيه، وتحوّل يأسه من الحياة إلى أمل وتفاؤل، وقد تغيّر منظوره إليها بشكل غريب.

"العالم لم يتغيّر، بل أنا من تغيّرت".

تأمّل ما جرّبه للتوّ وهو ينظر إلى المرأة ذات الفستان الأبيض، فأخذت كازو الفنجان، وقدّمت إليها فنجانًا آخر.

قال لكازو: "كازو... قالت لي أمّي أن أقول لك شكرًا".

"حقًّا؟".

"نعم، أنا أيضًا يجب أن أشكرك".

احنى رأسه بصدق عند قوله هذا الكلام، فدخلت كازو إلى المطبخ لغسل الفنجان الذي استخدمه، وعندما ابتعدت عن الأنظار، أخرج منديله ببطء لمسح وجهه المغطّى بالدموع ونظّف أنفه.

نادى إلى كازو: "كم حسابي؟".

عادت بسرعة وبدأت تقرأ الفاتورة بصوت عالٍ أمام صندوق المحاسبة.

أجابت وهي تضغط على المفاتيح الثقيلة لآلة المحاسبة: "طلبت فنجان قهوة واحدًا بالإضافة إلى الوقت الإضافي، يصبح المجموع أربعمئة وعشرين ينًّا من فضلك"، وتعابيرها الجامدة لم تلن، أمّا المرأة ذات الفستان فقد قراءة روايتها وكأنّ شيئًا لم يحدث.

"حسنًا، تفضّلي".

أعطاها ورقة من فئة الألف ينّ.

وسألها: "لماذا لم تخبريني بشأن الإنذار؟".

أخذت كازو النقود، وضغطت مرّة أخرى على المفاتيح.

أجابت بتعبير هادئ وهي تحني رأسها قليلًا: "أنا آسفة، لا بدّ أنّني نسيت أن أشرح لك ذلك".

ابتسم يوكيو، وقد بدا سعيدًا حقًّا.

كان يمكن سماع صرير صرصار الليل القادم من مكان ما، فبدأ يوكيو التكلّم وكأنّ الصرير قد شجّعه، بينما كانت كازو في هذه اللحظة

تضع باقي النقود في يده.

قال: "كازو... قالت أمّي إنّها تتمنّى أن تجدي السعادة أيضًا"، ثم غادر المقهى على عجل.

لم تكن هذه الكلمات هي نفسها التي سمعها من كينويو.

غير أنّه أخذ بعين الاعتبار حالة كازو، واستطاع بسهولة تخيّل أمّه وهي تقول هذا الكلام.

رنين جرس الباب

أصبحت كازو والمرأة ذات الفستان الأبيض وحدهما بعد رحيل يوكيو، وكان جرس الباب لا يزال يطنّ بوهن، فأخذت كازو خرقة وبدأت تمسح المنضدة، وهي تغنّي وحدها:

"صوت الصرير يتعالى في هذه الليلة الخريفية الطويلة، يا إلهي، من الممتع سماع سيمفونية هذه الحشرة".

رفع الصرصار صوته وكأنّه يجيبها.

ومضت ليلة الخريف الهادئة ببطء...

III

عاشقان

جلس رجل من الماضي على ذلك الكرسي.

ففي هذا المقهى لا يقتصر الأمر على السفر عبر الزمن إلى الماضي، بل يمكن السفر إلى المستقبل، وبالمقارنة بين أعداد الذين يسافرون إلى الماضي نجد أن قلّة منهم يغامرون بالسفر إلى المستقبل، ولكن لماذا؟ لأنّك عندما تسافر عبر الزمن إلى الماضي، فأنت تسعى إلى لقاء شخص محدّد، وهذا لا يمكن حصوله من خلال السفر عبر الزمن إلى المستقبل، لأنّ مقابلة شخص ما في وقت محدّد من المستقبل في المقهى يصعب حصوله.

فعلى سبيل المثال، لو حدّدت موعدًا في المستقبل مع أحدهم، فيمكن أن تحدث أشياء كثيرة قد تعيق رحلة ذلك الشخص إلى المقهى في ذلك اليوم.

فربما يتأخّر القطار، وربما يستُدعي الشخص بصورة طارئة إلى العمل، وربما تُغلق الطريق أو يضرب إعصار المنطقة، وربما ببساطة

يمرض... وبمعنى آخر لا أحد يعلم بالعقبات التي قد ستواجهه، وبالتالي فإنّ نسبة نجاح السفر عبر الزمن إلى المستقبل للقاء شخص ما متدنّية للغاية.

ومع ذلك، فقد جلس رجل على الكرسيّ في هذا المقهى، قَدِم من الماضي، إنه يدعى كاتسوكي كوراتا، وهو يرتدي بنطالًا قصيرًا يصل إلى الركبة وقميصًا، وينتعل صندلًا مخصّصًا للشاطئ. أمّا المقهى، فقد زُيّن بشجرة عيد ميلاد اصطناعية يكاد ارتفاعها يصل إلى السقف، وقد تصدّرت الغرفة، بعد أن نُقلت الطاولة التي كانت مكانها من أجل توفير مساحة أكبر في هذا المقهى الصغير الذي يتّسع لتسعة أشخاص فقط. وكانت توكيتا كي زوجة ناغار قد اشترت هذه الشجرة تعبيرًا عن حبّها لابنتها ميكي (فقد أرادت أن تترك وراءها شيئًا يمكن تزيينّه كلّ عام).

اليوم هو 25 كانون الأوّل، إنّه يوم عيد الميلاد.

سألت كيوكو كيجيما التي تجلس إلى جانب ميكي قرب طاولة المحاسبة: "ألا تشعر بالبرد، وأنت ترتدي هذه الملابس؟"، كانت قلقة ومستمتعة في الوقت نفسه بتأمّل ملابس كوراتا غير المناسبة لعيد الميلاد.

عندها أطل ناغار برأسه من المطبخ واقترح: "ما رأيك في أن أحضر لك بطّانية أو شيئًا يُدفئك؟"، ولكنّ كوراتا أجاب بسرعة وهو يلوّح بيده: "أنا بخير، ولا أشعر بالبرد على الإطلاق، ولكن هل يمكنني الحصول على كوب من الماء البارد من فضلك؟"، عندها ردّت كازو توكيتا من خلف المنضدة: "حسنًا، كوب الماء البارد في طريقه إليك". التفت

بسرعة وسحبت كوبًا من الرفّ، وصبّت الماء فيه، وسارت بخفّة نحو كوراتا.

فقال لها: "شكرًا لك"، وقد تناول كوب الماء منها، وشربه دفعة واحدة.

قالت ميكي بنبرة صوت مرحة تغمرها البهجة وهي تمسك قلمًا بيدها: "لقد انتهيت من كتابتها".

كانت تجلس إلى طاولة المحاسبة إلى جانب كيوكو، وقد انتهت للتوّ من كتابة أمنيتها على قُصاصة ورق مطوية بشكل عامودي تدعى بـ *تانزاكو*، وعندما طوت ميكي الورقة، سألتها كيوكو وهي تحاول أن تسترق النظر: "ما الذي تمنّيته هذه المرّة؟".

قرأت ميكي بحماسة: "تمنّيت أن تصبح رائحة قدمي أبي عطرة"، فوجدت كيوكو أنّ هذا الأمر مسلّيًا جدًّا، ما دفعها إلى أن تتنهّد تنهيدة عميقة وتضحك ضحكة أيضًا.

نهضت ميكي عن المقعد، ومشت باتّجاه الشجرة كي تعُلّق أمنية *تانزاكو* الخاصّة بها، إلى جانب الزينة المعلّقة على شجرة عيد الميلاد، على الرغم من أنّه لم يكن الوقت المعتاد لكتابة أماني *التانزاكو* التي يمكن أن يقوم الناس بها عادة في السابع من تموز، عندما يقام مهرجان تاناباتا.

كانت الشجرة مزيّنة بالفعل بالعديد من هذه الأمنيات المتنوّعة التي كُتبت في تلك الليلة، وكان ناغار إلى حدّ ما الرابط الوحيد بين كلّ هذه الأمنيات، فبصرف النظر عن "رائحة قدميه الكريهة"، فقد تمنّت أن

"يصبح أقصر"، وأن "يتوقّف عن كونه غريبًا للغاية"، وكثيرًا ما سعت كيوكو إلى أن تكتم ضحكاتها العالية.

لم تكن كتابة الأمنيات على قصاصات ورق *تانزاكو*، وتعليقها على شجرة عيد الميلاد نشاطًا منتظمًا في المقهى، ولكن كيوكو اقترحت، عندما رأت ميكي تكتب أمنياتها وتضعها على الشجرة قائلة: "لماذا لا نكتب أمنياتنا، ونُزيّن الشجرة بها؟"، وقد أثار اقتراحها إعجاب كازو التي عبّرت عنه بضحكتها الناعمة، والتي لا ترتسم على وجهها إلّا نادرًا، فخيّم الجوّ المبهج على هذا المقهى ما جعل كوراتا، الرجل القادم من الماضي يبتسم.

تذمّر ناغار وهو يخرج من المطبخ حاملًا صندوقًا بحجم 20 سنتيمترًا مربع الشكل، وقال: "توقّفي عن كتابة أمنيات سخيفة"، كان هذا الصندوق يحتوي على كعكة عيد الميلاد التي صنعها بنفسه من أجل كيوكو التيّ طلبتها منه.

نظرت ميكي إليه، وأخذت تضحك، ثم التفتت إلى قطعة *التانزاكو* المعلّقة على الشجرة، وضمّت راحتي يديها، وصلّت وفقًا لطريقة شينتو التقليدية، ولا أعلم إن كانت تلك الطقوس تُجرى في عيد الميلاد أم في مهرجان تاناباتا؟ بعد أن تظاهرت بأداء الصلاة أمام الضريح، فبدت كلّ الأمور مربكة للغاية.

قالت ميكي قبل أن تنتهي، وقد عاودت الكتابة مجدّدًا: "حسنًا، حان موعد الأمنية التالية".

تنهّد ناغار وقال: "أوه، لَيسَ مجدّدًا".

بعد أن وضع الصندوق الذي يحتوي على الكعكة في كيس ورقي قال: "إنّه من أجل كينويو..."

وأضاف إلى الصندوق كوب قهوة في كيس ورقي أصغر.

قالت كيوكو: "ماذا؟"، كينويو هي والدتها التي توفّيت آخر أيّام هذا الصيف، كانت تستمتع دائمًا باحتساء قهوة ناغار، وكانت تحتسيها كلّ يوم حتّى عندما كانت طريحة الفراش في المستشفى، ثم قالت كيوكو بلطف بعدما ترقرقت الدموع في عينيها: "شكرًا لك"، فقد تأثّرت بهذا اللطف المتمثّل بإضافة القهوة التي أحبّتها والدتها، على الرغم من أنّها لم تطلبها.

مأساة.

إنّ الحِداد إجراء يُحيي ذكرى الأموات، كما أنّه مظهر أساسيّ للتعبير عن الحزن في الحياة، ويبدو جليًا من خلال شجرة عيد الميلاد الضخمة التي تركتها كي خلفها، أنّها لا تجسّد رغبتها في أن تظلّ ذكراها حيّة فقط، بل تعتبر هذه الشجرة إشارة إلى أنّها ستراقبهم وتعتني بهم دائمًا، أمّا بالنسبة إلى الطريقة التي لجأت إليها ميكي لاستخدام شجرة عيد الميلاد، فقد جعلتها تستمتع، وهي تقوم بها، على الرغم من أنّها لم تكن تقليدية، ولكن ومن المؤكّد أنّها تستخدم بما يتماشى مع رغبة كي.

سألت كيوكو، وهي تمسح دموعها: "هل يمكنك أن تذكّرني بثمنها مرّة أخرى؟".

نظر إليها مليًّا، ثمّ غضّ طرفه، وأجابها بلطف: "حسنًا، ثمنها ألفان وثلاثمائة وستّين ينًّا".

أخرجت كيوكو المال من حقيبتها، وقالت: "ها هو المال، تفضّل"، وقدّمت إليه ورقة نقديّة من فئة خمسة آلاف ينّ وثلاثمئة وستّين ينًّا من العملات المعدنية، فأخذ ناغار المال منها، وضغط على مفاتيح صندوق المحاسبة القديم.

ثمّ قال لها: "بالمناسبة"، وتابع وهو يوجّه سؤاله إلى كيوكو: "سيعود إلى طوكيو، أليس كذلك؟ ما كان اسمه؟ يوكيو على ما أعتقد، أليس صحيحًا؟"، يوكيو هو شقيق كيوكو الأصغر، الذي انتقل إلى كيوتو ليصبح خزّافًا.

أجابته قائلة: "نعم، إنّه عائد إلى المنزل، فقد كانت أموره صعبة جدًّا في الفترة الأخيرة، ولكنّه استطاع أن يجد عملًا مناسبًا"، لم يكن من السهل على يوكيو أن يجد العمل المناسب، فقد أمضى أيّام شبابه حتّى كاد يتجاوز الثلاثينات من عمره، وهو يركز على صناعة الخزف وحدها، وهذا جعله لا يمتلك المؤهّلات التي تخوّله العمل في مجال آخر، وقد انفتح مؤخّرًا على أيّ نوع من العمل، لذلك طلب المساعدة من هيلو ورك "خدمة التوظيف العام"، وقد نجح في النهاية في الحصول على عمل يناسب مؤهّلاته في شركة صغيرة تبيع أدوات المائدة ذات النمط الغربي، بعد أن رفضت طلبه إحدى عشرة شركة، وقد واستقرّ منذ فترة في طوكيو، وأقام في شقّة تابعة للشركة، وبهذه الطريقة يكون قد خطا أولى خطواته لبناء حياة جديدة.

قال ناغار بينما كان يعيد إلى كيوكو المبلغ المتبقّي لها: "حسنًا، يسرّني سماع ذلك".

أمّا كازو التي كانت تصغي إلى محادثتهما وهي تقف خلف ناغار، فأحنت رأسها تعبيرًا عن تقدير ما تكنّه لها، بيد أنّ ملامح وجه كيوكو بدت مكفهّرة قليلًا، وهي تنظر إلى الرجل الجالس على ذلك الكرسي، فتنهّدت تنهيدة عميقة تُعبّر من خلالها عن ضيقها واستيائها، ثم قالت: "لم يخطر ببالي يومًا أنّ يوكيو قد يفكّر في الانتحار..." وتابعت كلامها وهي تحني رأسها: "إنّني ممتنة لك حقًّا، كازو".

قالت كازو من دون أن تتغيّر تعابير وجهها الباردة: "لا داعي لذكر ذلك..."، لذلك كان من الصعب بالنسبة إلى كيوكو أن تعرف ما إذا استطاعت التعبير بدقّة عن مشاعر الامتنان والتقدير، ومع ذلك أومأت إليها برأسها راضية بردّ فعلها على ما يبدو.

صاحت ميكي المشاغبة، والتي أنهت للتوّ كتابة أمنية أخرى: "لقد أنهيت كتابة واحدة أخرى".

سألت كيوكو وابتسامة لطيفة تعلو وجهها: "أوه حقًا، هل أنهيت كتابتها فعلًا؟ أخبريني، ماهي أمنيتك؟".

قرأت ميكي أمنيتها بصوت عالٍ: "أن يصبح أبي سعيدًا"، ثم ضحكت.

لم يكن واضحًا إن فكّرت هذه الفتاة الصغيرة بعمق في أمنيتها، وربما كان كلّ ما أرادته التذرّع بذريعة لكتابة كلمة "سعيد"، ولكن عند سماع أمنيتها، شعر ناغار بشيء من الإحراج، فتذمّر قائلًا: "ياله من هراء!"، ثم اختفى في المطبخ، فنظرت كيوكو إلى كازو، وضحكت، وهي تقول لميكي: "أعتقد أنّ والدك يريد أن يقول إنّه سعيد فعلًا"،

وغادرت المقهى، فابتسمت ميكي، ولكنّها لم تلحظ عمق المشاعر التي أثارتها أمنيتها تلك في نفوس من حولها.

صوت رنين الجرس

علّقت ميكي مبتهجة ورقة التانزاكو على الشجرة وهي تغنّي أغنية عيد الميلاد، بينما أصدر ناغار صوتًا مختنقًا، وهو ينوح في المطبخ، ويمسح دموعه المنسابة على خديّه من كثرة البكاء.

سألت ميكي الرجل الجالس على الكرسي أمامها: "هل كتبت أمنيتك؟".

ثم اقتربت منه، وألقت نظرة خاطفة على الطاولة، فرأت القلم وورقة تانزاكو، وهما الأداتان اللتان تستخدمهما لكتابة أمنياتها، وقد قدّمتهما إليه حتّى يتمكّن من كتابة أمنيته أيضًا.

أجابها: "مم، آسف، أنا لا أريد..."

فألحّت ميكي على كوراتا قائلةً: "أنت تعلم أنّه يمكنك كتابة أيّ أمنية، أليس كذلك؟"، عندها أمسك بالقلم بسرعة، ونظر إلى الأعلى نحو مروحة السقف التي تدور فوقه، كما لو أنّه يمعن التفكير، ثم كتب أمنيته من دون تردّد.

سأله ناغار وهو يخرج من المطبخ، ويمسح أنفه المحمّر من كثرة بكائه: "هل نحاول الاتّصال بفوميكو مرّة أخرى؟".

فوميكو هي إحدى الزبائن الذين عادوا إلى الماضي في هذا المقهى بالذات منذ سبع سنوات، وهي لا تزال تزوره بين الحين والآخر.

وعلّق قائلًا: "إنّها ليست من النوع الذي ينكث وعده".

تنهّد ناغار وهو يعقد ذراعيه، وملامح الضعف والعجز ترتسم على محيّاه، بعد أن حاول جاهدًا الاتّصال بفوميكو مرّات متتالية، وعلى الرغم من أنّ هاتفها كان يرنّ، إلّا أنّها لم تجب على اتّصالاته مطلقًا.

قال له كوراتا وهو يومئ إليه احترامًا: "شكرًا لك، أقدّر أنّك فعلت كلّ ما في وسعك".

سألته ميكي التي جلست أمام كوراتا، وهي تتفحّص وجهه: "هل تنتظر فوميكو؟".

فأجابها: "لا، إنّني أنتظر السيّدة كيوكاوا".

فسألته مجدّدًا: "من هي السيّدة كيوكاوا؟".

فقال: "كيوكاوا هو لقبها... أنت تعلمين ما الذي أقصده بكلمة لقب، أليس كذلك؟".

أجابته ميكي: "أنا أعلم ما هو اللقب، فأنت تقصد اسم شهرتها، أليس كذلك؟".

فقال كوراتا: "نعم، هذا صحيح أحسنت، يا لكِ من فتاة ذكية!".

كان كوراتا يمدح ذكاء ميكي، وكأنّها أجابت بشكل صحيح عن أسئلة امتحان ما، لذلك بدت سعيدة، وهي تشير إليه إشارة سلام.

سألت ميكي كازو التي كانت تجلس خلف طاولة المحاسبة: "لكن اسم فوميكو الأخير هو تاكاغا، أليس كذلك؟ إنّها فوميكو تاكاغا".

ابتسمت لها كازو بلطف، بينما صحّح ناغار كلمتها بسرعة: "إنه كاتادا، وستنزعج كثيرًا إذا ناديتها فوميكو تاكاغا، هل هذا واضح؟".

بدا أنّ ميكي ليست قادرة على تمييز الفرق بين تاكاغا وكاتادا، فهزّت رأسها تعبيرًا عن حيرتها، وقالت: "عمَّ يتحدّث أبي؟".

قال كوراتا بحماسة: "حقًّا، هذه أخبار رائعة!"، لقد تعرّف إلى اسم كاتادا على الفور، وبمجرّد أن ذُكر اسمه، كاد ينهض بحماسة، فقد بدا الأمر مثيرًا جدًّا للحظات قليلة، لدرجة أنّه أوشك أن ينهض عن الكرسيّ.

قال كوراتا: "حسنًا، يبدو أنّه انتهى بها الحال بالزواج!"

فأجابه ناغار: "أجل".

قال كوراتا: "يا للروعة، يا له من أمر رائع!"، سمع كوراتا أنّ زوج فوميكو الحالي قد أجّل حفل الزفاف بعد أن حصل على فرصة عمل في ألمانيا، ولكنّه ما إن سمع خبر زواجها أخيرًا، بدا سعيدًا جدًّا لدرجة أنّه يخيّل إلى الرائي أنّه هو من تزوّج.

كان قرار فوميكو السفر عبر الزمن يعود إلى محادثة مؤلمة دارت بينها وبين حبيبها في ذلك الوقت، فغورو كاتادا كان قد عُيّن في شركة ألعاب أميركية تدعى TIP-G تيب–جي، وهو العمل الذي لطالما حلم به منذ طفولته، وهكذا سافر إلى أميركا وتركها وحيدة.

وعادت فوميكو إلى الماضي وهي تدرك جيّدًا أنّها لا تستطيع تغيير الحاضر، ولكنّ غورو أخبرها وهي في الماضي بأنّه يريدها أن تنتظره ثلاث سنوات ريثما يعود إليها.

كانت كلماته أشبه بتلميحات إلى أنّهما سيتمكّنان من الزواج بعد انقضاء تلك الفترة، وبعد عودته من أميركا بعد مضيّ ثلاث سنوات،

أُرسل فورًا للعمل في ألمانيا. ومع ذلك، لم تنقطع العلاقة بينهما بل استمرّا مخطوبين طوال فترة غيابه، وفي النهاية تمكّنا من أن يتغلّبا على كافّة العقبات التي اعترضت طريقهما، وقد تزوّجا العام الماضي، وهكذا أصبحت فوميكو السيّدة كاتادا.

عبس ناغار في وجه كوراتا وبدا منزعجًا من ردّ فعله، وكما يبدو أنّ هذا المقهى لن يحافظ على الهدوء السائد فيه إلى الأبد.

فسأله ناغار: "لقد قلت للتوّ إنّك لا تنتظر فوميكو، أليس هذا صحيحًا؟"، مشيرًا إلى أنّه ما كان ليكتشف سبب قدومه الذي كان يجهله حتّى تلك اللحظة، لو لم تخطئ ميكي في لفظ لقب فوميكو.

أجابه كوراتا: "هذا صحيح، إنّني لا أنتظر فوميكو".

فسأله ناغار متعجّبًا: "حسنًا، ومن تنتظر إذًا؟".

أجابه كوراتا وقد بدا مرتبكًا بعض الشيء: "حسنًا، إنّها زميلتي في العمل، اسمها أسامي موري، وقد طلبت من السيّدة كيوكاوا، أعني فوميكو، أن تحضر برفقتها إلى هذا المكان"، ثم نظر إلى المدخل بيأس، على الرغم من أنّ أحدًا لم يمرّ عبره حتّى تلك اللحظة.

إنّ الشخص الذي أتى كوراتا لرؤيته كان أسامي موري، وهي زميلة فوميكو في العمل ومتدرّبة مبتدئة، وكان قد انضمّ كلّ من كوراتا وأسامي إلى العمل في الوقت ذاته، ولكنّ كوراتا عُيّن في قسم المبيعات، بينما عُيّنت أسامي في قسم التطوير، وهي القسم الذي تعمل فيه فوميكو.

لم يكن لدى ناغار أدنى فكرة عن سبب قدوم كوراتا من الماضي لمقابلة زميلته، كما لم ينوِ سؤاله عن ذلك.

تمتم ناغار قائلًا: "حسنًا... فهمت الآن، وأتمنّى أن تصلا قريبًا".

ابتسم كوراتا ابتسامة مصطنعة، وقال: "إن لم تأتيا، فليس لديّ مشكلة".

سأله ناغار: "ما الذي تعنيه؟".

أجابه وقد غضّ طرفه لإخفاء كآبته: "إنّنا مخطوبان، لكن لا يبدو أنّنا سنتزوج".

هل أتى لمقابلة خطيبته السابقة نتيجة رغبته في إصلاح علاقتهما كونه لا يزال مهتمًّا بها، كان تعبير كوراتا الصادق كافيًا لتقديم فكرة واضحة إلى ناغار عن حالته، فقال: "حسنًا، فهمت"، وامتنع عن التعليق.

أكمل كوراتا: "لكن عندما علمت بأنّ السيّدة كيوكاوا قد تزوّجت، شعرت برغبة في القدوم، وأنا سعيد جدًّا للقيام بذلك"، وابتسم ابتسامة عريضة، فبدت ابتسامته صادقة.

استمعت ميكي إلى الحديث الدائر بينهما، وهي تجلس أمام كوراتا، وتضع يدها على خدها، ثم سألت ناغار: "لماذا غيّرت فوميكو اسمها؟".

أجابها ناغار: "ستغيّرين اسمك مثلها عندما تتزوّجين"، بدا متردّدًا بعض الشيء، فحاله حال أيّ والد يتعرّض لسيل من الأسئلة المماثلة كلّ يوم.

قالت ميكي: "ماذا؟ أنا أيضًا؟ هل سأغيّر اسمي عندما سأتزوّج؟".

أجابها ناغار: "هذا إن تزوّجت".

أكملت ميكي كلامها: "هذا مستحيل، لن أتزوّج أبدًا"، ثمّ نظرت إلى كازو، وقالت: "يا سيّدة، هل ستغيّرين اسمك؟".

في الآونة الأخيرة، بدأت ميكي تنادي كازو بالسيّدة، ولا أحد يعلم سبب ذلك، بينما كانت تناديها قبل عدّة أيّام الأخت كازو، وقبل ذلك بأيّام سابقة الأخت فقط، بعد أن كانت تكتفي بندائها كازو، فبدا الأمر وكأنّ مكانةَ كازو ترتفع تدريجيًا باطّراد. كرّرت ميكي سؤالها: "يا سيّدتي، هل ستغيّرين اسمك إذا تزوّجت؟".

أجابتها كازو بطريقتها الباردة المعتادة، وهي تحمل كأسًا بيدها: "إن تزوّجت".

فقالت ميكي: "حسنًا... لقد فهمت".

لم يكن واضحًا ما الذي "فهمته" ميكي، لكنّها أومأت إليها برأسها، وعادت إلى مكانها إلى طاولة المحاسبة، لتبدأ بكتابة المزيد من الأمنيات على ورق التانزاكو.

صدح صوت في المكان: بييب بووب بييب بووب... بييب بووب بييب بووب.

أخذ الهاتف يرنّ في الغرفة الخلفية، فهمّت كازو بالدخول إليها للردّ على الاتّصال، لكنّ ناغار رفع يده لمنعها عن القيام بذلك، وتوجّه إلى الغرفة الخلفية ليردّ بنفسه على الاتّصال.

ظلّ الهاتف يرنّ برهة.

نظر كوراتا إلى الطاولة، وحدّق إلى ما كتبه على قُصاصة ورق التانزاكو.



لم تكن أسامي تخاطب كوراتا بلهجة رسميّة تليق بمسؤول أعلى رتبة من رتبتها، وهي لهجة يلجأ إليها الجميع عادة عند مخاطبة المسؤولين الذين يحتلّون مناصب رفيعة، على الرغم من أن رتبته في العمل كانت أعلى من رتبتها، وذلك لأنّها التحقت إلى العمل في تلك الشركة في الوقت ذاته الذي التحق به، وكونها امرأة مرحة ودائمة الابتسامة، كانت تخاطبه من دون تكلّف، فلطالما كانت صادقة وعفويّة في تعاملها مع الجميع، ما جعلها تحتلّ مكانة اجتماعية عالية، وتحوز على محبّة الجميع واحترامهم في محيطها العائليّ وحتّى في مكان عملها.

أمّا فوميكو التي عملت في المكتب نفسه برفقة أسامي، فقد كانت مشهورة بمظهرها الجميل، لكنّهم جميعًا كانوا يدعونها بالوضيعة في أثناء غيابها لجدّيتها في العمل والتعامل معهم بقسوة وحزم، ما جعل وجود أسامي في ذلك المكتب مرحّبًا به كثيرًا، لأنّها كانت تساعد في تهدئة الأجواء المتوتّرة في المكتب في كلّ مرّة يقترب العمل من موعد تسليمه بشكله النهائي.

وكان كوراتا وأسامي قد اعتادا أن يحتسيا الشراب برفقة مجموعة من الأصدقاء التحقوا جميعًا بالعمل في الوقت ذاته، وغالبًا ما تمحورت أحاديثهم حول الشكوى من حزم المسؤولين وضغط العمل في الشركة، لكنّ كوراتا لم يتكلّم أبدًا بالسوء عن مدرائه، بل على العكس، غالبًا ما كان ينظر إلى الجانب المشرق من شخصيّاتهم، وغالبًا ما أظهر براعته في القيادة والسير إلى الأمام، عندما كانت تسوء الحالة في الشركة ويفقد الجميع الأمل.

رأت أسامي في كوراتا شابًّا متفائلًا وجذّابًا للغاية، لكنّها كانت تقيم علاقة وقد انتهت بالانفصال عندما التحقت بالعمل، ولم تكن تفكّر في إقامة علاقة جديدة قبل أن تزول آثار علاقتها السابقة.

أصبح كوراتا وأسامي مقرّبين للغاية ولا سيّما بعد أن ناقشت أمر اجهاضها معه، فقد أجهضت طفلها بعد أن انفصلت عن حبيبها، ولم تعلم بحملها إلّا بعد الانفصال عنه، ولم يكن الإجهاض ناجمًا عن صدمتها بالانفصال.

فقد عانت أسامي من حالة صحّية يرجّح أنّها السبب في إجهاضها، بعد أن كانت قد اتّخذت قرار الاحتفاظ بالجنين، حتّى وإن عنى ذلك أن تكون أمًّا عزباء، ولكنّها أجهضت وقد تسبّبت خسارة جنينها بصدمة كبيرة لها، ولم تستطع تجاوزها بعد أن لامت نفسها لما أصابها، واعتبرته خطأه.

غرقت في بحر ذنوبها، وقد شاركت أسامي مشاعر الألم أصدقاءها المقرّبين إلى جانب أبويها وأختها، وعلى الرغم من أنّهم حاولوا جميعًا مواساتها في أحلك أوقات حزنها، إلّا أنّهم لم يستطيعوا أن يخفّفوا من شدّة ألمها وإزالة الحزن والهمّ عن قلبها.

في تلك الأوقات كان كوراتا يتودّد إليها، وبعد أن رآها غارقة في أحزانها، سألها قائلًا: "ما خطبك؟"، لم تعتقد أنّه سيتفهّم آلامها، فهي التي فقدت جنينها ولن يفهم أحد شعورها، وهو مجرّد رجل غريب في النهاية. لكنّها كانت بحاجة كبيرة إلى من يشاركها ألمها، ويصغي إليها ويتعاطف معها، ولم يكن مهمًّا من يكون هذا الشخص. ومن بين الناس

الذين أخبرتهم بمأساتها كانت صديقتها المقرّبة، والتي شاركتها بكاءها بمرارة، أمّا أفراد عائلتها فحاولوا جاهدين إقناعها بأنّ ما أصابها لم يكن خطأها، لذلك اعتقدت أنّ كوراتا بدوره سيساندها ويقف إلى جانبها معها، ويقول لها كلمات رقيقة لمواساتها، لذلك تكلّمت بصدق عما يختلج في داخلها من مشاعر مضطربة.

بعد أن سمع قصّتها، كان أوّل رد فعل له أن سألها كم انقضى على حملها، وبعد أن أخبرته بأنّه مضى عشرة أسابيع، أي ما يقارب السبعين يومًا، سألها قائلًا: "لماذا تعتقدين أنّ الطفل الذي كنت تحملينه قد منح الحياة لمدّة سبعين يومًا في هذا العالم القاسي؟"، جعل كلامه الفظّ أسامي تستشيط غضبًا إلى درجة أنّ شفتيها بدأتا ترتجفان.

أحمرّت عينيها، وتشنّجت أعصابها، وأجهشت بالبكاء، ثم صاحت قائلة: "هل تسألني لماذا أُعطي الحياة؟ هل تقول لي إنّني امرأة سيّئة، وقد تسبّبت بخسارة طفلي؟"، ولم تجد القدرة على منع نفسها من الصراخ في وجهه، فهي في الأساس تلوم نفسها لأنّ طفلها لم يولد أبدًا، ولكن أن يقول هذا الرجل صراحة ما شعرت به جعلها أكثر اضطرابًا.

في البداية بدا كوراتا وكأنّه لم يفهم ما عنته، ثمّ ابتسم لها بلطف، وقال: "لا، لقد أسأت فهمي".

أجابته قائلة: "ما الذي أسأت فهمه؟ لم أستطع القيام بأيّ شيء لحماية طفلي الذي كنت أحمله في أحشائي، ولم أستطع أن أسمح بأن يولد، لقد كان خطئي، وكلّ ما استطعت أن قدّمه إليه كان سبعين يومًا فقط، سبعين يومًا لا أكثر"، وانتظر صامتًا إلى أن توقّفت عن البكاء، ثم

قال: "لقد سعى ذلك الطفل طيلة سبعين يومًا إلى أن يسعدك"، وقد تكلّم برقّة ولطف، ولكنّ ثقته كانت تامّة بما كان يقوله، ثم أكمل كلامه قائلًا: "وإن بقيت محطّمة بهذا الشكل، فستكون الجهود التي بذلها الطفل طيلة سبعين يومًا قد تبخّرت من دون جدوى".

لم تكن الرسالة التي أراد أن يوصلها إليها تحمل معنى الشفقة، بل كان يشير إلى طريقة تغيّر نظرتها إلى الحياة وتحوّل ما أصابها إلى حافز للمضي قدمًا بعد وضع حدّ للحزن الذي سيطر عليها.

أكمل كوراتا كلامه قائلًا: "لكن إن حاولت أن تجدي السعادة بعد كلّ ما جرى معك، فسيكون الجنين قد تمكّن من بعث السعادة في حياتك خلال أيّامه السبعين، وعندها تكونين قد أعطيت لحياته القصيرة معنى، فأنت الوحيدة القادرة على إعطاء معنى للحياة التي مُنحت لهذا الجنين، لذلك عليك بأن تسعي إلى السعادة من أجله".

التقطت أسامي أنفاسها بعد سماعها هذه الكلمات المؤثّرة، وبدأ اليأس العميق الذي تغلغل في داخلها ينزاح تدريجيًا عن صدرها، وبدأت ترى كلّ شيء حولها أقل سوادًا.

من خلال محاولتي أن أكون سعيدة سأمنح معنى لحياة هذا الطفل.

كانت هذه الإجابة واضحة.

لم تكن قادرة على كبح دموعها، فنظرت إلى السماء، وصرخت بصوت عالٍ وهي تجهش بالبكاء، ولكنّها كانت دموع فرح لا دموع حزن، لأنّها تمكّنت من أن تجد طريقة للخروج من الهوّة العميقة التي

دفنت نفسها في داخلها، وستتمكّن الآن من قضاء حياة مستقرّة، وهي تسعى إلى السعادة مرّة أخرى.

في تلك اللحظات أصبح كوراتا أكثر من مجرّد كونه شخصًا متفائلًا.



قال أحدهم: "سيّد كوراتا"، عندها لاحظ أنّ ناغار كان يقف إلى جانبه، وهو يحمل الهاتف في يده.

أجاب كوراتا: "نعم".

ناغار: "إنّ فوميكو عبر الهاتف".

كوراتا: "حسنًا، شكرًا لك".

التقط السماعة وقال: "نعم، كوراتا يتكلّم".

قال كوراتا إنّه ما من مشكلة إن لم يقابلها، ومع ذلك، بدا منزعجًا قليلًا، كما لو كان متوتّرًا وقلقًا من التحدّث إليها عبر الهاتف، وأردف قائلًا: "أه، أرى ذلك... نعم... أوه، حقًا؟... فهمت... كلا، أبدًا على الإطلاق... شكرًا لك".

لم يبدُ عليه أنّه خائب الأمل، وبينما كان يتكلّم، جلس كما لو أنّه يشعر باعتزاز بنفسه بشكل غريب، وأخذ ينظر إلى الأمام مباشرةً، كما لو أنّ فوميكو تجلس أمامه، ووقف ناغار يراقب حالته غير الطبيعية، والتي تدلّ على قلقه وتوتّره.

قال كوراتا: "كلا، كلا، لقد فعلت الكثير من أجلي... لا بأس بذلك... شكرًا جزيلًا لك"، ثمّ أحنى رأسه والحزن يغمر وجهه، ثم

أكمل كلامه: "صحيح.. أجل.. حسنًا.. أرى ذلك.. ستبرد القهوة قريبًا، لذلك... نعم".

نظر إلى الساعة التي تتوسّط الساعتين المعلّقتين على الجدار.

من بين الساعات الثلاث القديمة المعلّقة على الحائط، الساعة التي تتوسّط الساعتين الأخريين وحدها تظهر الوقت الصحيح، أمّا الاثنتان الأخريان، فكانت إحداهما متقدّمة والأخرى متأخّرة. ووفقًا لذلك، عندما يريد ناغار أو كازو أو أيّ من الزوار المعتادين التحقّق من الوقت فإنّهم ينظرون إلى الساعة التي في الوسط.

بالاستناد إلى مكالمة كوراتا الهاتفية مع فوميكو افترض ناغار أنّ المرأة التي كان ينتظرها كوراتا، أسامي، لن تحضر.

أكمل كوراتا كلامه عبر الهاتف: "أجل، أجل..."

ثم مدّ يده، ولمس الفنجان ليتحقّق من أنّ القهوة لا تزال ساخنة.

بالكاد تبقّى لديّ وقت كافٍ.

تنفّس كوراتا بعمق، وأغمض عينيه ببطء.

رأته كازو وهو يفعل ذلك، ولكنّها لم تحرّك ساكنًا، ثم أكمل كلامه قائلًا: "أوه، تذكّرت لقد سمعت أنّك تزوّجت، أهنّئك، لقد أخبرني موظّفو المقهى بذلك، صدّقيني إنّ سماع ذلك وحده جعل رحلتي تستحقّ العناء".

لم تكن كلماته مجرّد كلمات فارغة، بل بدا صادقًا، كما لو أنّ وجهه المبتهج كان يبتسم من أجل فوميكو أينما كانت.

أنهى كوراتا المكالمة ببطء وقال: "... إلى اللقاء".

اقترب ناغار بهدوء من الطاولة، فأعاد كوراتا سمّاعة الهاتف إليه.

قال بهدوء: "سأعود الآن".

ابتسم وجهه لكنّ صوته كان يرتجف، وبدا جليًا أنّه محبط ويائس، ولا سيما بعد أن سافر عبر المستقبل من دون أن يتمكّن من مقابلة أسامي.

سأله ناغار وهو يتفحّص وجهه: "هل يمكنني القيام بأيّ شيء من أجلك قبل أن تعود إلى الماضي؟".

كان ناغار يعرف أنّه لا يستطيع تقديم أيّ شيء له، لكنّه لم يستطع إلّا أن يسأل، بينما استمرّ في الضغط على الأزرار من دون أن يشعر.

لابدّ أنّ كوراتا لاحظ أنّ ناغار أحسّ بمدى إحباطه ويأسه.

أجابه مبتسمًا: "كلا، كلّ شيء على ما يرام، شكرا جزيلًا لك".

رفع ناغار رأسه ببطء، وتوجّه نحو الغرفة الخلفية ممسكًا بسمّاعة الهاتف.

سأل كوراتا ميكي، وهو يعطيها قُصاصة ورق التانزاكو التي تحمل أمنيته: "من فضلك، هل يمكنك أن تعلّقي هذه من أجلي؟".

قالت ميكي: "بالتأكيد سيّدي"، اقتربت منه وأخذتها من يده، لأنّه لم يستطع أن يغادر كرسيّه.

قال لها: "شكرًا لك على كلّ شيء"، وأحنى رأسه لكازو التي تجلس خلف طاولة المحاسبة، ورفع الكأس التي أمامه.



في فصل الصيف، وقبل عامين وستّة أشهر، شخّص الطبيب مرض كوراتا بسرطان الدم الحادّ.

قيل له إنّ عليه البدء بالعلاج إن كان يرغب في البقاء على قيد الحياة، وإنّه إن لم يبدأ به بأسرع وقت، فلن يعيش أكثر من ستّة أشهر، وكان قد مضى صيفان على علاقته بأسامي، فتلقّى تلك الأخبار الصادمة بعد أن عقد العزم على شراء خاتم الخطوبة سرًّا، والتقدّم إلى خطبتها.

لكنّه لم يستسلم، حتّى ولو كان لديه فرصة ضئيلة للبقاء على قيد الحياة، ولم يتردّد أبدًا في اتّخاذ القرار بالبدء في العلاج، ولكنّه أبقى خطّته سرًّا من دون أن يخبر أسامي، كما عرف من فوميكو أنّه في هذا المقهى، لا يمكنك فقط العودة بالزمن إلى الماضي، بل يمكنك أيضًا السفر إلى المستقبل، ولكنّ المعلومات التي حصل عليها منها لم تكن مفصّلة بما يكفي لتنفيذ خطّته بنجاح، لذلك زار المقهى ليستكشف بشكل مباشر ما إذا كان من الممكن أن تنجح الخطّة التي رسمها.

لم يكن الوصول إلى المقهى صعبًا بالنسبة إليه، بما أنّه سبق أن قصده مرّتين برفقة فوميكو، ولكن ما توقّعته النشرة الجوّية قد تحقّق، فقد انهمرت أمطار غزيرة متقطّعة أخّرت وصوله إلى المقهى، وعلى الرغم من استخدامه المظلّة، فقد وصل مبلّلًا من خصره حتى أخمص قدميه.

وربما بسبب الأمطار، لم يكن هناك أحد في المقهى سوى النادلة كازو والمرأة ذات الفستان الأبيض، فعرّف كوراتا بنفسه بسرعة وشرع يشرح خطّته لكازو.

قال لها: "أرغب في السفر عبر الزمن إلى المستقبل، فقد أخبرتني السيّدة كيوكاوا، بأنّه يمكنّني السفر عبر الزمن إلى المستقبل عند الجلوس على هذا الكرسي"، وعندما رأى المرأة التي ترتدي الفستان، أخرج دفتر ملاحظات، وأخذ يُدوّن التفاصيل التي يتذكّرها عن قوانين السفر عبر الزمن، بناءً على ما أخبرته به فوميكو، ثم بدأ يتأكّد من مدى صحّة معلوماته أم خطئها.

كتب القواعد التالية: "عندما تعود إلى الماضي لا يمكنك مقابلة أيّ شخص لم يسبق له أن زار المقهى، ولكن ماذا عن المستقبل؟ هل يستحيل مقابلة أحدهم في المستقبل إن لم يسبق له أن زار المقهى أيضًا؟".

أجابته كازو: "هذا صحيح"، وفي الحقيقة قالت ذلك وهي تكمل عملها، فتأكّد كوراتا من أنّ المرأة التي كانت ترتدي فستانًا أبيض، تترك الكرسي مرّة واحدة في اليوم، حتّى تذهب إلى الحمام، وأنّه عندما يسافر المرء عبر الزمن لا يمكنه النهوض عن الكرسيّ.

سأل كازو: "هل الوقت الذي تستغرقه القهوة كي تبرد يتفاوت من شخص إلى آخر؟ أم أنّ الوقت يصبح أطول أو أقصر تبعًا للظروف؟".

لقد كان سؤالًا ذكيًا، فإن كان الوقت الذي يستغرقه الفنجان حتّى يبرد هو نفسه بشكل دائم، ففي إمكانه أن يتكلّم مع فوميكو التي سبق لها أن سافرت عبر الزمن إلى الماضي، ليتأكّد منها كم سيكون لديه من الوقت، ويكوّن فكرة واضحة حول هذا الأمر، ولكن إن كان الوقت يتغيّر في كلّ مرة، ففي أسوأ الأحوال سيكون لديه وقت أقلّ ممّا كان لديها.

كما أنّه عندما تعود إلى الماضي فإنّك تعلم تمامًا متى سيزور الشخص الذي تريد مقابلته هذا المقهى، ما يعني أنّه في إمكانك أن تحدّد وقت عودتك بدقّة متناهية، وهكذا يرجّح أن تقابل ذلك الشخص، حتّى لو كان الوقت الذي يُمنح لك في الماضي قصيرًا.

لكنّ الأمر ذاته لا ينطبق على السفر عبر الزمن إلى المستقبل، لأنّه بالرغم من ترتيب اللقاء بأحدهم، يبقى أمر قدوم ذلك الشخص مرتبطًا بظروف لا يمكن توقّعها أو التنبّؤ بها، فيمكن أن يفوّت اللقاء بفارق ثوانٍ قليلة، لذلك أيّ تفاوت في الوقت يمكن أن يكون حاسمًا.

شعر كوراتا بالتوتّر وهو يقف منتظرًا إجابة كازو، وفي النهاية أجابته قائلة: "لا أعلم".

لم يبدُ كوراتا خائب الأمل بشكل كامل، بما أنّه توقّع إجابة كهذه، فقال ببساطة: "حسنًا، حسنًا".

ثم طرح عليها سؤاله الأخير: "لقد عرفت أنّ السفر عبر الزمن إلى الماضي لن يؤثّر على الحاضر، وأنّ كلّ ما يبذله الإنسان في الماضي لن يغيّر الحاضر، فهل يصحّ أن أعتقد أنّ ذلك ينطبق على المستقبل؟" وعلى عكس الأسئلة السابقة فقد أجابته كازو بعد أن توقّفت للحظة عن القيام بما كانت تفعله عند سماعها هذا السؤال: "أعتقد ذلك".

ربما فعلت ذلك لأنّ لديها فكرة عن سبب سؤال كوراتا، ولكنّها نادرًا ما أجابت إجابة مبهمة، ما يشير إلى أنّها المرّة الأولى التي يطرح أحدهم مثل هذا السؤال.

فكّر كوراتا في أنّه إن كانت هذه القاعدة التي مفادها *أنّ كلّ ما تقوم به في الماضي لن يؤثّر على الحاضر* تنطبق على السفر عبر الزمن إلى الماضي، فهي لا بدّ أن تنطبق على السفر إلى المستقبل أيضًا.. وإن ذهب إلى المستقبل ولم يقابلها، فلا يهمّ ما الذي سيفعله من الآن فصاعدًا، فسيبقى المستقبل كما هو من دون أيّ تغيير، ولكن من جهة أخرى، إن تمكّن من مقابلتها في المستقبل، فسيحصل هذا اللقاء بصرف النظر عمّا سيفعله من الآن فصاعدًا.

كانت هذه هي القاعدة التي تهمّه، وقد سعى للاستيضاح عنها من بين كلّ القواعد، فمن غير الحكمة أن يسافر إلى المستقبل، ويبني آمالًا على لقاء أسامي صدفة، فلو كانت من روّاد المقهى، حينها يمكن أن ينجح ذلك، لكنّها لم تكن كذلك، لذا سعى كوراتا إلى أن يخطّط بدقّة كي يجعلها تزور المقهى في الوقت الذي سيذهب فيه إليه في المستقبل.

إن كان تغيّر المستقبل ممكنًا، فعليه منذ الآن السفر إلى المستقبل، فحتّى إن لم يستطع مقابلة أسامي في الوقت الذي سيذهب فيه، إلّا أنّه سيبذل قصارى جهده عندما يعود كي تتسنّى له فرصة لقائها في مرّة قادمة، لكن الأمر لا يمكن أن يتحقّق هكذا.

فالمستقبل الذي تسافر إليه لا يمكن تغييره، لم تكن هذه القاعدة جديدة بل مجرّد امتداد لقاعدة أنّه مهما كان الجهد الذي تبذله عندما تكون في الماضي، فلن تتمكّن من تغيير الحاضر، وقد أراد كوراتا أن يسافر إلى المستقبل، فكان الشخص الأوّل الذي قرّر فعل ذلك، لأنّ لا أحد يفكّر في السفر إلى المستقبل.

بدا وكأنّه يفكّر مليًّا في الأمر، وهو يقف في مكانه صامتًا، ثم قال وهو يحني رأسه: "حسنًا فهمت، أشكرك جزيلًا".

سألته كازو: "هل تنوي أن تسافر عبر الزمن إلى المستقبل اليوم؟".

أجابها: "لا ليس اليوم"، وبعدها غادر المقهى، وهو يخطو خطوات متسارعة، فأصدر حذاؤه الرطب صوتًا مزعجًا.

قرّر كوراتا أن يستعين بفوميكو حتّى يتمكّن من لقاء أسامي في المستقبل، لأنّها تتردّد بكثرة إلى هذا المقهى، ولأنّه معجب بعملها في مجال هندسة الأنظمة، ولن يجد شخصًا أفضل منها من أجل مساعدته في هذا الأمر، لذلك اتّصل بها، وطلب لقاءها كي يناقش معها مسألة عاجلة، ثم دخل في الموضوع مباشرة ومن دون أيّ مقدّمات.

قال: "لا أعتقد أنّني سأعيش أكثر من ستّة أشهر"، ثم أظهر لفوميكو التي بدت مصدومة بكلامه نتائج الفحوصات الطبّية التي أجراها، وشرح لها ما قاله له طبيبه، وأنّ عليه أن يدخل المستشفى خلال أسبوع، فكان من الطبيعي ألّا تجد فوميكو الكلمات المناسبة لمواساته، فضلًا عن أنّ ملامح وجهها القاسية وجديّتها، لم تتح لها سوى الاكتفاء بسماع ما يقوله وتقبّله من دون تعليق.

سألته: "ما الذي تريده منّي؟".

قال لها: "هناك شيء أرغب في القيام به، ولا أستطيع أن أثق بأحد سواك لمساعدتي"، صمت لحظة ثم أكمل كلامه: "سأذهب إلى ذلك المقهى كي أسافر إلى المستقبل وتحديدًا بعد سنتين وستّة أشهر، فهل يمكنك أن تحضري أسامي إلى ذلك المقهى إن كنت ميتًا؟"،

نظرت فوميكو إلى كوراتا تلك النظرة الغامضة عند سماعه يقول: *إن كنت ميتًا*.

ثمّ أردف قائلًا: "ولكن لا يجب عليك أن تصطحبيها إلى المقهى في أيّ حالة من هاتين الحالتين".

سألته مستغربة: "ماذا تقصد بأنّك لا تريد منّي أن أصطحبها إلى المقهى؟"، بدا من ملامح وجهها أنّها تحاول جاهدة فهم ما يريد قوله، فقد طلب منها أن تصطحب أسامي إلى المقهى بعد عامين وستّة أشهر، وها هو يخبرها بشروط اصطحابها إليه، وإن لم تتحقّق فلا يجب عليها أن تحضر برفقتها، لذلك لم تستطع أن تفهم ما الذي يخطّط له.

قال كوراتا: "في البداية، إن لم أمت فلا تصطحبيها إلى المقهى".

كان هذا منطقيًا، وهذه الحالة هي التي ترجوها بكلّ تأكيد، لكن عندما سمعت الحالة الثانية، شعرت فوميكو بأنّها لا تعرف ما الذي يجب أن تقوله.

قال لها كوراتا: "إن تزوّجت أسامي بعد أن أموت، وكانت سعيدة في حياتها، فأرجو ألّا تصطحبيها إلى المقهى".

ردّت فوميكو: "ماذا يعني ذلك؟ لا يبدو كلامك منطقيًا بالنسبة إليّ على الإطلاق..."

فأجابها: "إن لم أقابل أسامي عندما أسافر عبر الزمن إلى المستقبل، فسأعتبر أنّها تزوّجت وهي سعيدة بزواجها وسأعود فورًا، لكن إن لم يكن الأمر كذلك، عندها لن يكون لديّ شيء لأقوله لها... وهذا هو سبب..."، وصمت لحظات طويلة.

ربما لم يكن لدى كوراتا سوى ستّة أشهر كي يعيشها، ولكن أكثر ما أراده في هذه الحياة أن تكون أسامي سعيدة.

عند سماعها خطّته، قالت فوميكو: "إنّ الناس أمثالك..." ثم أجهشت بالبكاء.

كان يعتمد كلّ شيء على قرارها إن كانت ستطلب من أسامي أن تحضر إلى المقهى أم لا.

قال لها وهو يحني رأسه: "من الناحية المنطقيّة، لن يتوجّب عليك القيام بأيّ شيء، لكن أرجوك ابذلي قصارى جهدك من أجلي".



لكنّ أسامي لم تظهر، لذلك أخذ نفسًا عميقًا، ورفع فنجان القهوة الذي بين يديه إلى شفتيه.

حينها فقط...

صوت رنين الجرس

رنّ جرس باب المقهى، ودخلت أسامي موري بسرعة، وهي ترتدي معطفًا من القماش الأزرق البحري.

لا بدّ أنّ الثلوج بدأت تتساقط في الخارج، فقد كان هناك ندف ثلج على رأسها وكتفيها، بينما كان كوراتا يرتدي قميصًا قصير الكمين، بما أنّه قدم من الماضي في فصل الصيف، وعندما ظهرت أسامي فجأة وهي

ترتدي معطفًا عليه ندف ثلج، دلّ ذلك بوضوح على عيد الميلاد الذي يطغى عليه اللون الأبيض.

لم يكن من الواضح ما هو الموسم الذي يجري فيه لقاؤهما، فكلّ منهما حضر من موسم مختلف.

نظر الاثنان إلى بعضهما للحظات بصمت.

ثم قال كوراتا محرجًا: "أهلًا بك".

كانت أسامي تلتقط أنفاسها، عندما حدّقت إليه مستغربة إلى حدّ ما.

قالت بفظاظة: "لقد أخبرتني فوميكو بكلّ شيء، ما الذي كنت تفكّر فيه؟ تجعلني أحضر كي أقابل رجلًا ميتًا، هل وضعت نفسك مكاني ثانية واحدة؟" بينما كان كوراتا يحدّق إلى وجه أسامي، بدأ يتحسّس بإصبعه جبهته مرتبكًا.

تمتم قائلًا: "أنا أعتذر"، وتابع التحديق إليها، كما لو كان يراها لأوّل مرّة.

سألت أسامي بارتياب: "ماذا تريد؟".

قال بهدوء معتذرًا عن خطئه: "... أوه أعتذر، لا شيء، ينبغي قوله عليّ بالعودة"، وبينما كان يرفع الفنجان إلى شفتيه، اقتربت منه أسامي، فمدّت يدها اليسرى أمامه، لتظهر خاتمًا متلألئًا يطوّق إصبعها.

قالت وهي تنظر إلى عينيه مباشرة، وقد اختصرت كلماتها التي بدت شديدة الوضوح: "انظر، لقد تزوّجت، هل هذا واضح؟".

أجابها كوراتا: "أجل.. أفهم".

كانت عينا كوراتا قد أصبحتا حمراوين، فأشاحت أسامي بعينيها بعيدًا عنه، وتنهّدت بعمق.

ثمّ وبّخته قائلة: "لقد مرّ عامان على وفاتك، بماذا كنت تفكّر وأنت تتآمّر وفوميكو عليّ؟ هل خطر في بالك يومًا أنّك كنت قلقًا أكثر ممّا ينبغي؟".

قال كوراتا بمرح، بينما ترتسم على وجهه ابتسامة رقيقة ولكنّها مليئة بالمرارة في الوقت نفسه: "يبدو أنّه ما كان يجدر بي أن أقلق إلى هذه الدرجة".

لم يكن واضحًا ما الذي كانت تفكّر فيه أسامي، بعد أن ظهرت بشكل مفاجئ، لكنّ معرفته أنّها تزوّجت، أشعره بالطمأنينة التي يسعى إليها.

أكمل كلامه: "يجب أن أرحل".

بعد عودته إلى الماضي، سيكون أمامه ستّة أشهر فقط ليعيشها إلى جانبها، وبقدومه إلى المستقبل لن يغيّر حقيقة أنّه سيموت، كما أنّ معرفته بذلك لم ترسم الحزن على ملامح وجهه ولو بمقدار ضئيل، فقد كان وجهه المبتسم مشرقًا ومليئًا بالبهجة والسعادة.

نظرت إليه أسامي، التي لم تستطع أن تعلم بما كان يفكّر فيه، وقالت وهي تشبك ذراعيها ببعضهما:

"حسنًا إذًا..."

شرب كلّ القهوة دفعة واحدة، وبدأ يشعر بالدوار على الفور، كما بدأ كلّ ما حوله يومض، وعندما أعاد الفنجان إلى الصحن، بدأت يداه

تتحوّلان إلى بخار تدريجيًا، بينما كان جسده يطفو في الفضاء، صرخت أسامي: "كوراتا!"

بدأ يفقد وعيه كما لو كان كلّ شيء ضبابيًا من حوله ويعبر من خلاله.

ثم قالت: "شكرا لك على مش.."، واختفى الصوت بشكل مفاجئ، ولم يستطع سماع ما كانت ستقوله، ثم اختفى من الغرفة كما لو أنّه قد سُحب من السقف.

ظهرت المرأة ذات الفستان الأبيض على الكرسي الذي كان يجلس عليه، وهي أشبه بالسراب، بينما وقفت أسامي هناك، تحدّق إلى المكان الذي اختفى منه.

صوت رنين الجرس

صدح صوت جرس الباب الصاخب.

دخلت فوميكو وهي ترتدي ملابس شتوية، ومعطفًا سميكًا مبطّنًا بالصوف، وقد وقفت هناك أمام الباب بعد أن كانت تستمع من خلفه إلى المحادثة التي دارت بين العاشقين السابقين، تنتظر انتهاءها.

سارت ببطء نحو أسامي.

وقالت: "أسامي..."



كان لدى كوراتا شرطان إن تحقّق أحدهما، فعلى فوميكو ألّا تحضر أسامي إلى ذلك المقهى.

الشرط الأوّل هو إن لم يمت، أمّا الشرط الثاني فهو إن مات، وكانت أسامي متزوّجةً وسعيدة في حياتها.

ولكن بعد وفاته، كانت فوميكو قلقة ولا تعلم متى سيحين الوقت المناسب لإخبار أسامي بذلك، أهو في اليوم السابق لعقد اللقاء مباشرة، أم قبل ذلك؟.

وفيما يتعلّق بأنّها لم يكن عليها إحضار أسامي إن كانت متزوّجة وسعيدة في حياتها، فقد فسّرت ذلك على أنّه *إن لم تتمكّن أسامي من تجاوز موت كوراتا وكانت غير قادرة على الارتباط بأيّ رجل آخر، فسيرغب حينها في أن تأتي لملاقاته ليجعلها تسعى إلى تحقيق هذه السعادة.*

لم ترغب فوميكو في أن تجعل أسامي تقابل كوراتا مهما كان السبب، لأنّها إن كانت تبذل قصارى جهدها لنسيانه، وتمكّنت من تخطّي حبّه، وإن لم تكن متزوّجة، فسيجعلها ذلك تتألّم من جديد، إذ إنّ اللقاء سيكون مع شخص ميت، وهذا لا يمكن الاستخفاف به، فإن تمّ التعامل مع الموقف بطريقة خاطئة، قد يؤدّي ذلك إلى تدمير حياتها.

أخذت فوميكو جميع الاحتمالات بعين الاعتبار، وفكّرت في الأمر مرارًا وتكرارًا، ولكن ها قد مضى عامان من دون أن تجد حلًّا لمخاوفها، وهي لا تملك أدنى فكرة عن مشاعر أسامي، فقد حزنت بشدّة بعد وفاة كوراتا، ولكنّها تمكّنت بعد ستّة أشهر، من أن تتغلّب على محنتها وتمضي قدمًا، وبذلك يمكن أن تستنتج فوميكو أنّها لم تدع موته يعيق تقدّمها أو يدمّر حياتها.

رغم ذلك لم تقدر فوميكو أن تقرّر إن كانت ستحضر أسامي إلى المقهى في اليوم المحدّد للقاء، استنادًا إلى الشرطين اللذين حدّدهما كوراتا لإحضارها.

لم تتزوّج أسامي أيضًا، وبغضّ النظر أكان الشخص متزوّجًا أم لا فهذا لا يعدّ مقياسًا لسعادته، كما أنّ فوميكو لم تسمع عن وجود أيّ علاقة غرامية تربط أسامي بأحدهم منذ وفاة كوراتا، وقبل أن تدرك مرّ الوقت بسرعة، فكان يوم اللقاء المحدّد بعد أسبوع فقط.

بعد كثير من التفكير، قرّرت فوميكو أن تستشير زوجها غورو، فعلى الرغم من أنّها تعترف ببراعته بصفته مهندس أنظمة وزميلًا في العمل، فإنّ ثقتها به لا تصل عادة إلى استشارته في شؤون الحبّ، ولكن مهما كان الأمر معقّدًا، فقد اتّفقا على أنّه إن واجه أيّ منهما أيّ مشكلة، فسيتناقشان حولها بصفتهما شريكين إلى جانب كونهما زوجين، لذلك قرّرت التعلق بقشة، وطلب نصيحته.

عندما أخبرته بالأمر، نظر إليها متعجّبًا، وقال: "لا أعتقد أنّه أخذ بعين الاعتبار أنّك قد تفكّرين في الأمر كثيرًا وتقلقين إلى هذه الدرجة".

لم تعلم فوميكو ما الذي يتحدّث عنه، وأكمل غورو كلامه: "لقد منحك كامل ثقته".

قالت فوميكو: "لكنّني لا أعلم ما الذي عليّ القيام به".

فأجابها: "كلا، لم أعنِ أنّه وثق بك كامرأة".

فسألته باستغراب: "ماذا؟ ما الذي تعنيه؟".

أجابها قائلًا: "لقد وثق بك بصفتك مهندسة نُظم".

فوميكو: "ما الذي يعنيه ذلك؟".

"فكّري في كلامه مليًا، لم يرغب في حضور أسامي إلى المقهى في حال تحقّق شرطان، الأوّل إذا لم يمت، والثاني إن كانت متزوّجة وسعيدة".

"حسنًا، ما زلت لا أفهم ما يعنيه ذلك".

"إن كنت ترين الأمر ببساطة وكأنّه برنامج يحكم على ما إذا كان هذان الشرطان محقّقين، ورفض أيّ شروط أخرى غير محدّدة في البرنامج..."

قالت فوميكو: "وهذا يعني إن لم تنطبق حالة أسامي على أحد شرطي كوراتا، فعليها المضيّ قدمًا في الحياة".

علّق غورو: "هذا صحيح، فعلى سبيل المثال، قد تكون سعيدة لكنّها ليست متزوّجة، الأمر الذي لا يطابق أحد شرطيه بعدم إحضارها إلى المقهى".

قالت فوميكو: "لقد فهمت".

ردّ غورو: "ربما يعرف كوراتا أسامي أفضل منك، وأنّ هذين الشرطين المطلقين هما جزء من طريقة قد تساعدها على التعافي بطريقة ما من الصدمات النفسية".

الآن، بعد أن ذكر هذا، كان لدى فوميكو تصوّر عن الصدمة التي يتكلّم عنها زوجها، فقد تعرّضت أسامي للإجهاض، وقد سمعتها تقول: "إنّني أشعر بالخوف عندما أفكّر في أنّني سأجهض مرّة أخرى."

أكمل غورو: "وعلى النقيض من ذلك، هناك الحالة التي تكون فيها متزوّجة ولكنّها ليست سعيدة، أليس كذلك، هذه الحالة لا تحقّق أحد شرطي عدم إحضارها أيضًا".

قالت فوميكو: "حسنًا، لقد فهمتُ ذلك الآن، شكرًا لك"، انطلقت على الفور للقاء أسامي.

غالبًا ما تصرّفت فوميكو بسرعة بمجرّد أن تعلم ما الذي يتوجّب عليها القيام به، كان تاريخ اللقاء المتفّق عليه في المقهى في تمام الساعة السابعة مساء في الخامس والعشرين من كانون الأوّل، يوم عيد الميلاد، وبالطبع لم تكشف فوميكو عن شرطي كوراتا عندما أخبرت أسامي بأنّه قادم من الماضي في ذلك التوقيت، ولكن عند سماع أسامي بهذا الخبر، بدا صوتها مخنوقًا عندما قالت: "فهمت..."، بدا وكأنّ مزاجها قد تعكّر واسودّت الحياة في وجهها.

عندما اقترب موعد زيارة كوراتا، تغيّبت أسامي عن العمل من دون سابق إذن، وحاول العديد من الموظّفين الاتّصال بها، لكنّها لم تجب على اتّصالاتهم، فبدأوا يطلقون الشائعات حول سبب اختفائها، كما أشاروا ساخرين إلى أنّها ربما ترى أن العيد أكثر أهمّية من العمل، ولم تكن إلّا فوميكو تعرف ظروف غيابها، لذلك طلبت من فريقها بأسلوب حازم: "قلّلوا الكلام، وأكثروا العمل، من فضلكم".

كانت أسامي تتعذّب وهي تفكّر إن كان عليها أن تلتقي به أم لا.

أرسلت لها فوميكو رسالة نصّية.

سأكون في انتظارك أمام المقهى الليلة الساعة السابعة مساءً.

في تلك الليلة...

كان هناك الكثير من أشجار عيد الميلاد منتشرة حول المحطّة، وقد زُيّنت بأضواء مشعّة وبرّاقة، وعجّ المكان بالناس، وانبعثت أغاني عيد الميلاد من كلّ الاتجاهات، أمّا المقهى الواقع في شارع جانبي بين المباني على بعد عشر دقائق سيرًا على الأقدام من المحطّة، فباستثناء إكليل الزهور الصغير المعلّق على لافتته، بدا مظهره كأيّ يوم آخر، فقد انبعث الضوء من الشارع الرئيسي، وهذا ما جعله شديد الظلام، بالمقارنة حيوية المنطقة المحيطة بالمحطّة، فقد كان هذا المقهى فريدًا ومميّزًا عن غيره.

وقفت فوميكو تنتظر خارج مدخل الطابق الأرضي، وهي تراقب أنفاسها التي تشكّل سحبًا بيضاء ضبابية، وتتمتم قائلة:"هل كان المكان مظلمًا هكذا على الدوام؟".

تراقصت ندف الثلج التي كانت تتساقط على شكل رذاذ منذ غروب الشمس، وتناثرت على الأرض، وحتّى في هذا الطريق الجانبي الضيّق، وعلى المظلّة المعلّقة الموجّهة نحو الأعلى لم تجمع سوى كمّية ضئيلة من الثلوج.

رفعت فوميكو كمّها من تحت قفّازها، بما يكفي لتتفقّد ساعتها، لقد تأخّر الوقت قليلًا عن الموعد الذي اتّفقا عليه لمقابلة كوراتا.

لكنّ أسامي لم تظهر بعد، ربما يكون قطارها قد تأخّر بسبب تساقط الثلوج أو بسبب الازدحام المروري الناتج عن تراكمها على الطرقات.

في العادة، كانت تشعر بسعادة في عيد الميلاد الذي تتساقط فيه الثلوج التي تغطّي كلّ مكان بلونها الشديد البياض، والتي توحي بالرومنسية، لكن الثلوج هذه الليلة بعثت في نفسها الضيق والاستياء.

"أين أنت يا أسامي؟"، قالت فوميكو، وهي تحاول الاتّصال بها للمرّة الثالثة، لكن لم يأتِها أيّ ردّ.

لن يلتقي بها، فربما قرّرت ألّا تأتي.

شعرت فوميكو بخيبة أمل بسبب قرار أسامي، لكنّ اتّخاذ هذا القرار يعود إليها وحدها، فتساءلت: أكان يجب أن أضغط عليها أكثر لدفعها إلى القدوم؟ ولكنّ الشعور بالأسى والإحباط لم يفارقها.

ماذا أستطيع أن أقول لكوراتا؟ كانت خارج المقهى، ولكنّها لم تستطع مواجهته والدخول إلى المقهى وقول إنّها آسفة، لذلك فضّلت أن تتحدّث إليه عبر الهاتف.

"هل أنت كوراتا؟ أنا فوميكو كيوكاوا، أجل أرى، ما يتعلّق بأسامي... إنّ الأمر معقّد قليلًا... أخبرتها بأنّك قادم اليوم... أخبرتها منذ أسبوع... صحيح... حسنًا، أنا آسفةٌ جدًّا، يبدو أنّني أسأت فهم ذلك...

على أي حال، بدا الأمر كما لو أنّها ستأتي، أجل، حسنًا... أمم.. آه، أجل، لكنّها بخير، لقد ظلّت حزينة جدًّا خلال ستّة أشهر تقريبًا، لكن يبدو أنّها تجاوزت الأمر الآن... نعم... إنّني متأسّفة للغاية، إنّني أشعر بأنّه كان عليّ أن أبذل قصارى جهدي، لذلك أشعر بالندم الشديد الآن... ماذا؟ أوه، أجل، شكرًا لك، أوه... يتوجّب عليك أن تعود قريبًا أليس كذلك؟ يا إلهي... على كلّ حال، إنّني متأسّفة جدًّا.. نعم، حسنًا إذًا..."

لكنّها لم تستطع التخلّص من شعورها بالندم بعد أن أنهت المكالمة، ووقفت هناك بينما كان الثلج يتساقط الآن أكثر فأكثر.

أعتقد أنّه يجب عليّ أن أعود الى المنزل أنا أيضًا.

بالكاد جرّت قدمها المتثاقلة وخطّت خطوة واحدة، عندما...

سمعت صوت امرأة من خلفها تقول: "فوميكو!"، استدارت لترى أسامي تقف خلفها وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة.

قالت فوميكو متفاجئة: "أسامي!"

سألتها أسامي: "فوميكو، أما زال كوراتا هنا؟".

"لست متأكّدة، لكن..."

نظرت إلى ساعتها قلقة، فقد قال إنّه سيأتي في تمام الساعة السابعة، وقد مرّت ثماني دقائق حتّى الآن، وأتمنّى أن يحالفنا الحظّ، ولا تكون قد تأخّرت بعد أن بردت قهوته، فمن المحتمل أنّه شربها بعد إنهاء المكالمة الهاتفية، لذلك لم يكن عليها بتضييع أيّ ثانية.

"هيا بنا ندخل"، حثّت فوميكو أسامي وهي تضع يدها على ظهرها، وتدفعها إلى أسفل الدرج.

التفتت إليها أسامي أمام باب المقهى.

وقالت لها: "أريد أن أستعير خاتم زواجك".

كان هذا الخاتم مميّزًا جدًّا بالنسبة إلى فوميكو، وقد قدّمه إليها زوجها العام الماضي.

سوف أسألها الآن، هذا ما قالته لنفسها قبل أن تطلبه منها.

من دون تردّد، سحبت فوميكو الخاتم من إصبعها بسرعة، وقدّمته إلى أسامي، وقالت: "حسنًا، أسرعي إليه!".

أومأت أسامي إليها برأسها، وقالت: "شكرًا لك"، ثم دخلت المقهى، وصدحت أصوات أجراس الباب.



حدّقت في المكان الذي اختفى فيه كوراتا، وأطلقت تنهيدة خفيفة، وقالت بينما كان جسدها يرتعش: لقد حاولت المضيّ قدمًا، لكنّني لم أستطع أن أنسى كوراتا، وانتهى بي الأمر إلى أن أعتقد أنّني لن أتمكّن من الزواج من غيره".

نظرت فوميكو إلى أسامي ولم تقل إلّا: "آه، بالطبع".

في إمكانها أن تتخيّل نفسها مكانها.

كنت سأشعر مثلها لو كنت مكانها.

ضمّت فوميكو يدها إلى صدرها، فلم تتمكّن من إيجاد كلمات تعبّر عن شعورها.

توقّفت أسامي، وبدأت تنقل ما قاله لها كوراتا بصوت مرتجف ورقيق: "إنّني أتذكّر ما قاله لي عندما أجهضت، قال لي إنّ جنيني الذي كان في أحشائي تمكّن من خلال صموده سبعين يومًا أن يجلب لي السعادة، وقال إنّ لم أتمكّن من إيجاد طريقة للتخلّص من تعاستي، فستكون أيّامه قد ضاعت سدى، أمّا إن تمكّنت من أن أصبح سعيدة مرّة أخرى، فأكون قد حقّقت ما سعى إلى تقديمه إليّ طفلي، وهكذا

استطعت أن أعرف سبب منح طفلي الحياة مدّة سبعين يومًا فقط، وأنّ عليّ أن أكون سعيدة دائمًا، وأنّه ما من أحد يتمنّى لي السعادة أكثر ممّن يحبّنا بصدق، ذلك جعلني أفكّر مليًا، فربما لن أكون قادرة على الزواج الآن، ولكن يجب أن أكون سعيدة من دون أدنى شكّ".

قالت فوميكو: "أسامي..."

قاطعتها وأكملت كلامها قائلة: "لأنّه إن كان من الممكن أن تنتقل سعادتي إليه..."

توقّفت عن الكلام وأخرجت الخاتم الذي استعارته من إصبعها، وأعادته إليها، فقد استعارت خاتم فوميكو لتكذب على كوراتا وتجعله يصدّق أنّها تزوّجت.

"أتمنّى أن تكون أسامي سعيدة دائمًا"، قرأت ميكي هذا بصوت عالٍ عن ورقة التانزاكو التي تركها كوراتا خلفه.

لم تعلم أسامي كيف ظهرت ورقة التانزاكو هذه، ولكن بمجرّد سماعها ما كتبه عليها أدركت في الحال أنّها كلمات كوراتا، فسالت الدموع بغزارة على خدّيها، وخارت قواها، وسقطت على الأرض.

اقتربت ميكي من أسامي ونظرت إليها مستغربة، وسألتها: "هل أنت بخير يا آنستي؟".

وضعت فوميكو يدها حول كتف أسامي، بينما توقّفت كازو عن العمل، ونظرت إلى السيّدة ذات الفستان الأبيض.

أغلق ناغار المقهى في ذلك اليوم مبكرًا.



عندما عادت فوميكو إلى المنزل أخبرت غورو بكلّ ما حدث، فقال بعد أن انتهت من سرد كلّ ما جرى، بينما يأخذ الكعك الذي أشترته بمناسبة العيد: "من المرجّح أنّ كوراتا عرف أنّها كذبت".

سألته فوميكو وقد تجهّم وجهها: "ما الذي جعلك تعتقد أنّه عرف أنّها تكذب؟".

أجابها: "قالت له إنّك أخبرتها بكلّ شيء، أليس كذلك؟".

فوميكو: "أجل، قالت له ذلك، ولكن ما المغزى من كلامك؟".

أجابها غورو: "إن كانت سعيدة حقًّا ما كنت لتخبريها بما يتعلّق بالشرطين؟ فاستنادًا إلى الشرطين اللذين ذكرهما لك، والسيناريو الذي جرى في المقهى، ما كان يجدر بك أن تدعيها تأتي للقائه".

تفاجأت فوميكو وقالت: "أوه.."

غورو: "هل تفهمين ما أقصد؟".

أجابته: "تبًّا، لم أفكّر في ذلك، لقد أخبرتها بكلّ شيء، إنّه خطئي".

نظر غورو إلى وجه فوميكو الذي ظهر عليه الإحباط وضحك بشدّة.

سألته فوميكو مستنكرة: "ماذا؟ ما الذي يضحكك؟".

اعتذر غورو، وتأسّف عدّة مرات، ثم قال بعد ذلك: "لا أعتقد أنّ ذلك بالأمر الجلل، حتّى لو علم بأنّها تكذب فقد عاد إلى الماضي من دون أن يقول شيئًا لها، وذلك لأنّه علم بأنّها ستجد السعادة الآن وربما ستتزوّج..."

وبعد أن أنهى كلامه أخرج هدية عيد الميلاد وقدّمها إليها ليبعد تفكيرها عن هذا الموضوع الذي بدأ يقلق راحتها.

قال غورو: "لقد مررت بالتجربة ذاتها أليس كذلك؟".

تقول فوميكو: "أنا مررت بها؟".

أكمل غورو: "فيما يتعلّق بعدم سعادتها في المستقبل، لم يكن هناك ما في إمكانه فعله ليغيّر ذلك، وعندما أتت إلى المقهى..."

سألته فوميكو: "لكن ماذا عن المستقبل؟".

أجابها: "بالضبط، علم أنّ كذبتها غيّرت ما كانت تشعر به حقًّا".

فوميكو: "تعني أنّها قرّرت في تلك اللحظة أن تكون سعيدة؟".

"أجل، لهذا عاد إلى الماضي من دون أن ينبس ببنس شفة".

"حسنًا، فهمت".

قال غورو وهو يلتقط قطعة أخرى من الكعك: "لذلك في إمكانك أن تكوني مرتاحة البال".

قالت له: "حسنًا لا بأس بذلك"، بدت مرتاحة، وحذت حذوه، وأخذت قطعة من الكعك.

لم يمرّ الوقت بهذا السكون مثلما مرّ خلال عيد الميلاد ذاك.



أُطفئت المصابيح، وأنارت أضواء عيد الميلاد وحدها الغرفة، بدلّت كازو ملابسها، بعد أن أغلقت سجلّ الحساب، ثمّ وقفت صامتة أمام المرأة ذات الفستان الأبيض، مكتوفة اليدين من دون أن يظهر أيّ تعبير على وجهها.

صوت رنين جرس الباب

قال لها ناغار: ما زلت هنا"، وهو يحمل ميكي على ظهره، وهي تغطّ في نوم عميق، بعد أن أرهقت نفسها ولعبت بالثلج مدّة طويلة.

أجابته كازو بعد لحظات من الصمت: "أجل".

سألها ناغار: "هل كنت تفكّرين في كوراتا؟"، لم تجبه بل نظرت بدلًا من ذلك إلى ميكي التي كانت تنام بسلام على ظهر ناغار.

لم يسألها أسئلة أخرى، بل مرّ من أمامها، وقال بهدوء قبل أن يغادر الغرفة: "كانام تشعر بالمثل، على ما أعتقد"، كما لو أنه كان يتكلّم مع نفسه، ومن ثم توارى عن الأنظار.

إنّ شجرة عيد الميلاد التي تكاد تصل إلى السقف، تُعدّ المصدر الوحيد للإنارة، وقد سلّطت الضوء على كازو وهي تقف في وسط المقهى الساكن.

في اليوم الذي سافرت فيه كانام لتقابل زوجها المتوفّي، كانت كازو في السابعة من عمرها، وهي من قدّمت إليها القهوة.

عندما سأل أحد معارف كانام ناغار عمّا حصل في ذلك اليوم المشؤوم، أجابه بهدوء: "كان تعرف أنّ عليها أن تشرب القهوة قبل أن تبرد، من المرجّح أنّها تخيّلت أنّ حرارتها يجب أن تصبح ببرودة الماء من الصنبور، بينما اعتقد آخرون أن القهوة تبرد عندما تصبح أقلّ من درجة حرارة أجسامهم، لذلك عندما يتعلّق الأمر بهذه القاعدة لا يعلم أحد المعنى الحقيقي لعبارة قبل أن تبرد القهوة، ومن المرجّح أنّ كانام اعتقدت أنّ القهوة لم تبرد بعد".

مهما كان ما جرى معها، فلا يعلم أحد الحقيقة الكاملة، وقد أخبر الجميع كازو التالي: "لا يقع عليك اللوم، يا كازو".

لكنّها كانت تشعر في داخلها...

أنا التي سكبت القهوة لأمّي

ولم تستطع أن تتجاوز تلك الحقيقة على الإطلاق.

بدأت تشعر مع مرور الأيّام...

أنا من قتل أمّي...

سلبت هذه التجربة المرّة براءة كازو، وسرقت منها ابتسامتها أيضًا، وصارت تتجوّل في الأرجاء بلا هدف، وكأنّها تسير في نومها في الليل والنهار، وبعد أن فقدت الأمل والقدرة على التركيز، سارت في وسط الطرقات وكادت أن تدهسها سيّارة، كما وجدها أحدهم ذات مرّة تسبح في النهر في منتصف الشتاء، وعلى كلّ حال، لم تكن تتمنّى الموت وهي بكامل وعيها، بل كان ذلك في اللاوعي، فقد لامت كازو نفسها باستمرار من دون أن تعترف بذلك.

بعد مرور ثلاث سنوات على تلك الحادثة، كانت تقف عند تقاطع السكك الحديدية، من دون أن تظهر على وجهها تعابير توحي بأنّها ترغب في الانتحار، بل وقفت تنظر إلى جهاز الإنذار الذي أنطلق صاخبًا وظلّ يرنّ بشكل متواصل، بتعابيرها الباردة لا يمكن تفسيرها.

وقد صبغت الشمس التي أوشكت أن تغيب البلدة بلون برتقالي، ووقف خلف كازو فتاة صغيرة برفقة والدتها تنتظران بوّابة العبور كي تنفتح، كانتا قد عادتا لتوّهما من التسوّق، كما كان هنالك مجموعة من

طلّاب المدرسة وهم عائدون إلى منازلهم، في تلك اللحظة صاحت الطفلة بين الجموع، وقالت: "أنا أعتذر يا أمّي"، كانت مجرّد محادثة طبيعية بين أمّ وطفلتها.

وقفت كازو للحظة، ونظرت إلى الفتاة ووالدتها ثم تمتمت: "أمّي..." وبدأت تسير نحو البوّابة المغلقة كما لو أنّ هذه البوابة تشدّها إليها بقوّة.

حينها فقط...

انبعث صوت من خلفها يقول: "هل تمانعين أن تأخذيني معك؟"، كانت امرأة تقف إلى جانبها بكلّ هدوء.

جمدت في مكانها وهي تنظر إلى وجه المرأة، فقد كانت كينويو، مدرّسة في مدرسة الفنون المجاورة، وقد صادف أنّها كانت تجلس في المقهى عندما عادت كانام إلى الماضي، وقد آلمها اختفاء الابتسامة عن وجه كازو البشوش بعد ذلك اليوم المشؤوم، ولذلك كانت دائمًا إلى جانبها وتعتني بها.

لكن منذ ذلك اليوم وحتّى الآن، وعلى الرغم من كلّ محاولاتها، يبدو أنّها لم تتمكّن من التخفيف من ألمها وإنقاذها من أفكارها السوداوية، فعندما سألتها: "أتأخذيني معك؟" عنت أنها تريد أن تبقى بالقرب من هذه الفتاة التي عانت الأمرّين وتألّمت كثيرًا.

عانت كازو الصغيرة كثيرًا لأنّها اعتقدت أنّ أمّها ماتت بسبب خطئها، لذلك رأت كينويو أنّها إن لم تتمكّن من الهرب من مشاعرها، وربما رأت أنّ في إمكانها الذهاب إلى المكان الذي كانت كانام فيه،

وبذلك يمكنها أن تشاركها الحزن حتّى تتجاوز هذه المحنة.

لكن ردّ فعل كازو لم يكن أبدًا كما توقّعته، بل انهمرت الدموع من عينيها للمرّة الأولى منذ وفاة كانام، وناحت بصوت مرتفع، ولم تعرف كينويو حينها ما الذي يجيش في قلب كازو، بل كلّ ما كانت تعرفه أنّها كانت تعاني وحدها، وأنّها لم ترغب في أن تموت.

بينما كانتا تقفان إلى جانب السكّة الحديدية عبَر القطار مسرعًا، فاحتضنت كينويو كازو بشدّة لفترة بدت أنّها ستستمرّ إلى الأبد، وداعبت رأسها إلى أن توقّفت عن البكاء.

وبمرور الوقت اختفتا في ظلام الليل.

بعد ذلك اليوم، عاودت كازو سكب القهوة لزبائن المقهى الذين رغبوا في أن يعودوا إلى الماضي.

صوت رنين جرس الباب

من خلال هذا الصوت، أعلنت الساعة التي تتوسّط جدار المقهى أنّها الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

كان كلّ شيء هادئًا في وسط الليل، وبينما كانت مروحة السقف تدور ببطء، وكالعادة كانت كانام تقرأ بهدوء الرواية التي زوّدتها كازو بها.

بدت أشبه بغرض مهمل في الحياة، وقد اندمج مع جوّ المقهى، فلم يظهر على كازو أيّ مشاعر واضحة باستثناء دمعة وحيدة سالت على خدّها.

١٧

زوج وزوجة

عندما يحلّ الربيع بعد رحيل الشتاء البارد يميل الناس إلى الشعور بالسعادة.

وليس هناك لحظة معيّنة تشير إلى بدء الربيع، كما ليس هناك يوم يحدّد بدقّة انتهاء الشتاء، فالربيع يختبئ خلف الشتاء، فنلاحظه عندما يجدّد كلّ عناصر الطبيعة أمام أعيننا، فيؤثّر في أحاسيسنا، وهكذا نجده في البراعم الجديدة وفي النسمات الناعمة والمنعشة، وفي دفء الشمس، فالشتاء والربيع يحلّان متتابعين الواحد يليه الآخر.

سأل ناغار توكيتا كما لو أنّه يتحدّث إلى نفسه: "أما زلت تفكّرين في كانام؟"، كان يجلس على كرسيّ طاولة المحاسبة يطوي المناديل الورقية بمهارة على شكل طيور.

كان ناغار يتحدّث إلى كازو توكيتا، التي كانت خلفه، لكنّها تجاهلت كلامه، وأكملت مسح الطاولة بهدوء، ثم عدّلت مكان القاعدة التي وُضع عليها السكر على الطاولة.

وضع ناغار المناديل الورقية السبعة التي طواها على الطاولة، وقال وهو ينظر إلى عينيها اللوزيتين الصغيرتين والحادّتين وهي لا تزال تعمل: "أعتقد أنّ عليك أن تحتفظي بالطفل، فكانام كانت من دون أدنى شكّ...

رنين جرس الباب

قاطعه صوت جرس الباب الذي انفتح قبل أن ينهي كلامه، لكن لم يقل أيّ من كازو أو ناغار: "مرحبًا، أهلًا بك".

في هذا المقهى، حالما يدخل الزائر من الباب الذي عُلّقت عليه الأجراس يتوجّب عليه أن يجتاز الردهة قبل أن يصل إلى الغرفة، لذلك أخذ ناغار يراقب المدخل بصمت.

بعد لحظة، ظهر كيوشي ماندا وبدا خجلًا من حضوره في هذه الساعة المتأخّرة من الليل.

كيوشي محقّق بلغ سنّ التقاعد في ذلك الربيع، وكان يرتدي معطفًا طويلًا وقبّعة صيد قديمة، وقد بدا أشبه بالمحقّقين في المسلسلات الدرامية التي كانت تعرض على شاشة التلفاز في السبعينات، وعلى الرغم من أنّه كان محقّقًا إلّا أنّ ملامح وجهه لا تبدو مخيفة ولا يظهر عليها القسوة، كان بطول كازو تقريبًا ولكنّه بشوش الوجه، يشبه أيّ رجل اجتماعي آخر، قد تقابله في أيّ مكان، وهو في سنواته الأخيرة.

أشارت عقارب الساعة المعلّقة وسط الجدار إلى الساعة الثامنة إلّا عشر دقائق، والمقهى يغلق أبوابه عند الساعة الثامنة.

فسألهما عند دخوله: "لا بأس بقدومي، أليس كذلك؟".

أجابت كازو كعادتها: "بالطبع، ادخل"، أمّا ناغار فأومأ إليه إيماءة خفيفة.

عادة عندما يأتي كيوشي إلى المقهى يجلس إلى الطاولة القريبة من المدخل ويطلب القهوة، لكنّه اليوم، بدلًا من الجلوس على كرسيّه المعتاد، وقف وكأنّه غير متأكّد ممّا يريد قوله.

قالت له كازو وهي تقدّم إليه كأسًا من الماء من خلف المنضدة، ثمّ أشارت إليه أن يجلس: "أرجوك، تفضّل بالجلوس".

رفع كيوشي حينها قبّعة الصيد البالية ليتشكّرها بكلّ لياقة، وأجاب: "شكرًا لك"، ثم جلس على الكرسيّ، تاركًا كرسيًا فارغًا بينه وبين ناغار.

جمع ناغار المناديل الورقية التي طواها بحذر، وسأله عندما وقف قبل أن يتّجه إلى المطبخ: "هل ترغب في القهوة كالعادة؟".

بعد لحظة صمت، أجابه كيوشي: "في الحقيقة لا، اليوم..."

بينما كان ناغار في طريقه إلى المطبخ نظر كيوشي إلى المرأة ذات الفستان الأبيض، فتبع ناغار نظرات كيوشي إلى تلك المرأة.

قال كيوشي: "حسنًا، في الحقيقة لقد أتيت كي أقدّم هذه..."، ثم أخرج علبةً صغيرةً من جيبه أشبه بعلبة قلم، مغلّفة بورقة مزخرفة، وأكمل قائلًا: "إلى زوجتي.."

سألته كازو بعد أن عرفت ما الذي يحمله: "هل هذا..؟"

فقاطعها وقال بخجل، وهو يحكّ رأسه من خلال قبّعته: "أجل، إنّه العقد الذي ساعدتني على اختياره".

طلب كيوشي في الخريف الماضي نصيحة من كازو فيما يتعلّق باختيار هدية عيد ميلاد مناسبة لزوجته.

اقترحت كازو أن يشتري لها عقدًا، وفي النهاية، كونه لم يكن قادرًا على اختياره بمفرده اصطحب كازو معه كي تساعده على اختيار هذا العقد.

قال كيوشي: "لقد وعدت نفسي أن أقدّمه إليها، لكنّني استُدعيت بشكل طارئ يوم عيد ميلادها، ولم أتمكّن من أن أعطيها إيّاه بعدها..."

تبادل ناغار وكازو نظرات مليئة بالدهشة عندما سمعا كلمات كيوشي، فسأله ناغار: "إذًا، هل تقول إنّك...".

أجابه كيوشي: "أجل".

عضّ ناغار على شفتيه، من دون أن يقول شيئًا، فمرّت ثوانٍ ولم ينبس أيّ منهم ببنت شفة، وبما أنّهم جالسون في المقهى الهادئ صامتين، كان لا بدّ أنّ يخترق صوت هذه اللحظة التي بدت بالنسبة إلى كيوشي أشبه بفترة صمت طويلة جدًّا.

فسارع إلى متابعة كلامه قائلًا: "لا تقلق، لا بأس، فأنا أعرف القواعد جيّدًا".

ولكنّ ناغار ظلّ صامتًا، ونظراته الحادّة تتفحّصه، وقد قطّب جبينه.

علم كيوشي أنّ هنالك شيئًا غريبًا حول ردّ فعله هذه، لذلك سأله باستياء: "ما الأمر؟".

أجابه ناغار بنبرة هادئة: "لا أقصد أن أكون فظًّا، لكنّني لا أستطيع فهم السبب الذي يدفعك إلى السفر إلى الماضي من أجل أن تعطي زوجتك هديّتها فقط".

أومأ كيوشي إليه كما لو أنّه فهم سبب صمت ناغار الغريب، وقال وهو يحكّ رأسه: "إنّني أفهم ما ترمي إليه".

أحنى ناغار رأسه محرجًا، وقال: "أعتذر منك".

مدّ كيوشي يده ليأخذ كأس الماء التي قدّمتها إليه كازو، وارتشف رشفة منها، وقال: "لا لا، لا بأس بذلك... إنّه خطئي، لأنّني لم أوضح سبب طلبي هذا".

عندها سأل ناغار متفاجئًا: "ماذا عليك أن توضحه؟".

أجابه كيوشي: "لقد علمت منذ عام، أنّ المرء يمكنه أن يسافر عبر الزمن إلى الماضي في هذا المقهى".

يعود توضيح كيوشي إلى اليوم الأوّل الذي زار فيه هذا المقهى للمرّة الأولى.



رنين جرس الباب

عندما دخل كيوشي إلى المقهى، رأى رجلًا محمرّ الوجه يبكي، وهو يجلس إلى طاولة بعيدة، وجلست أمامه امرأة عجوز نحيلة، بينما جلس أمام طاولة المحاسبة فتى يبدو في المدرسة الابتدائية، وخلف الطاولة كان هناك رجل يبلغ طوله المترين، ويفترض أنّه أحد العاملين في المقهى.

لم يرحّب الرجل الطويل بكيوشي عندما دخل المقهى، لأنّه كان مشغولًا جدًّا بالنظر إلى الزبونين الجالسين على الطاولة البعيدة، ولم

ينظر إلى كيوشي سوى الفتى الصغير الذي كان يشرب عصير البرتقال بواسطة قشّة.

إنّ عدم ملاحظة وجودك عند الدخول إلى المقهى أمر لا يستحقّ إثارة الضجّة حوله، أنا متأكّد من أنّه سيلاحظ وجودي خلال لحظات...

أومأ كيوشي برأسه إلى الفتى وألقى التحية، ثم جلس إلى الطاولة الأقرب إلى المدخل.

ما إن جلس، أحاط الرجل الذي كان يبكي فجأة سحابة من البخار، وبدا ذلك كما لو أنّه يتلاشى، وكأنّ السقف فوقه يبتلعه.

ماذا يجري؟ وبينما كان كيوشي يشاهد ما يحدث بعينين جاحظتين مصدومًا لهول ما يراه، ظهرت فجأة امرأة ترتدي فستانًا أبيض على الكرسيّ الذي اختفى عنه الرجل، فبدت هذه الأحداث الغريبة وكأنّها مشهدًا يراه في أثناء عرض خيالي لا واقعيّ.

ما الذي حدث للتوّ؟ بينما كان يشاهد بدهشة، سمع المرأة المسنّة تتحدّث إلى المرأة التي ترتدي الفستان الأبيض. وما تمكنّ أن يلتقطه من حديثهما، أنهّا كانت تقول لها: "الآن، أتمنّى لو أنّ هناك شيئًا واحدًا يمكنني القيام به لإسعاد كازو..."

كانت المرأة العجوز كينويو ميتة، أمّا الرجل الذي اختفى فهو يوكيو نجل كينويو.

أدرك كيوشي عند مشاهدة هذا الحادث أنّه يمكن للشخص العودة إلى الماضي حقاًّ في هذا المقهى، وعندما علم لاحقًا من كازو وناغار

بالقواعد المزعجة التي يجب تطبيقها عند السفر عبر الزمن، اندهش من رغبة أيّ شخص في أن يقوم برحلة كهذه.

فإن لم يكن تغيير الحاضر ممكنًا مهما بذل المرء من جهد في الماضي، فلماذا يهتمّ؟ لذلك أصبح مهتمًّا للغاية بمعرفة الناس الذين قرّروا العودة إلى الماضي حتّى بعد معرفتهم هذه القواعد.

قال كيوشي: "... إنّني أعلم بأنّه تصرّف غير لائق من قبلي، لكنّني قرّرت البحث عن الأشخاص الذين عادوا إلى الماضي في هذا المقهى".

ثم أحنى رأسه إلى ناغار الذي لا يزال واقفًا أمام باب المطبخ، ولكازو التي كانت تقف خلف المنضدة أيضًا.

أكمل كيوشي كلامه: "اكتشفت من خلال بحثي عمّن سافروا إلى الماضي"، وأخرج دفترًا صغيرًا أسود اللون قبل أن يتابع حديثه قائلًا: "على مدى الثلاثين عامًا الماضية، جلس واحد وأربعون شخصًا على هذا الكرسيّ، وسافروا عبر الزمن، وكان لكلّ منهم أسبابه الخاصّة لفعل ذلك، إمّا لمقابلة حبيب، أو زوج أو ابنة، وإلى ما هنالك من أسباب، ولكن من بين هؤلاء الواحد والأربعين، عاد أربعة إلى الماضي لمقابلة شخص قد مات فعلًا.

"اثنان منهم عادا في العام الماضي، وواحد قبل سبع سنوات، ثم هناك والدتك التي توفيّت قبل اثنين وعشرين عامًا... إنّهم أربعة أشخاص".

عند الاستماع إلى تفسيرات كيوشي، شحب وجه ناغار وصار لونه أزرق.

سأله قائلًا: "بحقّ السماء، كيف علمت بكلّ هذا؟". على عكس تعبير وجه ناغار المضطرب، حدّقت كازو إلى الفراغ من دون أيّ غاية.

تنفّس كيوشي ببطء، ليهدّئ من توتّره وقال بلطف: "أخبرتني كينويو بكلّ هذا قبل وفاتها"، ثم نظر إلى كازو التي غضّت طرفها عند سماع كلماته.

ثم أكمل موجّهًا حديثه إليها: "إنّ آخر ما أخبرتني به هو أنّها تعتبرك بمثابة ابنتها"، فأغمضت كازو عينيها ببطء.

أكمل كيوشي قائلًا: "شعرت بالفضول، فقد كنت أتساءل عن السبب الذي جعل هؤلاء الأربعة يرغبون في السفر عبر الزمن إلى الماضي، ومقابلة الأشخاص الذين توفّوا بالفعل، على الرغم من معرفتهم بالقاعدة التي تقول إنّه مهما حاولت جاهدًا لا يمكنك تغيير الحاضر".

قلّب كيوشي صفحات دفتر ملاحظاته.

"عادت امرأة للقاء أختها الصغرى التي توفيّت في حادث سير وهي في طريقه إلى المنزل، كان اسمها يايكو هيراي على ما أعتقد، فأنت تعرفها، أليس كذلك؟".

اكتفى ناغار بقول: "أجل".

كانت عائلة هيراي تدير نزلًا قديمًا في سنداي، وباعتبارها الابنة الكبرى، كان يُفترض أن تتولّى إدارة أعمال العائلة، لكنّها لم ترغب في ذلك، بل غادرت منزلها عندما بلغت الثامنة عشرة من عمرها من أجل شقّ طريقها وحدها بعيدًا عن عائلتها، لذلك حرمها والداها من

الميراث، بينما ظلّت أختها على تواصل معها، وقد زارت هيراي سنة تلو الأخرى محاولة إقناع شقيقتها بالعودة إلى المنزل، وبعد ذلك، توفّيت بشكل مأساوي في حادث سير أليم وهي في طريق عودتها إلى المنزل بعد إحدى تلك الزيارات.

سافرت هيراي عبر الزمن إلى الماضي لمقابلة شقيقتها.

قال كيوشي: "بعد أن زارت شقيقتها في الماضي، عادت على الفور إلى النزل وتولّت إدارته، فأردت أن أسمع القصّة من وجهة نظرها، لذلك ذهبت إلى سنداي لمقابلتها".

لقد مرّت سبع سنوات على هذه القصّة، ونجحت هيراي بشكل جيّد في إدارة النزل.

أكمل كلامه: "سألتها لماذا رغبت في مقابلة شقيقتك المتوفّاة على الرغم من معرفتك أنّ الحاضر لن يتغيّر؟"، فضحكت على الرغم من اعتبارها سؤالي فظًّا وفضوليًا، وأجابتني: "لو عشت حياتي حزينة بسبب وفاة شقيقتي، لكان الأمر كما لو أنّ موتها هو الذي تسبّب لي بذلك، لذا اعتقدت أنّني لا يجب أن أسمح بحدوث هذا الأمر، وأقسمت إنّني سأحرص على أن أكون سعيدة، وإنّ سعادتي ستصبح الإرث الذي خلّفه موت شقيقتي".

عند سماع ذلك الحديث، توضّح لي ما كنت أجهله.

لطالما اعتقدت أنّه لا ينبغي لي، بصفتي رجلًا وحيدًا، أن أكون سعيدًا أبدًا لأنّ زوجتي قد ماتت"، بعد أن توّقف عن الكلام، نظر بأسى إلى الهدية التي كان يحملها بين يديه.

سأله ناغار بصوت لطيف: "إذًا، زوجتك لم تعد برفقتك؟".

بدا كيوشي مصمّمًا على عدم السماح لآلامه بأن تفسد الجوّ الهادئ.

وقال محاولًا التخفيف من أثره: "كلا، وقد حدث ذلك قبل ثلاثين عامًا".

عند سماع كازو كلامه سألته: "إذًا عندما ساعدتك على اختيار الهدية، كانت من أجل زوجتك الراحلة؟".

أجابها: "نعم"، ثم نظر إلى الطاولة وسط المقهى.

في ذلك اليوم، رتّبنا موعدًا للقاء هنا، لكنّني لم أستطع الحضور بسبب عمل طارئ، في تلك الفترة، لم يكن لدى أيّ منّا هاتف محمول، لذلك انتظرت حضوري حتّى موعد إغلاق المقهى، وبينما كانت في طريقها إلى المنزل، ذهبت ضحية عملية سرقة حصلت أمامها".

عندما أنهى كيوشي كلامه، عدّل قبّعة الصيد الخاصّة به التي، وثبّتها على رأسه.

قال ناغار وهو يحني رأسه متأثّرًا: "إنّني متأسف للغاية، لم أكن أعلم بذلك، لابدّ أنّني بدوت فظًّا قبل قليل..."، فهو يشعر بالسوء الآن للتشكيك في حاجة كيوشي إلى العودة إلى الماضي من أجل تقديم هدية فقط.

بالطبع، لم يكن يعلم أنّ زوجة كيوشي ميتة كي يتصرّف بطريقة مغايرة، لكن مع ذلك، كان يعاقب نفسه على تصرّفه بتهوّر شديد، وهو يقول لنفسه: *لقد استعجلت في حكمي، في حين كان يجب عليّ أن أستمع إلى التوضيح الكامل.*

قال كيوشي وهو يحني رأسه بأسى: "أوه، كلا، كلا، بل على العكس من ذلك، فقد توجّب عليّ أن أشرح هذا من البداية، أعتذر على سوء الفهم الذي حصل، في الحقيقة لقد عشت وأنا أشعر بالندم ثلاثين عامًا متواصلة، وأنا أقول لنفسي: ليتني وفّيت بوعدي، ولو وفيت به ما كانت زوجتي لتموت، ولكان كلّ شيء مختلفًا، لكن.."

توقّف، ثم حوّل نظره ببطء إلى كازو.

"بغضّ النظر عن مدى ندمي على ذلك، فهذا لن يعيد الموتى".

جحظت عينا ناغار متأثّرًا بكلمات كيوشي، ونظر إلى كازو.

بدا أنّه يريد أن يقول شيئًا ما، لكنّه لم يستطع قوله، فقد كانت كازو تحدّق إلى الفراغ باتّجاه المرأة ذات الفستان الأبيض.

نظر كيوشي إلى الأسفل نحو العلبة التي تحتوي على الهدية برقّة، وقال بهدوء: "لذا أريد أن أقدّم هذا العقد إلى زوجتي في الوقت الذي كانت لا تزال فيه على قيد الحياة".

رنين جرس الباب

دقّت الساعة المعلّقة على الحائط ثماني مرّات، وتردّد صدى صوتها في أرجاء المقهى.

وقف كيوشي، ثم قال وهو يحني رأسه يائسًا: "أرجو أن تسمحا لي بالعودة إلى ذلك اليوم الذي كانت فيه زوجتي حيّة قبل ثلاثين عامًا، في آخر عيد ميلاد لها".

لكن تعابير وجه ناغار لم تتغيّر، فلا يزال وجهه عابسًا، وهو يقول: "حسنًا يا كيوشي، هناك شيء يجب أن تعرفه..."

من الواضح أنّه وجد صعوبة في قول ذلك، كما لو أنّه يكافح ليجد طريقة ليعبّربها عنه، فبدأ يقول: "أوه... حسنًا، إنّ ما في الأمر... في الحقيقة...".

التفت كيوشي نحو ناغار، وثبّت نظره عليه، لكنّ كازو هي التي تحدثت بعد ذلك، وقالت بأسلوبها الجافّ المعتاد: "حسنًا، نظرًا لظروف معيّنة، لم يعد من الممكن العودة إلى الماضي عندما أسكب القهوة".

بينما وجد ناغار على ما يبدو، الأمر مؤلمًا ومحرجًا، تحدّثت كازو بتجرّد وموضوعيّة كما لو كانت تعلن أنّ قائمة الغداء لم تعد متوفّرة.

بدا كيوشي متفاجئًا بعد سماعه هذا الخبر، وتمتم: "أوه.. حسنًا، إذا كان الأمر كذلك، فلا بأس"، ثم أغمض عينيه ببطء، وهو يشعر بالخيبة.

قال ناغار متأسّفًا: "كيوشي..."

فالتفت إلى ناغار الذي كان على وشك أن يقول شيئًا ما، وقال مبتسمًا ابتسامة مصطنعة: "كلا، كلا، لا بأس بذلك، فقد شعرت بأن هناك مشكلة ما عندما دخلت إلى المقهى، إنّه أمر مخيّب للآمال بالطبع، لكنّني متأكد من أنّ ما باليد حيلة، أليس كذلك؟".

بذل قصارى جهده كي لا يُظهر خيبة أمله، تاركًا نظراته تتجوّل في جميع أنحاء الغرفة، متجنّبًا أن تلتقي عيناه بعيني ناغار وكازو، وبالرغم من أنّه تجمّد مكانه وهو يسأل نفسه: لماذا لا يستطيع العودة إلى الماضي، لكنّه لم يرغب في أن يضيّع وقتهما بأسئلته التي لا فائدة منها، لذلك أومأ برأسه إليهما بكلّ لياقة، وقال وهو يفتح محفظة يده كي يضع

هدية عيد الميلاد فيها: "حسنًا، أعتقد أنّكما كنتما على وشك أن تغلقا المقهى".

في تلك اللحظة...

سَمع صوت إغلاق كتاب، فتردّد صوت إطباق المرأة روايتها في جميع أرجاء الغرفة.

قال كيوشي بشكل لا إرادي: "أوه".

نهضت المرأة ذات الفستان ببطء، واتّجهت صوب الحمام من دون أن تصدر أيّ صوت، كان الكرسي شاغرًا، ذلك الكرسيّ الذي يمكن للشخص الذي يجلس عليه السفر عبر الزمن وفقًا للوجهة التي يريدها، فلم يتمكّن كيوشي من أن يمنع نفسه من النظر إليه، بل كان منشغلًا بتأمّل هذا الكرسيّ الفارغ بشكل تامّ، ولكنّه تذكّر بعد ذلك أنّ لا *أحد يمكنه أن يسكب القهوة.*

اعتقد حينها أنّ حصول ذلك يعود إلى حظّه العاثر، ولكن ليس هنالك فائدة من الخوض في أمور لا يستطيع المرء أن يتحكّم بها.

قال كيوشي: "حسنًا، أعتقد أنّني سأغادر".

انحنى كيوشي لكازو وناغار واستدار كي يغادر المقهى.

ناداه ناغار وقال: "انتظر يا كيوشي، عليك بتقديم هذه الهدية إلى زوجتك".

بدا كيوشي مشتتًا وهو يفكّر في كلام ناغار، ثم قال: "لكن إن لم يكن في مقدور كازو أن تسكب القهوة، كيف يمكنني أن أسافر عبر الزمن؟".

أجابه ناغار: "إنّ ذلك ممكن...".

قال كيوشي متفاجئًا: "أستميحك عذرًا، ما الذي تقصده؟"، خلال السنة الماضية أصبح كيوشي ضليعًا بقواعد السفر عبر الزمن إلى الماضي، وأحد الأشياء التي يعلمها، أنّه لا يمكن السفر عبر الزمن إلّا إذا سكبت القهوة أنثى من عائلة توكيتا.

قال له ناغار قبل إن يذهب إلى الغرفة الخلفية: "انتظر لحظة فقط".

عندما نظر كيوشي إلى كازو مستغربًا، قالت له: "إنّني لست الأنثى الوحيدة في عائلة توكيتا..."

قال لنفسه: هل هناك أنثى أخرى لم يقابلها؟ حاول كيوشي أن يستنتج من تكون هذه الأنثى، وحين سمع ناغار يقول في الغرفة الخلفية: "هيا تعالي، أسرعي"، سمع صوتًا آخر انبعث منها.

قالت: "أخيرًا لقد حان دوري"، إنّه صوت فتاة صغيرة تتكلّم بلهجة مرحة.

ميّز حينها هذا الصوت وقال: "أوه..."

قالت ميكي وهي تدخل المقهى بصوت عال غير متوقّع: "شكرًا لك لانتظاري يا سيّدي"، كان كيوشي يعتقد أنّ الإناث البالغات هنّ من يستطعن سكب القهوة.

قالت ميكي وهي تمزج كلامها بألفاظ فرنسية: "هل أنت من يريد السفر عبر الزمن إلى الماضي يا مسيو؟".

خاطبها ناغار مستنكرًا تحدّثها بأسلوب ساخر: "تكلّمي اليابانية بشكل لائق يا ميكي".

لكن ميكي اعترضت، وقد رفضت طلبه عبر التلويح بإصبعها قائلة: "أعتقد أنّ ذلك غير ممكن، فأنا لست يابانية".

قطّب ناغار حاجبيه بشدّة، وقال لها كما لو أنّه كان يتوقّع مثل هذه الإجابة: "يا للأسف، خسارة كبيرة، من القواعد أن يكون الشخص الذي يسكب القهوة يابانيًا".

قالت وهي تدور حول نفسها بخجل: "كنت أمزح، أنا يابانية".

قال لها ناغار بعد أن تنهّد بعمق، وزال سخطه: "أجل، أجل، نحن جميعًا نعلم ذلك، لذلك أسرعي واستعدّي"، ثم أشار إليها بيده كي تذهب إلى المطبخ.

أجابت ميكي بحماسة: "حسنًا"، ثم اتّجهت نحو المطبخ.

بينما كان يجري هذا الحديث بدت كازو مشاهدة من بعيد، تقف بهدوء كما لو أنّها ليست برفقتهم في الغرفة.

قال لها ناغار: "ساعديها من فضلك، يا كازو".

ردّت كازو: "أجل بالطبع"، ثم استأذنت من كيوشي بانحناءة خفيفة، واختفت بصمت في المطبخ.

بعدما توارت عن الأنظار، نظر ناغار إلى كيوشي وقال: "أمم، أعتذر.."

قال ذلك وكأنّه يعتذر عن سلوك ميكي المستهتر، بينما كان كيوشي يتوق إلى السفر عبر الزمن لمقابلة زوجته الراحلة.

في الحقيقة لم يكن كيوشي منزعجًا من هذا على الإطلاق، بل وجد الحديث الذي دار بين ميكي وناغار مسلّيًا، بل مثيرًا للإعجاب،

بالإضافة إلى ذلك كان سعيدًا جدًّا لمعرفته أنّ في إمكانه السفر عبر الزمن إلى الماضي، فتسارعت ضربات قلبه شوقًا لمقابلة زوجته.

نظر كيوشي إلى الكرسيّ الفارغة وقال: "لم يخطر في بالي أبدًا أنّ ميكي قد تسكب لي القهوة".

فأجابه ناغار وهو ينظر إلى المطبخ: "لقد أتمّت السابعة من عمرها الأسبوع الماضي".

قال كيوشي: "حسنًا، هذا منطقيّ الآن.." فقد تذكّر أنّ من تسكب القهوة لا يكفي أن تكون من نساء توكيتا، بل يجب أن تكون قد أتمّت السابعة من عمرها أيضًا، وقد سبق لكازو أن أخبرته بذلك، ولم يعتقد حينها أنّ هذه المعلومة مهمّة، لذا نسيها منذ ذلك الوقت.

نظر كيوشي مجدّدًا إلى الكرسي الذي سيسافر عبره إلى الماضي، وبدأ يمشي باتّجاهه كما لو أنّه يجذبه إليه، وكلّ ما يفكّر فيه: *إنّني عائد إلى الماضي.*

إنّ التفكير في الأمر وحده أشعل الشوق في قلبه، فنظر إلى ناغار الذي حثّه قائلًا: "اذهب إلى هناك واجلس..."

تنفّس كيوشي بعمق، وأكمل طريقه إلى أن وصل إلى الطاولة، وبدأت نبضات قلبه تتسارع أكثر فأكثر.

جلس على الكرسيّ، وأخرج الهدية التي كان قد وضعها في حقيبة يده.

ناداه ناغار وهو يتّجه نحوه، وينظر باتّجاه المطبخ: "كيوشي".

فسأله كيوشي وهو يلتفت نحوه: "أجل، ما الأمر؟".

انحنى ناغار نحوه، وأخذ يهمس إليه بعدما وضع يده قرب أُذنه، كما لو أنّه يخبره بمعلومات سرّية: "بالنسبة إلى ميكي، ستكون هذه المرّة الأولى التي تسكب فيها القهوة، لذلك يجب أن تتوقّع أنها ستبالغ في الأمر، ومن المرجّح أن تحاضرك في كلّ القواعد، وأنا أعتذر عن ذلك، وأعتقد أنّه في إمكانك أن تسايرها قليلًا، أليس كذلك؟".

فهم كيوشي ما يقصده ناغار تمامًا، فقد كان يطلب منه ذلك كونه والدها الذي يهتمّ بها، لذلك أجابه مبتسمًا: "أجل بالطبع".

بعد لحظات، عادت ميكي من المطبخ، وتوجّهت نحوهما مباشرة بخطوات قصيرة وثابتة، ولم تكن ترتدي مئزر الساقي، ووشاح العنق اللذين اعتادت كازو وضعهما عندما تسكب القهوة، بل ارتدت بدلًا من ذلك فستانها الزهري المزخرف بأزهار الكرز، ومئزرًا بلون النبيذ الأحمر فوقه، ويعود هذا المئزر إلى والدتها، ولكنّه ناسب ميكي بشكل ممتاز، وذلك بفضل مهارة ناغار في الخياطة.

حملت ميكي الصينية التي تحوي الركوة الفضّية، وفنجان القهوة الأبيض، ومشت غير متوازنة، فاهتزّ الفنجان على الصحن بسبب مشيتها الخرقاء.

وقفت كازو عند مدخل المطبخ تراقبها.

عندما وصلت ميكي إلى جانب كيوشي تكلّم ناغار وقال: "من الآن فصاعدًا، ستحلّين مكان كازو يا ميكي في تقديم القهوة إلى الزبائن الذين يجلسون على هذا الكرسيّ، فهل أنت على استعداد لتؤدّي هذه المهمّة؟"، وقد تكلم بوقار وحزم.

"أخيرًا حلّ هذا اليوم"، هذا ما كانت تفكّر فيه ميكي.

إنّ ابنته الصغيرة البريئة على وشك أن تتولّى دورًا مهمًّا الآن، وبناءً على تعابير وجهه الجادّة، أحسّ ناغار كما لو أنّه والد يتخلّى عن فتاته في حفل زفافها، أمّا ميكي فلم تلحظ ما كان يفكّر فيه، بل صبّت كلّ تركيزها على ألّا تدع الركوة والفنجان يقعان عن الصينية.

ردّت عليه بصبر نافد: "عفوًا، ماذا قلت؟"، فهي لم تفهم مشاعر ناغار، ولا أهمّية المهمّة التي أوكلت إليها.

خلال مراقبته لها وهي تحاول أن تبذل قصارى جهدها لإنجاز مهمّة سكب القهوة بنجاح، أدرك ناغار أنّها لا تزال طفلة صغيرة، ما جعله سعيدًا، فقال وهو يتنهّد بارتياح: "لا بأس، لا شيء مهمّ، أكملي ما تفعلينه، فأنت تبلين بلاءً حسنًا"، وقد دلّت نظرات عينيه المتلألئة على فخره بفتاته الصغيرة.

من ناحية أخرى، لم يكن لدى ميكي الوقت لتنتبه إلى تعليقاته.

التفتت إلى كيوشي وسألته: "هل تعرف القواعد؟"، وبدوره نظر إلى ناغار بحيرة، وهو لا يعلم بما عليه أن يجيبها، فردّ ناغار بإيماءة قصيرة وابتسامة خفيفة، كما لو أنّه يطلب منه أن يسايرها.

لذلك التفت إلى ميكي وقال لها بلطف: "هل تمانعين أن توضحيها لي؟ ولكن دعيني آخذ الفنجان والصينية منك إن كنت لا تمانعين".

أومأت ميكي إليه، وأعطته الصينية، ثم بدأت توضح له القواعد، وهي تحمل الركوة الفضّية.



بما أنّ كيوشي كان ملمًّا بالقواعد، لم يستمرّ شرح ميكي أكثر من دقيقتين أو ثلاث.

ولكنّها نسيت أن توضح له أنّه لا يمكنه أن ينهض عن الكرسيّ، كما كان هنالك بعض القواعد التي لم توضحها بشكل مفصّل، ولكنّ ناغار لم يعلّق على ذلك بعد أن فكّر في أنّ *كيوشي يعرف جميع القواعد، لذلك سيكون كلّ شيء على ما يرام.*

كانت ميكي مسرورة بالطريقة التي شرحت بها القواعد، وقد بدا ذلك جليًا عندما التفتت إلى ناغار، ووقفت بشكل مستقيم وهي تبتسم متفاخرة أمامه بنصرها الأوّل.

لذلك وعلى الفور قال لها ناغار: "رائع، لكن لا تُبقي السيّد كيوشي ينتظر أكثر".

وافقته ميكي والفرحة بادية على وجهها، ثم التفتت إلى كيوشي وقالت: "هل نكمل؟".

في السابق عندما كانت كازو تسكب القهوة، كان الجوّ العام في المقهى يبدو أكثر سكونًا وجدّية، لدرجة أنّ مَن يجلس على الكرسيّ يشعر بأنّ الجوّ من حوله باردًا وصامتًا، ولكنّ الأمر مختلف مع ميكي، فإنّ تعابير وجهها الودودة محبّبة إلى الناس، كما لو أنّها أمّ تعتني بأطفالها بكلّ محبّة، وقد نشرت ابتسامتها المشرقة الدفء في المكان، فدبّت فيه الحياة والحيوية، أمّا روحها فبدت نقيّة وصافية، وتظهر براءة فتاة بعمر السبع سنوات. وإن كان في إمكان الناس رؤية هالات بعضهم،

لبدت هالة كازو، من دون أدنى شكّ زرقاء باهتة، بينما ستبدو هالة ميكي أكثر حيوية وبألوان زاهية، وهكذا أصبح الجوّ في المقهى مليئًا بالدفء والمرح، وشعر كيوشي بأنّ الحرارة قد ارتفعت قليلًا في المقهى عندما ابتسمت له ميكي.

فكّر كيوشي وهو يخاطب نفسه: إنّ ابتسامتها مشرقة مثل خيوط أشعّة شمس الربيع.

أومأ إليها وقال: "أجل، هيا بنا".

أجابته ميكي: "حسنًا." ثم صاحت: "تذكّر، قبل أن تبرد القهوة."

تردّد صدى صوتها في أرجاء الغرفة.

كان صوتها عاليًا جدًّا، هذا كلّ ما فكر فيه ناغار، وهو يبتسم لها ابتسامة خفيفة.

رفعت ميكي ركوة القهوة فوق رأسه، وبدأت تسكبها، فشكّلت خيطًا رفيعًا وهي تتدفّق في داخل الفنجان الأبيض.

لا بدّ أنّها كانت مهمّة كبيرة بالنسبة إلى فتاة أكملت للتوّ سنواتها السبع، فكانت وهي تحمل الركوة الممتلئة بالقهوة وتصّبها بنفسها في الفنجان، تبذل قصارى جهدها كي تسكبها بيد واحدة ومن دون أن تهتزّ، لكنّها لم تتمكّن من أن تظلّ يدها ثابتة فارتجفت ومالت مقدّمة الركوة من طرف إلى آخر، وانسكب بعضها خارج الفنجان، مخلّفًا بركة بنية في الصحن.

أخذت ميكي الأمر على محمل الجدّ، لكنّها ليست رزينة وجدّية كما كانت كازو عندما تسكب القهوة، فبدت محاولاتها الحثيثة، وهي

تبذل كلّ جهدها كي تنجح مثيرة للإعجاب والتقدير.

بينما كان كيوشي يصبّ كامل اهتمامه على أداء ميكي، امتلأ الفنجان بالقهوة، وبدأ يتصاعد عامود من البخار منه.

شعر كيوشي في تلك اللحظة بأنّ كلّ من حوله يتراقصون، وبعد ذلك رأى كلّ منهم يومض في مكانه ثمّ يختفي، ولأنّه قد تجاوز الستّين من عمره شعر بقلق من أن يكون هذا الدوار المفاجئ دليلًا على أنّه ليس بصحّة جيّدة.

خاطب نفسه قائلًا: *أيعقل أن يحدث أمر كهذا الآن، في هذه اللحظة الحرجة من بين كلّ اللحظات التي كان من الممكن أن يحدث ذلك خلالها.*

لكنّ مخاوفه سرعان ما تبدّدت عندما أدرك أنّ جسده بدأ يتحوّل إلى بخار.

بدا مذهول من ذلك، لكنّه في الوقت نفسه شعر بالارتياح لأنّ الدوار الذي شعر بها لا علاقة له بصحّته، وبدا وكأنّ جسده يندفع إلى الأعلى، بينما بدأ مَن حوله يعبرون من خلاله وكأنّهم أطياف.

صاح "أوه!"، وليس من الدهشة، بل لأنّه أدرك فجأة أنّه لم يقرر بعد ما سيقوله لزوجته، التي لم يلتقِ بها منذ ثلاثين عامًا، وهو يقدّم إليها الهدية.

أنا متأكد من أنّ كيميكو لم تكن تعلم أنّه في إمكانك العودة إلى الماضي في هذا المقهى...

وبينما كاد يفقد وعيه، فكّر في كيفية منحها هذا العقد.



كانت زوجة كيوشي، كيميكو، امرأة تتمتّع بحسّ قوي بالمسؤولية، وتتجنّب ارتكاب الخطأ، وقد تعرّفت إلى كيوشي في المرحلة الثانوية، وتشاركا طموحهما في الانضمام إلى الشرطة.

وعلى الرغم من اجتيازهما امتحان القبول، إلّا أنّ عدد المجنّدات المقبولات كان متدنّيًا في ذلك الوقت، لذلك لم تصبح كيميكو شرطية، بينما عُيّن كيوشي في مركز الشرطة، وبسبب شغفه ومثابرته على أداء الوظيفة، لم يمرّ الكثير من الوقت قبل أن يلاحظه المسؤولون، ولذلك حصل على منصب في قسم التحقيقات الجنائية الأوّليّ عندما بلغ الثلاثين من عمره فقط.

عندما حدث ذلك، كان قد مضى عامان على زواجهما.

كانت كيميكو سعيدة جدًّا لأنّ كيوشي سيبدأ عمله بصفته محقّقًا، ومع ذلك، كان يشكّ في أن يكون هذا المنصب مقدّرًا له.

كان ودودًا ولطيفًا في تعامله مع الجميع، ودافعه إلى الانضمام إلى الشرطة هو خدمة الناس، كما أراد إرضاء كيميكو، والتي لطالما حلمت بأن تصبح شرطية، ولكن بمجرّد أن أصبح شرطيًا، وجد صعوبة في التأقلم مع الأجواء، فإنّ دائرة المباحث الجنائية الأوّلية تتعامل مع قضايا جرائم القتل، وكان يواجه باستمرار الجانب المظلم للإنسانية، حيث يزهق الناس حياة الآخرين بدافع الرغبات الأنانية أو لحماية أنفسهم، ولم يشعر أبدًا بأنّه يملك القوّة العقلية الكافية لتحمّل هذه الحقيقة، وذلك يعود إلى رسوخ معتقداته وأحاسيسه التي دفعته دومًا إلى أن يحقّق هدفًا آخر.

كان يدعو نفسه معظم الوقت إلى ترك عمله في التحقيق، لأنّه بحسب رأيه إذا استمرّ على هذا المنوال فسوف يخسر هذه المعتقدات والروابط الإنسانية، وخوفًا من أن يكون قد أوشك على الانهيار، قرّر أن يعترف إلى كيميكو بقراره، وبعد أن وجد صعوبة في طرح الموضوع في المنزل، دعاها إلى المقهى بحجّة الاحتفال بعيد ميلادها، فكان يخطّط لإخبارها بذلك، ولكن طرأ عمل ضروري في الموعد المحدّد، ولم يستطع لقاءها حينها، فقرّر تأجيل الموعد، قائلًا: *سوف أخبرها بذلك في يوم آخر.*

اختار كيوشي العمل الذي زعم أنّه يكرهه على الذهاب إلى المقهى لمقابلة كيميكو، وفي ذلك اليوم تعرّضت كيميكو لحادثة أودت بحياتها.

إنّ أدقّ توصيف لهذه الحادثة هو أنّها حادثة مأساوية.

عندما لم يظهر كيوشي في الموعد المحدّد، انتظرته كيميكو حتّى إغلاق المقهى، وبعد أن غادرته سلكت دربًا ضيّقا، فكان الظلام مخيّمًا على المكان، لكنّه كان الدرب الأقصر للوصول إلى المحطّة، وفجأة ظهر في ذلك الشارع لصًّا يسرق حقيبة امرأة عجوز، وقد حصلت هذه السرقة أمام عينيها، وبدافع حسّها القوي بالمسؤوليّة، ولأنّها تنبذ العنف وارتكاب الجرائم، وتحارب الشرّ وتميل إلى فعل الخير وإعادة الحقّ إلى أصحابه، استحال عليها التغاضي عن تلك الحادثة، لذلك قرّرت التعامل بهدوء مع هذا اللصّ، وللقيام بذلك كان عليها أن تقترب منه بحذر، لأنّها إن دفعته إلى الشعور بالذعر فقد يؤذي تلك المرأة العجوز،

فكان يبدو خطرًا وهو يحمل سكّينًا، ورغم ذلك شعرت بالثقة بأنّها تستطيع دفعه إلى التراجع بمجرّد لفت انتباهه إلى وجودها خلفه، لكن في تلك اللحظة تمامًا، صرخ أحدهم من الجانب الآخر قائلًا: "يا هذا، ما الذي تفعله؟" وعندما سمع اللصّ ذلك الصوت، دفع المرأة العجوز بقوّة، وركض بأسرع ما يمكنه في اتّجاه كيميكو، وفي أثناء محاولته الهرب من أمامها، أصيب بالذعر وتعثّر، وانتهى به الأمر إلى الاصطدام بها وهو يحمل السكّين الذي كان عبارة عن مشرط ورق من نوع حادّ، وكان يمكن تجنّب شفرته، ومن دون أن يلحق ضررًا كبيرًا لو غُرز في معطفها فقط، ولكن لو لم يسقطا كلاهما على الأرض، لما أصاب السكّين عنق كيميكو العاري وقطع الشريان السباتي، فتوفيت حينها بسبب نزيف حادٍّ.

ليتني وفيت بوعدي، وذهبت إلى المقهى في الموعد المحدّد حينها لكنت حميتها.

كان تأثير هذا الحادث عميقًا على كيوشي، وبات مجرّد مروره من جانب المقهى، يفطر قلبه، فقد كانت صدمته كبيرة، وتركت أثرًا عميقًا في قلبه المجروح.

إنّ الصدمات النفسية غالبًا ما تبقى مدفونة في الأعماق ولا تظهر علنًا، كما أنّ هذه الجروح لا تلتئم بسهولة، خاصّة بالنسبة إلى شخص مثل كيوشي، فهو لم يتوقّف عن لوم نفسه واعتبار وفاة زوجته خطأه. وفي النهاية لا شيء سيعيدها، ولكنّه اعتقد أنّه بنكث وعده لكيميكو قد تسبّب في موتها، حتّى ولو كان العقل والمنطق يشيران إلى عكس ذلك،

فإنّ قلبه لن يسامح نفسه على خطئه أبدًا، واستسلم لفكرة واحدة وهي: *إنّ تسبّبي في وفاة كوميكو، يحرمني من الحقّ بأن أحيا سعيدًا.* ولكن بعد إجراء مقابلات مع الأشخاص الذين عادوا إلى الماضي في المقهى، قرّر أنّ وقت التغيير قد حان.



قال له صوت خشن: "يا إلهي! إنّه حقيقي، لقد ظهر رجل للتوّ من العدم"، كان هذا أوّل ما سمعه كيوشي بعد وصوله، لقد فقد وعيه في أثناء سفره عبر الزمن، وكان خلف منضدة المحاسبة رجل يرتدي مئزرًا لم يكن يناسبه، وقد بدا شبيهًا بعالم يجري تجربة ما، فنظر كيوشي بتمعّن إلى الرجل الذي كان يتفحّصه، للتأكد من أنّه حقيقي، ثم نادى قائلًا: "كانام"، وقد مشى متثاقلًا إلى الغرفة الخلفية.

لا يبدو أنّه يناسب المقهى، حتّى بالنسبة إلى الموظّفين غير المعتادين، ولا بدّ أنّه موظّف جديد، وبينما كانت تتزاحم الأفكار في رأس كيوشي آخذة هذا المنحى، جال بنظره في أرجاء المقهى، على الرغم من أنّه زاره قبل ثلاثين عامًا، إلّا أنّه لم يكن مختلفًا عمّا هو عليه في الوقت الحاضر، فكلّ شيء كما هو، حتّى أدقّ التفاصيل لم تتغيّر.

ومع ذلك، فقد شعر بالثقة والراحة لأنّه قد عاد بالفعل، ولكنّ الرجل قد استدعى كانام، وهو قد سمع من كينويو أنّ كانام هو اسم والدة كازو.

بدا أنّه ما من زبائن آخرين في المقهى.

كان على وشك أن يغرق في أفكاره عندما ظهرت امرأة من الغرفة الخلفية، ترتدي مئزرًا بنّيًا يميل إلى الأحمر فوق فستان أبيض ذي ياقة مزركشة بالزهور، وكان لديها انتفاخ واضح في بطنها.

لا بد أنّها ....

إنّ كانام حامل بكازو.

ابتسمت له كانام ابتسامة رقيقة.

قالت لكيوشي بإيماءة خفيفة سريعة: "مرحبًا، أهلًا وسهلًا بك"، بدت وكأنّها سعيدة وترسم على وجهها تعابير تخلو من الهموم، وكأنّها شخص مختلف تمامًا عن الشبح المسمّى كانام الذي يجلس على ذلك الكرسيّ.

إنّها من الأشخاص الذين في إمكانهم كسر الجليد الذي يحيط بمن حولهم بسهولة، والتعامل مع أيّ شخص بمهارة.

كان هذا انطباع كيوشي عن كانام.

في وسعه أن يرى رجلًا خلفها، مختبئًا في ظلّها، والذي كان ينظر إليه كما لو أنّه رأى أشباحًا، فنظر إليه كيوشي حينها كما لو أنّه يعتذر منه.

سأل كانام: "أوه، هل أفزعت شخصًا ما بظهوري المفاجئ؟".

أجابته كانام: "اعذرنا رجاءً، إنها المرّة الأولى التي يرى فيها زوجي شخصًا ما يظهر على هذا الكرسيّ".

على الرغم من أنّها كانت تقول ذلك بلهجة اعتذار، إلّا أنّها لم تُخفِ استمتاعها بالنظر إلى وجه الرجل المحمرّ، فشعر بالحرج من ردّة فعل الرجل وتصرّفه المبالغ به.

قال بصوت منخفض: "أعتذر.."

أجابه كيوشي: "أوه، لا داعي للاعتذار".

بدا أنّهما سعيدان.

سألته كانام: "هل أتيت للقاء شخص ما؟".

أجابها: "نعم، لقد أتيت من أجل ذلك".

نظرت كانام في أرجاء المقهى الفارغ وأبدت تعاطفها معه.

قال كيوشي: "هذا صحيح، إنّني على علم بموعد وصولها..."

بينما كان يتحدّث إليها نظر إلى الساعة التي تتوسّط الساعات الثلاث المعلّقة على الجدار، ليطمئنها على أنّه يعرف ما الوقت الآن، ومتى موعد حضور الشخص الذي كان ينتظره.

"أوه، لقد فهمت، هذا أمر جيّد، إذًا..."

ابتسمت وبدت مرتاحة البال بينما ظلّ الرجل الذي يقف في الخلف يعتبر ظهور كيوشي أمرًا غامضًا، لذلك سأله مستفسرًا: "ألم يسبق لزوجك أن شاهدك وأنتِ تسكبين القهوة؟"، كان لا يزال هناك القليل من الوقت قبل أن تأتي كيميكو، فلم يستطع مقاومة طرح بعض الأسئلة على كانام، والدة كازو.

أجابت: "زوجي يساعدني عندما يكون في إجازة من العمل فقط، بالإضافة إلى ذلك لم يعد من الممكن العودة إلى الماضي عندما أسكب القهوة".

"هذا هو التعبير ذاته الذي استخدمته كازو، كي تعتذر منّي"، هذا ما فكّر فيه.

اندفع كيوشي إلى سؤالها: "ألا يمكن العودة إلى الماضي عندما تسكبين القهوة؟ ما السبب؟"، بدا وكأنّ غريزة المحقّق التي في داخله بدأت بالعمل، وحاول أن يكتم ابتسامته لعدم قدرته على الامتناع عن السؤال كلّما بدت الإجابة غامضة.

وضعت كانام يدها على بطنها وقالت: "بسبب طفلي..." وابتسمت بسعادة.

قال كيوشي: "حقًّا؟ لماذا؟".

أجابته: "عندما تحمل المرأة التي تسكب القهوة بطفلة، فإنّ قوّة السكب تنتقل إلى طفلتها".

اتّسعت عينا كيوشي على نحو مفاجئ وسأل:

"هل ستتمكّن طفلتك من سكب القهوة لإعادة الناس إلى الماضي عندما تبلغ السابعة من العمر؟".

ردّت كانام بفخر: "نعم، هذا صحيح! أنت على إطلاع تامّ على هذه الأمور، أليس كذلك؟".

حينها لم يعد كيوشي يستمع إلى ما تقوله، وكلّ ما يفكّر فيه: *إنّ كازو حامل، غير أنّها لم تظهر سعادتها بحملها.*

لو كانت كازو سعيدة بحملها، لكان رأى ابتسامتها على الأقلّ، مثل تلك التي كانت على وجه كانام التي تقف أمامه...

قال كيوشي لنفسه: *ربما هذا لأنّ...*

وخطرت في باله فكرة أحزنته.

في تلك اللحظة...

ودقّت الساعة المعلّقة على الحائط في الوقت نفسه.

دونغ، دونغ، دونغ، دونغ، دونغ...

حان موعد وصول كيميكو.

انغمس في التفكير في كازو وكيميكو، فلم يستطع كيوشي أن ينتبه إلى ذلك ليتوقّف عن التفكير.

قالت كانام: "يبدو أنّ الشخص الذي تنتظره قد وصل"، وعند سماع لهجة كانام الهادئة، تنفّس بعمق، وقرّر أن يفعل ما جاء للقيام به.

في إمكاني القيام بهذا.

عندما رأت كانام كيوشي يتمتم، أشارت إلى زوجها، وغمزته كي يذهبا إلى الغرفة الخلفية، فلم تكن ترغب في المخاطرة بأن تصبح مصدر إلهاء لمن جاء كيوشي لمقابلته.

لم يدخل أحد المقهى حتّى الآن، ولكن من الواضح أنّ هناك شخصًا أمام الباب.

كل ما فكّر فيه كيوشي: *هل ستتعرّف كيميكو إليّ؟*

وبدأت دقّات قلبه تتسارع.

لم تكن كيميكو تعلم أنّه في هذا المقهى يمكنك العودة إلى الماضي، لذلك لم تكن هناك فرصة لتخيّل إمكان مجيء كيوشي البالغ من العمر ستّين عامًا لرؤيتها، لذا فهي لن تتعرّف إليه بكلّ تأكيد.

ولضمان حصول ذلك عدّل قبعة الصيد البالية الخاصّة به بحيث تخفي أكثر ملامح وجهه بينما كان ينتظرها.

صدح صوت كانام عندما قالت: "مرحبًا، أهلا وسهلا بك".

بعد لحظة، دخلت كيميكو.

نظر كيوشي إلى الأعلى وهو يسترق النظر إليها.

فكانت تجول بعينيها في أرجاء المقهى، وبعد أن خلعت معطفها الربيعي الرقيق ببطء، جلست وسط الطاولات الثلاث، فسقطت عدّة زهرات من أزهار الكرز عن كتفيها وتناثرت على الأرض، وعندما نظر كيوشي باتّجاهها، كان في إمكانه أن يرى وجهها بوضوح.

قدّمت كانام كأسًا من الماء إلى كيميكو التي قالت لها: "هل يمكنني الحصول على القهوة رجاءً؟".

سألتها كانام: "قهوة ساخنة؟".

تجيبها كيميكو بلطف: "نعم من فضلك".

صاحت كانام: "فنجان من القهوة الساخنة فورًا".

عندما سجّلت كانام طلبها، نظرت إلى كيوشي، وابتسمت له ثمّ التفت إلى كيميكو.

قالت كانام: "نحن نطحن الحبوب الطازجة عندما نصنع القهوة، إذا لم تمانعي الانتظار؟".

قالت لها ذلك بلهجة ساحرة تثير الفضول.

أجابت كيميكو بابتسامة: "أجل، لا بأس بذلك، إنّني انتظر أحدهم".

قالت كانام: "حسنًا إذًا، استرخي من فضلك بينما تنتظرين".

نظرت كانام إلى كيوشي وهي تقول لها ذلك، ثم عادت إلى المطبخ، مستمتعة بما يجري على ما يبدو، وقد تركت كيوشي وكيميكو

وحدهما في الغرفة، وقد كانا يجلسان متواجهين ما يعني أنّ في إمكانهما النظر إلى بعضهما وأنّ كيميكو ستلاحظه حتمًا، فحمل كيوشي الكأس التي أمامه وتظاهر بالشرب وهو يتفحّص وجه كيميكو.

قبل ثلاثين عامًا كانت ذروة الازدهار المالي لليابان، وقد انتشرت مجموعة واسعة من الألبسة المتنوّعة في المتاجر.

في ذلك الوقت، كان في وسع الجميع رؤية النساء يتجوّلن في أنحاء المدينة مرتديات ملابس ملوّنة وأنيقة، لكن كيميكو لم تكن مهتمّة بالموضة، فقد ارتدت في ذلك اليوم، تحت معطفها الخفيف، زيّا عاديًا، وهو كنزة بنية فوق بنطال رمادي، ومع ذلك، فإنّ جلوسها المستقيم، وشعرها الذي يصل إلى كتفيها، المربوط إلى الخلف، أكسبها مظهرًا أنيقًا وجميلًا.

نظر مرّة أخرى من أسفل قبعة الصيد الخاصّة به، لكنّ عينيه تقابلتا مع عيني كيميو على الفور هذه المرّة. فابتسمت له، وقالت: "مرحبا".

لم تكن كيميكو خجولة، فهي في العادة أوّل من يقدّم التحية ولا سيما إن كان الشخص الآخر متقدّمًا في العمر.

أومأ كيوشي إليها، يبدو أنّها لم تعرف أنّ من يجلس أمامها هو كيوشي الذي أصبح رجلًا عجوزًا.

قال كيوشي في نفسه: *يبدو أنّ الأمور ستسير بسلاسة...*

قرّر كيوشي المضيّ قدمًا بخطّته.

سألها: "هل أنت كيميكو ماندا؟".

ردّت: "ماذا؟ أستميحك عذرًا".

ذهلت كيميكو عندما سمعت رجلًا لا تعرفه يذكر اسمها.

أجابته: "نعم، هذا صحيح... ومن أنت؟".

كما يُتوقّع من شخص كان من المقرّر أن يصبح شرطيًا، ردّت بكلّ هدوء لمواجهة هذا الموقف غير المتوقّع.

"حسنًا، في الواقع، أعطاني رجل يُدعى كيوشي ماندا هذه العلبة لأسلّمك إيّاها".

قالت كيميكو: "هل هذه من زوجي؟".

أجابها: "أجل".

بعدها بدا كيوشي وكأنّه على وشك أن ينهض عن الكرسيّ ليسلّمها الهدية.

صرخ أحدهم بصوت عالٍ قلقًا على كيوشي: "أووه، عفوًا، سيّدي قف مكانك، أنت تعلم أنّه لا يجب عليك أن تفعل ذلك".

كانت كانام تقترب منه وهي تحضن بطنها بيدها.

نظر إليها كلّ من كيوشي وكيميكو مندهشين من نبرة صوتها العالية والمفاجئة.

قالت له كانام وهي تغمزه: "ألم تقل لتوّك يا سيّدي إنّ لديك قرصًا منزلقًا، وأنك تمشي بشقّ الأنفس؟".

قال كيوشي: "أووه".

فقد نسي كيوشي تمامًا القاعدة التي تقول إنّه ليس في إمكانك النهوض عن الكرسيّ وأنت في الماضي، فلو رفع مؤخّرته عن الكرسيّ قليلًا فقط، لكان سيعود إلى المستقبل فورًا.

أكمل كلامه قائلًا: "آه، نعم، أوه، إنّ هذا مؤلم..."

ووضع يده بسرعة على أسفل ظهره وتظاهر بالألم.

ربما لم يخدع تمثيله بالألم الجميع، إلّا أنهّ لم يبدُ أنّ كيميكو قد شكّت في الأمر.

قالت كيميكو: "ماذا؟ هل لديك انزلاق في إحدى فقرات ظهرك؟ هل أنت بخير؟".

أجابها: "نعم... أنا بخير".

أُعجب بأسلوب كيميكو، وبلطفها في التعامل مع الآخرين من دون أيّ تحيز، ووجد نفسه يمنع دموعه من أن تنهمر بصعوبة.

لقد اهتمّت كيميكو بالجميع وتعاملت معهم بلطف، وخلال الأوقات التي يتطلّب تصرّفها الحزم، لم تتردّ أبدًا في فرضه، ولكنّها غالبًا ما كانت تتصرّف بثقة تامّة بالنفس. يعتقد بعض الناس أنّ أفعالها الخيّرة هذه نابعة من فضولها، ولكن لم يكن ذلك يقلقها، فهي كانت تتخلّى عن مقعدها في القطار من أجل أن تجلس امرأة حامل شخص مسنّ، وإذا رأت شخصاَ تائهًا في زاوية شارع، تسأله إن كان بحاجة إلى المساعدة من دون تردّد.

لم تكن كيميكو تفعل هذا لأنّها أرادت أن تصبح شرطية، بل كان هذا فقط جزء من قيمها الإنسانية، إنّ هذا الجانب من شخصيتها كان أكثر ما جذب كيوشي نحوها عندما كانا طالبين في المدرسة الثانوية.

سألته كيميكو وقد بدت قلقة: "هل أنت متأكّد من أنّك على مايرام؟".

أجابها بشكل غير طبيعي، متفاديًا النظر إلى عينيها: "أجل، شكرًا لكِ".

كان يتصرّف بتحفّظ نوعًا ما، ليس لأنّه كان قلقًا من أن تكشف كذبته، ولكن بدافع القلق من أن يخترق لطف كيميكو الذي لا يقاوم قلبه فيضعف أمامه.

قالت كانام لكيوشي: "حسنًا إذًا، كن حذرًا الآن، هل ستتجنّب تكرار ذلك؟"، وأضافت قبل الذهاب إلى المطبخ مرّة أخرى: "ستكون القهوة ألذّ عندما تكون ساخنة..."

نظر كيوشي إلى كيميكو نظرة اعتذار.

وقال وهو يومئ إليها: "أعتذر عن ذلك".

لكن بدلًا من أن تجلس كيميكو مكانها مرّة أخرى، سألت وهي تنظر إلى يديه: "هل هذا ما كنت على وشك أن تعطيني إياه؟".

أجابها: "أمم، أجل..." ورفع كيوشي العلبة على عجل ل كي تأخذها منه.

أومأت كيميكو إليه، ونظرت إلى ما في يده، وقالت متسائلة: "ما سبب هذا؟".

أجابها كيوشي: "إنّه عيد ميلادك، أليس كذلك؟".

قالت: "ماذا؟".

فقال: "اليوم، عيد ميلادك".

اتّسعت عينا كيميكو بدهشة، وأمعنت النظر إلى العلبة الموجودة بين يديها وقالت: "آه.. ها".

قال لها كيوشي: "... أخبرني زوجك بأنّه أراد بشدّة أن تسعدي بهذه الهدية، كما قال إنّ أمرًا طارئًا حدث وتوجّب عليه السفر إلى الشمال، وقبل أن يذهب مسرعًا، طلب منّي أن أقدّمها إليك، وقد كان هنا قبل ثلاثين دقيقة فقط".

كان هذا قبل ثلاثين عامًا، وقتها لم يكن الشخص العادي يمشي وهو يحمل هاتفًا محمولًا أو جهاز لاسلكي، وإن كان من الضروري إلغاء موعد ما، كان يتعيّن حينها على الشخص الذي يريد أن يلغي هذا الموعد أن يتّصل بمكان الاجتماع مباشرة، أو يطلب من أحد معارفه أن ينقل رسالته، وإذا لم يكن ذلك ممكنًا، فسينتظر الشخص وحيدًا لساعات طويلة.

فقد اضطرّ كيوشي في كثير من الأحيان إلى تغيير مواعيده المحدّدة بسبب أعمال الشرطة المستعجلة، وفي بعض الأحيان، عندما يكون لديه موعد مع كيميكو ويضطرّ إلى الذهاب، كان يطلب من الغرباء إيصال رسالة لها، لذلك، وعلى الرغم من أنّ هذا الرجل الغريب العجوز أخبرها بأنّ زوجها قد طلب منه أن يقدّم إليها هذه الهدية، إلّا أنّها لم تتفاجأ من ذلك.

تمتمت وهي تمزّق ورق التغليف مصدرة ضوضاء: "أوه، حقًّا؟"، كان في داخل العلبة عقد تزيّنه ماسّة صغيرة جدًّا.

لم يكن كيوشي قد قدّم لكيميكو هدية عيد ميلاد من قبل، ويرجّح ذلك إلى أنّه كان دائمًا مشغولًا للغاية، إلى الحدّ الذي لا يسمح له بالعثور على الوقت للتفكير في الهدايا، ولكن كان ذلك أيضًا لأنّ كيميكو أصيبت بصدمة نفسية خفيفة بسبب أعياد الميلاد في الماضي.

فقد كان عيد ميلادها في الأوّل من نيسان، يوم كذبة الأوّل من نيسان، فعندما كانت طفلة، غالبًا ما قدّم الأصدقاء إليها هدية، وقالوا: "عيد ميلاد سعيد"، ثم قالوا على الفور: "إنّها كذبة أوّل نيسان"، ثمّ يسترجعون الهدايا، ربما لم يقصدوا أن يكونوا سيّئين، ولكنّ كيميكو وجدت في القول لها: "إنّها كذبة أوّل نيسان" مباشرة بعد نشوة التفكير في أنها تلقّت هدية، أمرًا مزعجًا للغاية، وقد شاهدها كيوشي تتعرّض لمثل هذا الموقف في المدرسة الثانوية.

كان ذلك في الأوّل من نيسان، حين تتفتّح براعم الكرز، تجمّع أصدقاؤها في عطلة الربيع ليتمنّوا لكيميكو عيدًا سعيدًا، ثم... عند تقديم الهدايا إليها، صرخوا قائلين: "كذبة أوّل نيسان" وبالطبع، لم يفعل أصدقاؤها ذلك بسوء نية، إذ أعادوا إليها الهدايا على الفور بعد أن انتهت المزحة.

فقالت كيميكو لهم وهي تبتسم: "شكرًا جزيلًا" ولكنّ كيوشي لمح في عينيها الحزن الذي كانت تحاول إخفاءه، ولو لم يكن مغرمًا بها ربما ما كان ليلحظ حزنها العميق، وحتّى بعد أن استقرّت علاقتهما، اتّخذت كيميكو ترتيبات أخرى تجنّبها تلقّي هدية عيد ميلاد، وعلى الرغم من ذلك، أراد كيوشي أن يتمنّى لها عيدًا سعيدًا بشكل يليق بها، على الأقلّ في عيد ميلادها الأخير، وقد قرّر أن يسافر في الزمن ليفعل ذلك.

نظرت كيميكو إلى العقد.

فقال لها كيوشي بهدوء: "عيد ميلاد سعيد..."

في هذه الملاحظة، عندما قال هذه الكلمات، نظرت إليه بدهشة، وقالت: "هل قال زوجي ذلك؟".

أجابها: "ماذا؟ أجل...".

بمجرّد أن سمعت ردّه، بدأت الدموع تنهمر من عينيها، وبدأ كيوشي يشعر بالضيق عند رؤيتها تبكي أمامه، كانت هذه المرّة الأولى التي يرى فيها وجهها تغطّيه الدموع منذ أن التقيا، فلطالما رآها المرأة القوية التي لا تزعزعها أعتى العواصف.

حتّى بعد إخبارها في عدّة مناسبات بأنّها لم تُقبل في الشرطة بسبب العدد المحدود للمقبولات من الإناث، لم تضعف قوّتها، بل قالت ببساطة وبكلّ عزيمة وإصرار، *سألتحق بها في المرّة القادمة*، تلك كانت كيميكو التي عرفها كيوشي، لذا لم يستوعب رؤيتها وهي تبكي بمرارة.

سألها وهو يشعر بالتوتّر: "ماذا... ما الخطب؟".

لم يكن يعلم إن كانت ستنفتح على شخص غريب تمامًا وتجيبه عن هذا السؤال، لكنّه أراد بشدّة أن يعرف سبب دموعها.

قالت له بصوت خافت: "أعتذر، أتمنّى أن تسامحني، وعادت إلى الطاولة حيث كانت تجلس، فأخرجت منديلًا من حقيبتها، وبدأت تمسح دموعها كما لو كانت تحاول إيقاف ذلك التدفّق، فنظر إليها كيوشي بقلق، هي تحاول التماسك، فتنفّست بعمق، واسترجعت شجاعتها، وتغيّرت ملامح وجهها بعد أن ابتسمت ابتسامة رقيقة.

قالت: "حسنًا، الحقيقة هي أنّني اعتقدت أنّ زوجي كان سينفصل عنّي اليوم".

قال: "ماذا؟"، فلم يصدّق كيوشي ما كان يسمعه.

كانت كلماتها غير متوقّعة على الإطلاق.

كانت صدمة كبيرة، وفكّر قائلًا: *لقد ذهبت إلى واقع مختلف تمامًا.*

كلّ ما استطاع أن يقوله: "أووه، همم.."

على الرغم من أنّه شعر بالحاجة إلى قول شيء ما، لم يستطع أن ينطق بأيّ كلمة، ومن أجل أن يكسب بعض الوقت، أمسك بفنجان القهوة وارتشف منه رشفة، ومن الواضح أنّه أبرد بكثير ممّا كان عليه قبل فترة وجيزة، وأنّه لم يكن أكثر من دافئ.

قال لها: "إن لم أكن أتطفّل، فهل يمكنك التوضيح أكثر؟".

كان هذا الطلب الذي قاله كيوشي تعبيرًا يستخدمه غالبًا، وهو ما جعل كيميكو تضحك ضحكة خفيفة، ثم قالت: "تبدو أشبه بمحقّق"، وقد لاحظت ذلك بعينين تملؤهما الدموع.

وأكملت قائلة: "سأشرح لك التفاصيل، إن كنت تشعر بالراحة من خلال التحدّث إليّ حول هذا الموضوع".

ردّ كيوشي: "بالطبع..."

لقد زلق للحظة، واستخدم أسلوب الشرطة في الكلام، لكنّه يشعر بأنّه غير قادر على العودة إلى الحاضر الآن من دون أن يحصل على تفسير لدموع كيميكو.

في بعض الأحيان، يأتمن الناس شخصًا يثقون به، لكن في أحيان أخرى يحتاجون إلى أن يكون المستمع شخصًا غريبًا تمامًا.

لم يقل كيوشي شيئًا آخر، بل انتظر ببساطة ردّ كيميكو، لأنّه لا يستطيع أن يصرّ عليها كي تخبره بذلك.

كان الوقت ينفد منه، لكن كان لديه الشعور بأنّها ستخبره بسبب ذرفها الدموع.

وقفت كيميكو أمام الطاولة التي كانت تجلس إليها من دون أن تقول شيئًا، وانكسر الصمت عندما وصلت كانام وهي تحمل قهوة ذات رائحة عطرة.

سألت كانام: "هل أضعها هنا؟"، ووضعت القهوة بذكاء على الطاولة التي كان يجلس إليها كيوشي وليس على الطاولة التي كانت تجلس إليها كيميكو.

لم تتردّد كيميكو في الإجابة، وقالت: "ذلك سيكون جيّدًا".

وضعت كانام القهوة والحساب على طاولة كيوشي، وعادت إلى المطبخ.

أمسكت كيميكو بحقيبتها، وتوجّهت إلى طاولة كيوشي.

قالت: "هل تمانع إن انضممت إليك؟"، سألت وهي تضع إحدى يديها على الكرسي الذي أمامه.

أجاب كيوشي بابتسامة: "لا، بالطبع لا"... إذًا؟"، داعيًا إيّاها إلى أن تكمل كلامها.

تنفّست بعمق وهدوء واستهّلت الكلام قائلة: "على مدى الأشهر الستّة الماضية أو نحو أكثر من ذلك، كان زوجي يبدو كئيبًا طوال الوقت، فلم نجرِ أيّ محادثات طويلة".

غالبًا ما لا يكون في المنزل بسبب العمل، ومؤخّرًا عندما كان يحضر إلى المنزل، فإنّ كلّ ما يقوله: "اه هاه، حسنًا، بالتأكيد، آسف، أنا متعب الليلة...". وتوقّفت لتمسح دموعها مرّة أخرى بمنديلها.

وأردفت قائلة: "اليوم، أخبرني بأنّ لديه شيئًا مهمًّا يريد أن يناقشه معي، واعتقدت أنّه سيقول إنّه يريد إنهاء الزواج".

نظرت كيميكو إلى العقد الذي حصلت عليه من كيوشي وأكملت: "كنت على يقين تامّ من أنّه نسي عيد ميلادي..."

غطّت وجهها الذي أحنته بكلتا يديها، وبدأت كتفاها تهتزّان.

حاول كيوشي أن يستوعب ما يسمعه، فهو لم يفكّر أبدًا في الانفصال، ولكن بعد أن عرضت كيميكو قصّتها، أصبح في إمكانه أن يفسّر سبب شعورها، فقد كان غارقًا في ذلك الوقت في عدد كبير من القضايا المعقّدة، وكان حينها يعاني من الأرق وعدم الشعور بالراحة، وفي الوقت نفسه، كان مثقلًا بعبء يكاد يخنقه، يعود إلى شكّه في أنّه ليس مقدرًا له أن يكون محقّقًا، لذلك أخذ يتجنّب أيّ نوع من الحديث معها خوفًا من أن تكتشف أنّه يفكّر في ترك العمل، وقد رأى الآن كيف أنّها فسّرت موقفه على أنّه من دلالات عدم الإحساس بالسعادة الزوجية.

أخذ يفكّر: *أشعر بالسوء لأنّني تركت هذا الانطباع لديها، فلا يمكننا* أبدًا أن نرى حقًّا ما في قلوب الآخرين، فعندما يضيع الناس في مخاوفهم الخاصّة، يمكن أن يتجاهلوا مشاعر الأشخاص الأكثر أهمّية بالنسبة إليهم، ولم يعرف ما الذي يجب عليه أن يقوله لزوجته التي تبكي أمامه.

كان يتظاهر حاليًا بأنّه مجرّد غريب صودف وجوده في المقهى في هذا اليوم، علاوة على ذلك، خلال ساعات قليلة من الآن، ستفقد حياتها، وعلى الرغم من أنّه كان يعلم أنّ ذلك سيحدث، إلّا أنّه لم يستطع القيام بأيّ شيء.

مدّ يده ببطء والتقط الفنجان، بالنظر إلى درجة حرارته على راحة يده، بدت القهوة شبه باردة، ولكنّه لم يجد نفسه في تلك اللحظة إلّا وهو يقول كلمات تفاجأ منها: "بعد أن تزوجتك، لم أفكّر مطلقًا في الانفصال".

كان يعلم أنّه لا يستطيع تغيير الواقع، ومع ذلك، كانت فكرة أنّ كيميكو سوف تموت والشعور بالقلق يرافقها أكثر مما يمكنه أن يتحمّله، فلم يكن يهتمّ ما إذا كانت ستصدّقه أم لا، فقد أراد أن يكشف عن هوّيته ليزيل سببًا واحدًا من أسباب معاناتها، كونه الوحيد الذي يستطيع أن يفعل ذلك.

قالت كيميكو، التي كانت تحدّق إليه بعينين واسعتين متفاجئتين: "لقد أتيت من المستقبل، بعد ثلاثين عامًا من الآن، إنّ المسألة المهمّة التي أردت إخبارك بها كانت تتعلّق بشيء آخر".

جلس مستقيمًا، وهو يشعر بالحرج والأسف بينما كانت كيميكو تحدّق إليه متفاجئة، ثم سحب قبّعته عن رأسه،

وأوضح قائلًا: "في الحقيقة لقد خطّطت لإخبارك بأنّني أردت التخلّي عن كوني محقّقًا".

خلال شرحه كانت حافة القبعة تغطّي عينيه، لذلك لم يستطع رؤية ردّ فعل كيميكو وهو يسرد قصّته، لكنّه واصل كلامه رغم ذلك.

"توجّب عليّ أن أزور مسارح الجرائم كلّ يوم والتعامل مع البشر المهووسين... لقد سئمت من ذلك، فقد كنت أنظر إلى هؤلاء القتلة المنحرفين الذين لا يتورّعون عن إيذاء الأطفال وكبار السنّ، وهذا جعلني أشعر بالحزن أكثر، لا بل ربما باليأس وهي الكلمة المعبّرة بشكل أفضل... لقد كان الأمر صعبًا... وبغضّ النظر عن مقدار الجهد الذي نبذله في عملنا، فلن يوقف أيّ منها وقوع الجرائم، وبدأت أتساءل، لماذا أفعل هذا بنفسي، وما الفائدة من ذلك؟ لكنّني اعتقدت أنّه إذا أخبرتك بهذا... حسنًا، اعتقدت أنّك ستغضبين، لذلك، واصلت تأجيل المحادثة".

لابدّ أنّه لم يبقَ سوى القليل من الوقت قبل أن تبرد القهوة، لم يكن مهمًّا بالنسبة إليه إن كانت كيميكو قد صدّقته، فقد أراد ببساطة أن يقول ما يعتقد أنّه يجب أن يقوله.

أكمل كيوشي: "لكن لا تقلقي، فأنا لم أتوقّف عن العمل بصفتي محقّقًا..."

أنهى كلامه، ثمّ تنفّس بعمق، وبعد ذلك أضاف برقة: "ولم نفترق قطّ أبدًا..."

كان كيوشي يكذب يائسًا، وقد لاحظ أنّ راحتيه كانتا متعرّقتين، كما أنّ كيميكو لم تردّ بعد، فحدّق إلى الفنجان أمامه، غير قادر على أن يفعل أيّ شيء آخر، لكنّه قال ما كان يرغب في قوله، كما كان يخشى النظر إلى وجه كيميكو كثيرًا خوفًا ممّا قد يبدو عليه، لكنّه لم يندم على شيء ممّا قاله.

قال: "انتهى وقتي، يجب أن أذهب الآن"، ولكن عندما وصل إلى فنجانه ليشرب القهوة، تحدّثت كيميكو، وقالت: "كنت أعلم هذا... كيوشي، هل هذا أنت حقًّا؟"، كان يعلم من نبرة صوتها أنّها لا تزال غير مصدّقه ما تراه، لكنّ سماعها تنادي اسمه أعادت إلى ذاكرته الطريقة التي كانت تناديه بها منذ أن كانا في المدرسة الثانوية.

سماع اسمه منها جعل عينيه تشعّان دفئًا، لكنّها قالت إنّها كانت تعلم ذلك وهو ما أربكه، فلم يكن يعتقد أنّها قد علمت أنّ هذا المقهى يسمح بالسفر عبر الزمن إلى الماضي.

سألها: "كيف علمت؟".

أجابته: "من قبّعة الصيد الخاصّة بك..."

ردّ: "أوه..."

كانت قبّعة الصيد الممزّقة التي يعتمرها هي من أهدته إياها، وكانت قد صنعتها له عندما بدأ عمله بصفته محقّقًا.

نظرت إلى هذه القبّعة وقالت مبتسمة: "أرى أنّك اعتمرتها طوال هذه السنين".

أجابها: "أجل".

لقد مرّت أكثر من ثلاثين عامًا على حصوله على هذه الهدية، والآن لم يستطع أن يتخيّل عدم اعتمارها.

سألته: "لابدّ أنّ عملك كان صعبًا".

أجابها: "نعم، أعتقد ذلك".

ثمّ قالت بصوت يكاد يختفي: "لماذا لم تترك العمل؟".

لقد كان السبب الحقيقي أنّه لم يستطع أن يحرّر نفسه من الشعور بالذنب لاعتقاده أنّه كان المسؤول عن موت كيميكو عندما شهدت عملية السرقة، نتيجة عدم حضوره في الموعد المحدّد، واستمراره بالعمل كان طريقته الخاصّة في معاقبة نفسه إلى الأبد، وردًّا على السؤال، نظر كيوشي مباشرة إلى عينيها وأجاب: "بقيت هناك من أجلك...".

قالت: "من أجلي أنا؟".

أجاب من دون أدنى شكّ أو تردّد: "أها، أجل".

"هل حقًّا؟".

"أه.. هاه".

استشعر بوجود أحدهم ينظر بطرف عينه، فاستدار ليرى كانام تنظر إليه، ولم تفعل شيئًا سوى أن رمشت له مرّة واحدة بشكل لطيف.

من الأفضل أن ترحل في القريب العاجل.

فهم كيوشي ما تعنيه تلك الغمزة بالضبط، فنظر إلى كانام التي كانت تضع يدها على بطنها وتذكّر كازو.

قال لنفسه: *إنّ أحوالنا متشابهة، أنا وكازو.*

أومأ كيوشي إلى كانام إيماءة خفيفة ونظر إلى الفنجان.

قال: "حسنًا، يجب أن أعود الآن".

"كيوشي..."، نادت كيميكو اسمه وهو يرفع الفنجان إلى فمه، وقد أدركت من خلال الإيماءات المتبادلة بينه وبين كانام أنّ وقت الوداع قد حان.

سألته بصوت ضعيف خجل: "... وهل كنت سعيدًا؟".

أجابها: "بالطبع" وشرب الفنجان بأكمله دفعة واحدة.

عندما تذوّق القهوة، شعر بالخوف يتسلّل إلى قلبه، فقد كانت القهوة بالفعل أبرد من درجة حرارة الجسم.

لو لم تنبّهه كانام الآن، ربما كانت القهوة لتبرد.

نظر كيوشي إلى كانام التي ابتسمت ابتسامة ساحرة، وهو يشعر بدوار شديد، ثمّ بدأ محيطه يتحرّك ببطء من حوله كما لو أنّ كلّ شيء يختفي خلاله، وبعد لحظة، تحوّل جسده إلى بخار أبيض.

قالت كيميكو: "شكرًا..." ورآها تمسك العقد الذي على صدرها وأكملت قائلة: "على هذا..".

كانت تنظر إلى كيوشي وتبتسم بسعادة.



علّق بطريقته الخجولة قائلًا: "إنّه يناسبك"، لكنّه لم يعرف أبدًا إن كانت كلماته قد وصلت إليها.

"لقد عاد" صاحت ميكي بصوت عالٍ عندما استعاد كيوشي وعيه.

نظرت ميكي حولها، وابتسمت ابتسامة عريضة في وجه ناغار، فقد عاد الزبون الأوّل الذي أرسلته إلى الماضي. بدت سعيدة للغاية وفخورة بنفسها، وتنفّس ناغار أيضًا الصعداء، وداعب رأس ميكي بلطف وقال: "أحسنت صنيعًا".

كازو هي الوحيدة التي حافظت على تعابيرها الباردة، والتي كانت غامضة تمامًا، وعندما كانت ترفع فنجان كيوشي بدلًا من ميكي، التي كانت لا تزال متحمّسةً للغاية، سألته: "كيف وجدتها؟".

أجابها: "إذًا، أنت حامل؟".

صوت سقوط شيء ما على الأرض

دوّى صوت سقوط الصينية على الأرض في كلّ مكان في المقهى، وكان الجاني هو ناغار.

وبّخته ميكي: "أبي! لا تكن صاخبًا هكذا".

قال على عجل: "أعتذر لذلك"، والتقط الصينية بسرعة.

لم تتغيّر تعابير وجه كازو بعد هذا السؤال، وأجابت: "نعم، أنا كذلك".

سأله ناغار: "... كيف علمت؟".

أوضح كيوشي، وهو ينظر إلى كازو: "قابلت والدتك في أثناء حملها بك، وأخبرتني بأنها لا تستطيع العمل وسكب القهوة في أثناء حملها".

سألته كازو: "هل حقًّا قالت ذلك؟"، وهي تتّجه إلى المطبخ لتضع الفنجان الذي استخدمه كيوشي هناك.

في تلك اللحظة، ظهرت المرأة ذات الفستان الأبيض، كانام، قادمة من الحمام، فنهض كيوشي وانحنى انحناءةً خفيفة لها، وهو يتخلّى عن الكرسيّ، فعادت كازو من المطبخ وهي تحمل القهوة لكانام.

عندما وضعت القهوة أمامها، قال لها كيوشي بلطف: "بدت والدتك سعيدة".

توقّفت كازو عن الحركة بعد أن وضعت الكأس على الطاولة، ولكن لم يستمّر ذلك لأكثر من ثانية.

انتظر كلّ من ناغار وكيوشي بقلق ردّ كازو، وذلك قبل أن تنقذ ميكي الجميع من الصمت المحرج.

قالت ميكي: "أوه، أنظروا"، ثم جثت على الأرض والتقطت شيئًا منها، كانت مشدودة بين إبهامها والسبابة، فقد كان هناك بتلة واحدة من أزهار الكرز، لا بدّ أنها وصلت إلى هنا بعد أن علقت على رأس أو كتف شخص ما.

تُعدّ رؤية بتلة زهرة، ولو كانت بتلة وحيدة، وسيلة أخرى لملاحظة حلول الربيع.

رفعت ميكي البتلة بأصابعها وأعلنت: "لقد حلّ الربيع" فابتسمت كازو بلطف.

بدأت كازو تتكلّم بصوت هادئ: "منذ اليوم الذي لم تعد فيه أمّي أبدًا من الماضي... كنت دائمًا أخشى أن أكون سعيدة".

تحدّثت كما لو أنّها تقول ذلك لشخص آخر غير المحيطين بها. في الواقع، بدا الأمر كما لو أنّها كانت تخاطب المقهى نفسه، أكملت كلامها قائلة: "حدث ذلك لأنّه في ذلك اليوم، عندما اختفت والدتي فجأة، انتهت أيّامي السعيدة التي كانت متواصلة ومن دون انقطاع، كما انتهت سعادة الشخص الأهمّ بالنسبة إليّ".

بدأت الدموع تنهمر على وجهها.

منذ اليوم الذي فشلت فيه كانام في العودة من الماضي، لم يسبق لكازو أن كوّنت صداقات، ولا حتّى في المدرسة، فقد كان الخوف من

فقدانهم كبير جدًّا، كما أنّها لم تنضمّ أبدًا إلى نادٍ أو تصبح جزءًا من مجموعة أصدقاء، لا في المدرسة الإعدادية ولا الثانوية.

كما أنّها لم تحضر أيّ مناسبة دُعيت إليها لاجتماع أو مباراة... فهي لم تذهب أبدًا، وعندما كانت ينتهي دوام المدرسة كانت تعود إلى المقهى على الفور، من أجل أن تساعد في العمل، فلم يكن لها علاقة بأيّ أحد، ولم تظهر أيّ اهتمام بالآخرين، ويعود سبب كلّ ذلك إلى سيطرة فكرة عليها وهي: *لا يمكنني أن أكون سعيدة*. هذا ما قالته لنفسها طوال حياتها.

كرّست نفسها للعمل في المقهى ولم تطلب شيئًا آخر، أو تتأمّل في الحصول على أيّ شيء، عاشت من أجل أن تسكب القهوة فقط، وتلك كانت طريقتها في معاقبة نفسها على ما حدث لوالدتها.

انهمرت الدموع من عيني ناغار، دموع رجل كان إلى جانب كازو طوال الوقت يراقبها ويعتني بها، منذ ذلك اليوم المشؤوم.

قال كيوشي: "كنت أفكر في الشيء ذاته، لو وفيت بوعدي، وأتيت إلى موعدنا، ربما ما كانت زوجتي لتموت، واعتقدت أنّ موتها كان خطئي لأنّني لم أقابلها في ذلك اليوم، لذلك لم أعتقد أنّني استحقّ السعادة".

وأصبح كيوشي عبدًا لعمله، بعد أن اختار لنفسه عن قصد طريقًا صعبًا، وهو يردّد التالي: *أنا لا أستحقّ السعادة*.

أكمل كيوشي: "إلّا أنني كنت مخطئًا، وقد تعلّمت ذلك من الأشخاص الذين قابلتهم بعد أن سافروا إلى الماضي في هذا المقهى".

لم يكتفِ كيوشي بإجراء مقابلة مع كانام وهيراي التي عادت لرؤية شقيقتها الراحلة، بل تحدّث أيضًا إلى امرأة عادت لرؤية صديقها الذي انفصلت عنه، وأخرى عادت لرؤية زوجها الذي كانت تتلاشى ذاكرته، ثم كان هناك الرجل الذي عاد في الربيع الماضي ليرى صديقه المقرّب الذي توفي قبل 22 عامًا، والرجل الذي عاد في الخريف الماضي ليرى والدته التي توفّيت في المستشفى.

ثم في الشتاء، سافر رجل علم أنّه يحتضر من الماضي إلى المستقبل، ليجلب السعادة إلى حبيبته التي تركها خلفه بعد أن رحل.

قال كيوشي: "لقد وجدتُ الكلمات التي تركها وراءه مؤثّرة بشكل خاصّ".

وأخرج دفتر ملاحظاته الأسود الصغير وقرأ بصوت عالٍ:

"إن حاولت أن تجدي السعادة بعد كلّ ما حصل، فسيكون قد تمكّن هذا الجنين من الاستفادة من أيّامه السبعين في سبيل إسعادك، وسيكون لحياته معنى في تلك الحالة، وأنت الوحيدة القادرة على جعل الحياة التي أعطيت لهذا الجنين لها معنى، لذلك يجب أن تحاولي أن تكوني سعيدة، فإنّ ذلك الجنين هو الوحيد الذي سيتمنّى لك السعادة حقًّا".

وأردف قائلًا: "وبكلمات أخرى، إنّ الطريقة التي سأعيش بها حياتي ستجلب السعادة إلى زوجتي".

لقد قرأ كيوشي هذه الكلمات مرارًا وتكرارًا، فقد كانت تلك الصفحة الوحيدة المجعّدة والمتّسخة في دفتر ملاحظاته.

يبدو أنّ هذه الكلمات قد ضربت على وتر حسّاس لدى كازو أيضًا، وبدأ سيل جديد من الدموع ينهال من عينيها.

وضع كيوشي دفتر الملاحظات بعيدًا في جيب سترته، وسحب قبّعة الصيد إلى الأسفل لتناسب رأسه بشكل أكبر، وقال: "لا أعتقد أبدًا أنّه من الممكن ألّا تكون والدتك قد عادت من أجل أن تصبحي بائسة، لذا أنجبي طفلك و..."

توقّف قليلًا وتنفّس بعمق ثم التفت إلى كازو، التي كانت تحدّق إلى كانام.

أضاف: "يُسمح لك أن تكوني سعيدة".

أغمضت كازو عينيها ببطء من دون أن تقول شيئًا.

في النهاية، قال كيوشي: "حسنًا، شكرًا على القهوة"، ووضع النقود على طاولة المحاسبة وسار باتّجاه المخرج، أومأ إليه ناغار إيماءة خفيفة.

"أوه.." قال كيوشي، واستدار إلى الخلف فجأة.

سأله ناغار: "هل نسيت شيئًا؟".

أجاب: "لا..." ثم التفت إلى كازو، وقال: "في الحقيقة لقد أحبّت زوجتي حقًّا ذلك العقد الذي ساعدتني في اختياره." ثم خرج من المقهى بعد أن أحنى رأسه شاكرًا.

رنين جرس الباب

مرّة أخرى، ساد الصمت في المقهى.

ميكي، من دون أدنى شك تشعر بالراحة لأنّ عملها قد انتهى بنجاح، فأخذت تهزّ رأسها وهي تمسك بيد ناغار.

فأدرك ناغار سبب هدوء ميكي المفاجئ وقال: "أوه، بالطبع".

ثم حملها وهو ينادي: "هيلا هو".

طارت بتلة زهرة الكرز، وانزلقت من أصابع ميكي، ورفرفت نحو الأرض.

تمتم ناغار: "إنّه الربيع، أليس كذلك؟".

قالت كازو: "أخي الكبير...".

ردّ ناغار: "أجل، ماذا؟".

أجابته: "أنا... أعتقد أنّه يسمح لي أن أكون سعيدةً، أليس كذلك؟".

قال ناغار: "أجل، بالطبع، يمكنها أن تتوّلى الأمر عنك الآن...".

حمل ناغار ميكي بين ذراعيه بشكل مناسب، وقال وهو يتوجّه إلى الغرفة الخلفية: "لا مشكلة على الإطلاق..."

شتاء طويل على وشك أن ينتهي.

لم يتغيّر التصميم الداخلي للمقهى منذ ذلك اليوم.

قالت كازو: "أمّي".

تدور المروحة الخشبية المعلّقة على السقف ببطء.

"أنا..."

كما أظهرت الساعات الثلاث الكبيرة على الحائط أوقاتًا مختلفة، ولوّنت المصابيح المظلّلة من الداخل بلون بنّي داكن يميل إلى الاحمرار.

أخذت كازو نفسًا عميقًا في هذا المقهى الذي يبدو الوقت فيه كما لو أنّه لا يتحرّك ووضعت يدها على بطنها.

وصاحت قائلة: "سأكون سعيدة".

عندما قالت ذلك، ابتسمت كانام برقّة ودفء، وهي لا تزال تنظر إلى روايتها، فكانت الابتسامة ذاتها التي كانت تبتسمها في وجه كازو عندما كانت على قيد الحياة.

قالت كازو متفاجئة: "أمّي؟". وفي تلك اللحظة، ارتفع جسد كانام إلى الأعلى مثل بخار متصاعد من قهوة سكبت حديثًا، وتوقّف البخار في الهواء للحظة، ثم اختفى في السقف بكلّ بساطة.

أغمضت كازو عينيها ببطء.

اختفت كانام وجلس مكانها على الكرسيّ رجل نبيل في بداية حياته، التقط هذا الرجل الرواية التي تُركت على الطاولة وانتقل إلى الصفحة الأولى.

قال لكازو: "سآخذ فنجان قهوة، لو سمحت؟".

وقفت للحظة بلا حراك، وحدّقت بصمت إلى السقف، ثم نظرت ببطء إلى الرجل المحترم.

وقالت: "بالتأكيد، سأذهب لأعدّ القهوة"، ثم اتّجهت بخفّة إلى المطبخ.

تتناوب الفصول في دورة الطبيعة.

كما الحياة التي تمرّ أيضًا بفصل شتاء قاسٍ.

ولكن لنتذكّر أنّ بعد الشتاء، سيحلّ الربيع.

وهنا، حلّ ربيع واحد.

وها قد بدأ ربيع كازو للتوّ.

في زقاق خلفي صغير في طوكيو، هناك مقهى يقدم القهوة المخمرة بعناية منذ أكثر من مئة عام، لكن هذا المقهى يقدم إلى زبائنه بالإضافة إلى القهوة تجربة فريدة، فرصة للسفر عبر الزمن.

كما هي الحال في رواية قبل أن تبرد القهوة بجزئها الأول، نقرأ عن أربعة زبائن جدد، يأمل كل واحد منهم الاستفادة من السفر عبر الزمن.

بالإضافة إلى الشخصيات التي نعرفها من الرواية السابقة سنتعرف إلى:

- الرجل الذي عاد ليرى أعز أصدقائه الذي توفي قبل 22 عاماً.
- الابن الذي لم يتمكن من حضور جنازة والدته.
- الرجل الذي سافر ليرى الفتاة التي لم يتزوجها.
- والمحقق الذي لم تتح له فرصة تقديم هدية عيد مولد زوجته.

هذه الرواية البسيطة والجميلة تضم بين صفحاتها قصة أشخاص يجب أن يواجهوا ماضيهم من أجل المضي قدماً في حياتهم. يدعو كواغوشي القارئ مرة أخرى ليسأل نفسه: ما الذي ستغيره إذا أتيح لك السفر عبر الزمن؟



توشيكازو كواغوشي

وُلِد في أوساكا باليابان عام 1971. سبق له أن أنتج وأخرج وكتب للمجموعة المسرحية سونيك سنيل. رواية قبل أن تبرد القهوة مقتبسة من إحدى مسرحياته، وهي فائزة بالجائزة الكبرى للدراما في مهرجان سوغيناما. من أعماله الأخرى الثنائي، وأغنية الغروب، ووقت العائلة.



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com



ISBN: 978-614-01-3195-8
9 786140 131958